



سلسلة تراث العلماء (١)

مجلد
زِيَادَةُ الشَّهِيدِ

وَبَيْتِ كُتُبِ

الله

تَنْزِيلِ الْمُنْتَخَبِ

تأليف
السيد محمد رضا الميرزا

شعبة التراث الثقافي والديني
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في اللجنة الحسينية المقدسة
(١٥٦)



زيد الشهيد

ابن الإمام علي بن الحسين بن علي

ابن أبي طالب عليه السلام



زيد الشهيد

ابن الإمام علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب عليه السلام

قال رسول الله ﷺ للحسين عليه السلام :

يا حسين يخرج من صلبك رجل يقال له زيد
يتخطى هو وأصحابه يوم القيامة رقاب الناس
غراً محجلين يدخلون الجنة بلا حساب .
(أمالى الصدوق : مجلس ٥٣ ، ح ٩)

ويليه

تنزيه المختار

تأليف: عبد الرزاق الموسوي المكرم

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٣٦هـ - ٢٠١٤م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حمداً لك اللهم واستعانة بك على أداء شكرك، في ما أفضت من الطافك وآلائك وصلاة طيبة منك على رسولك المصطفى رسول الأمن والسلام، ماحي ظلم الجهل وغياهب الكفر بأنوار رسالته الساطعة، ودعوته الحقّة الهاتفة في أقطار الأرض وأنحاءها، حتى امتلأ العالم بها نوراً يهدي إلى الحق وإلى صراط مستقيم، وسلاماً منك على آله الهداة وأبنائه الطاهرين، ينابيع العلم وألسنة الحق الذين تاجروك في أموالهم وأنفسهم، لإعلاء كلمتك وإكبار قدسك وجلالك في عبادك، حتى أرخصوها في أسواق متاجرتك أرواحاً طاهرة ومهجاً زاكية، فسلاماً عليها ما بقيت ترفرف في سماء رحمتك وحول عرشك.

وبعد - فإني لما رأيت رغبة الكثير من محبي أهل البيت وشيعتهم في الوقوف على ما جرى على أئمتهم عليهم السلام والإلمام

بأحوالهم، استهداءً بهم، واقتباساً من أنوار تعاليمهم الشريفة وأعمالهم الصالحة، وتنويراً لعقولهم وأدمغتهم، في ما يجدونه منهم مشحونة به صدور الكتب، مثقلة به بطون الأسفار من مكارم الأخلاق ومحاسن الصفات، وعلى ما لحق بسراتهم وأماثلهم مهابط الفضل والصلاح، ورأيت أن السلف الصالح من العلماء والمؤرخين لم يغفلوا جهد المستطاع عن تدوين ما ظفروا به من سيرة أئمة الهدى معتمدين المصادر المتقنة، بل ألفوا وصنفوا ما شاء لهم خوضهم وانغماسهم في ذلك البحر المتلاطم الأمواج القائم على غير ضفة ولا ساحل، فالتقطوا من تلك اللآلئ المكنونة في أجواف أصدافها «أخبار أهل البيت وأحاديثهم» ما فيه غنى للطالب عن الاستزادة من ذلك...

أمسكت نفسي وصرفت عزيمتي عن إلقائها في ذلك التيار المندفق، وعدلت إلى تأليف هذه الرسالة التي ضمنتها سيرة الشهيد [زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام]، وبعض فضائله وفواضله، وذكر ما جاء في حقه عن الأئمة الأطهار من الثناء والإطراء، وتحليل شخصيته الكريمة، والأحوال والملابسات التي كونت ذلك المشهد من التاريخ الإسلامي.

إني لم أنبعث إلى تأليف هذه الرسالة إلا لأني لم أجد كتاباً مستقلاً يضم بين أوراقه وصفحاته سيرة الشهيد زيد، ذلك الذي

لا أراني مخطئاً إن قلت: إنه لجدير أن تؤلف في البحث عن حياته وأحوالها كتب شتى فضلاً عن كتاب واحد، لما أوتي من علم وفضل يشهد له بهما من أحب وأبغض.

لا يذهب عليك أيها القارئ الكريم أنني أريد نسبة الغفلة إلى حفاظ الآثار من علمائنا الأعلام وبخسهم حق الرجل وإهمالهم تدوين فضله في كتاب أو رسالة، كيف وقد جاء في فهرس مصنفات أصحابنا الإمامية ذكر جماعة ممن صنف في فضله وجمع كراماته وفواضله، غير أن تلك الكتب والرسائل أصابها عارض التلف، فلم يبقَ بأيدينا منها إلا الاسم، وإليك أسماء من صنف فيه:

١ - إبراهيم بن سعيد بن هلال بن عاصم بن سعد بن مسعود الثقفي وكان سعد عم المختار بن أبي عبيد الثقفي توفي إبراهيم سنة ٢٨٣ له كتاب أخبار زيد بن علي ذكره الشيخ الطوسي في الفهرست.

٢ - محمد بن زكريا مولى بني غلاب المتوفى سنة ٢٩٨ له كتاب أخبار زيد بن علي ذكره النجاشي في الرجال.

٣ - أحمد بن محمد المعروف بابن عقدة المتوفى سنة ٣٣٣ له كتاب من روى أخبار زيد بن علي ومسنده، ذكره ابن شهر آشوب في معالم العلماء.

٤ - عبد العزيز بن يحيى الجلودي المتوفى سنة ٣٦٨ له كتاب أخبار زيد بن علي ذكره النجاشي .

٥ - الشيخ الصدوق أبو جعفر بن بابويه القمي صاحب من لا يحضره الفقيه له كتاب في زيد بن علي ذكره النجاشي .

٦ - محمد بن عبد الله بن عبيد الله بن البهلول له كتاب فضائل زيد بن علي وكتاب من روى عن زيد بن علي ذكره النجاشي .

٧ - ميرزا محمد الاسترابادي الرجالي له كتاب في زيد بن علي ذكره ميرزا عبد الله المعروف بالأفندي تلميذ المجلسي في (رياض العلماء) .

هذا ما عثرنا عليه من أسماء من صنف في أخباره وجمع فضائله وكراماته، أحصيته للقراء ليتعرفوا اهتمام المؤلفين بشأنه وموضعه من الفضيلة ومكانته من الشرف الباهر . ولقد وجدت من جميع ذلك دافعاً يحثني على تأليف هذه الرسالة الموسومة بـ [زيد الشهيد] بعدما رتبته إلى فصول عرفتها بعناوين تسهلاً للقارئ وتبييناً للقصد ومنه تعالى أستمد المعونة في كل أعمالي والتوفيق .

«ولادته وسبب التزويج بأمه»

ولد زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام بالمدينة بعد طلوع الفجر سنة ست وستين أو سبع وستين من الهجرة^(١) وأمّه أم ولد من السند وهي أم إخته عمر الأشرف وعلي وخديجة^(٢) اشتراها المختار بن أبي عبيد الثقفي أيام ظهوره بالكوفة بثلاثين ألفاً وبعث بها إلى الإمام زين العابدين عليه السلام.

يقول عمر الجعفري: كنت أدمن الحج فأمر علي بن

-
- (١) يصححه حديث شراء المختار لأمه والحديث الحاكم للتسمية به الآتي عن قريب فإنه يدل على أنها علقت به في السنة التي بعثها فيها المختار إلى زين العابدين عليه السلام والمختار قتل سنة ٦٧ هـ فلا يمكن أن تكون ولادته في سنة الثمانين كما في تقريب التهذيب لابن حجر ولا بالخمس والسبعين كما في الحقائق الوردية وشرح الصحيفة للسيد علي خان والروض النضير شرح مجموع الفقه الكبير: ج ١، ص ٥٢، طبع مصر سنة ١٣٤٧ هـ ولا في الثامنة والسبعين كما في تهذيب تاريخ ابن عساكر: ج ٦، ص ١٨، إذ المختار لم يدرك السبعين من الهجرة حتى تتم تلك التحديدات.
- (٢) المجدي لأبي الحسن العمري النسابة.

الحسين ﷺ فأسلم عليه، وفي بعض حججي غدا علينا علي بن الحسين ﷺ ووجهه مشرق فقال جاءني رسول الله ﷺ في ليلتي هذه حتى أخذ بيدي وأدخلني الجنة وزوجني حوراء، فواقعتها، فعلقت، فصاح بي رسول الله ﷺ يا علي بن الحسين سمّ المولود منها زيدا. فما قمنا من مجلس علي بن الحسين ﷺ ذلك اليوم وعلي يقص الرؤيا، حتى أرسل المختار بن أبي عبيد بأم زيد هدية إلى علي بن الحسين ﷺ اشتراها بثلاثين ألفاً، فلما رأينا إشغافه بها تفرقنا من المجلس، ولما كان من قابل حججت ومررت على علي بن الحسين ﷺ لأسلم عليه فأخرج زيدا على كتفه الأيسر وله ثلاثة أشهر وهو يتلو هذه الآية ويومئ بيده إلى زيد ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾^(١).

ويشهد لما تضمنته هذه الرواية من قصة الرؤيا رواية أبي حمزة الثمالي المروية في مجالس الصدوق وفي فرحة الغري للسيد ابن طاووس بحذف الإسناد. أما رواية المجالس ففيها يقول: «حججت سنة فأتيت علي بن الحسين ﷺ فقال لي يا أبا حمزة، ألا أحدثك عن رؤياً رأيتها، رأيت كأنني أدخلت الجنة فأتيت بحوراء لم أر أحسن منها فبينما أنا متكئ على أريكتي إذ سمعت قائلاً يقول: يا علي بن الحسين ليهنك زيد ليهنك زيد» قال

(١) انظر سورة يوسف من تفسير فرائد للآية ١٠٠ منها.

أبو حمزة: «ثم حججت بعده فأتيت علي بن الحسين عليه السلام فقرعت الباب ففتح لي فأدخلت فإذا هو حامل زيداً على يده فقال لي: يا أبا حمزة هذا تأويل رؤيائي من قبل قد جعلها ربي حقاً»^(١).

وفي [فرحة الغري] قال أبو حمزة كنت أزور علي بن الحسين عليه السلام كل سنة مرة وقت الحج فأتيته سنة من ذلك وإذا على فخذه صبي فوق عتبة الباب فانشج، فوثب إليه علي بن الحسين عليه السلام مهرولاً وجعل ينشف دمه ويقول أعيذك بالله أن تكون المصلوب بالكناسة. قلت بأبي أنت وأمي أي كناسة؟ قال كناسة الكوفة. قلت: جعلت فداك ويكون. قال: إي والذي بعث محمداً بالحق نبياً إن عشت بعدي لترين هذا الغلام في ناحية من نواحي الكوفة مقتولاً منبوشاً مسلوباً مصلوباً في الكناسة ثم ينزل ويحرق ويذرى في البر. قلت: جعلت فداك وما اسم هذا الغلام. قال: هذا ابني زيد. ثم دمعت عيناه وقال: ألا أحدثك بحديث ابني هذا؟ بينا أنا ليلة راکعاً وساجداً إذ ذهب بي النوم من بعض حالاتي فرأيت كأنني في الجنة وكأن رسول الله صلى الله عليه وآله وعلياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام قد زوجوني جارية من حور العين فواقعتهما واغتسلت عند سدرة المنتهى، ووليت وهاتف يهتف بي ليهنك زيد ليهنك زيد، فاستيقظت فأصبت جنابة،

فقمّت وتطهرت للصلاة وصليت صلاة الفجر، فدق الباب وقيل على الباب رجل يطلبك فخرجت فإذا برجل معه جارية ملفوف كمها على يده مخمرة بخمار، فقلت: حاجتك، قال: أردت علي ابن الحسين، فقال: أنا علي بن الحسين، قال: أنا رسول المختار بن أبي عبيد الثقفي يقرأك السلام ويقول وقعت هذه الجارية في ناحيتنا فاشتريتها بستمئة دينار وهذه ستمئة دينار أخرى استعن بها على دهرك، ودفع إليّ كتاباً. فأدخلت الرجل والجارية وكتبت له جواب كتابه وبيّت الرجل. ثم قلت للجارية ما اسمك. قالت: (حوراء). فهيأوها لي وبّت بها عروساً، فعلقت بهذا الغلام فسميته زيداً، وهو هذا، وسترى ما قلت لك.

قال أبو حمزة: «فوالله ما لبثت إلا برهة يسيرة حتى رأيت زيداً في دار معاوية بن إسحاق فأتيته وسلمت عليه، ثم قلت: جعلت فداك ما أقدمك هذا البلد، قال: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكنت أختلف إليه فجئت إليه ليلة النصف من شعبان فسلمت عليه، وكان يتنقل في دور (بارق وبني هلال)^(١). قال يا أبا حمزة تقوم حتى تزور قبر أمير المؤمنين علي بن أبي

(١) بنو بارق بطن من خزاعة من بني عمرو بن مزيقيا ومن القحطانية وهم بنو بارق بن عدي بن حارثة بن مزيقيا. وبنو هلال بطن من النخع من القحطانية وهم بنو هلال بن جشم بن عوف بن النخع (نهاية الأرب).

طالب عليه السلام. قلت: نعم جعلت فداك، وساق الحديث إلى أن قال: «أتينا الذكوات البيض فقال هذا قبر علي بن أبي طالب عليه السلام ثم رجعنا فكان من أمره ما كان فوالله لقد رأيته مدفوناً منبوشاً مسلوباً مصلوباً قد أُحرق ودُقَّ بالهواوين وذري بالعريض من أسفل العاقول»^(١).

(١) العاقول اسم مكان قريب من الفرات وأبيات الكوفة وبالقرب منه كان سليمان بن ربيعة الباهلي ينزل أيام الربيع بالأفراس التي أعدها عمر بن الخطاب للحرب والجهاد وعددها أربعة آلاف وكان شتاؤه بها في قبلة القصر وميسرته وله في البصرة نحو منها وفي الأمصار الثمانية بقدرها «تاريخ الطبري: ج ٨، ص ١٩٦».

«اسم أمه»

ينص الحديث المروي في الفرحة بأنه حوراء ويعرفنا النسابة أبو الحسن العمري في [المجدي] بأنه غزالة وجاء في [غاية الاختصار]^(١) بأنه جيداء وفي سر السلسلة العلوية والحدائق الوردية جيد. ونحن إذا قرأنا ما يحدث به المبرد في الكامل^(٢) من أن العرب تسمي الأمة حوراء وجيداء ولطيفة، أمكننا موافقة المجدي فقط، لكون هذه الألفاظ إنما يشار بها إلى خصوص صنف الإماء وليست للميزة بين أفراد ذلك الصنف.

(١) ص ٦٦.

(٢) ج ٣، ص ١٨٩، طبع سنة ١٣٤٧هـ.

أول من سماه زيدا

لا يجازف من يرتئي صدور التسمية منه سبحانه وتعالى وحيّاً على لسان الأمين جبرائيل، أعلم بها النبي ﷺ حينما حدثه بما يجري على مهجته وفلذة كبده (صليب الكناسة) من الحوادث الغربية والغريبة جداً، بعد ما يقرأ في حديث أبي ذر الغفاري وقد دخل على النبي ﷺ فراه يبكي فرق له وسأله عما أبكاه، فأخبره بأن جبرائيل عليه السلام هبط عليه وأخبره أن ولده الحسين عليه السلام يولد له ابن يسمى علياً ويعرف في السماء زين العابدين ويولد له ابن يسمى زيدا يقتل شهيداً.

وفي حديث علي عليه السلام أخبرني رسول الله ﷺ بقتل الحسين عليه السلام وصلب ابنه زيد بن علي عليه السلام، قلت له أترضى يا رسول الله بقتل ولدك. قال يا علي أرضى بحكم الله فيّ وفي ولدي، ولي دعوتان أما الأولى فاليوم، والثانية إذا عرضوا على الله عز وجلّ، ثم رفع يديه إلى السماء وقال يا علي أمّن على دعائي اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بdda وسلط بعضهم على بعض وامنعهم الشرب من

حوضي ومرافقتي، ثم قال أتاني جبرائيل وأنا أدعو عليهم وأنت تؤمن فقال: لقد أُجيبَت دعوتكما^(١).

وحديث حذيفة بن اليمان: «نظر النبي إلى زيد بن حارثة فقال المظلوم من أهل بيتي سمِّي هذا، والمقتول في الله والمصلوب سمِّي هذا، وأشار إلى زيد بن حارثة، ثم قال ادن مني يا زيد زادك الله حباً عندي فأنت سمِّي الحبيب من ولدي»^(٢).

وهذان الحديثان وإن لم تكن فيهما صراحة على المدعى غير أنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى فيجب أن يكون كل ما يلفظه من قول عن وحي أو إلهام ولا سيما حديث أبي ذر فإنه ينص على أن التسمية كانت معروفة في الملاء الأعلى وقد أنهاها جبرائيل إلى النبي ﷺ بالوحي، فما يذهب بالمزاعم إلى أن التسمية كانت متأخرة إلى حين ولادته تشبهاً بما رواه ابن إدريس الحلبي في [مستطرفات السرائر] أجنبي عن القصد وهو على ما ذكرناه أدل.

قال ابن إدريس روى ابن قولويه عن بعض أصحابنا قال: كنت عند علي بن الحسين عليه السلام وكان إذا صلى الفجر لم يتكلم حتى تطلع الشمس، فجاءه يوم ولد فيه زيد فبشروه به بعد صلاة

(١) الحديث وسابقه في الحقائق الوردية (مخطوط).

(٢) تهذيب تاريخ الشام لابن عساكر: ج ٦، ص ١٨، وفي الروض النضير: ج ١، ص ٥٨، عن الجامع الكبير للسيوطي في مسند حذيفة ونقله ابن إدريس في مستطرفات السرائر.

الفجر فالتفت إلى أصحابه، فقال: أي شيء ترون أن أَسْمِي هذا المولود فقال كل رجل سمّه كذا، فقال يا غلام علي بالمصحف ف جاءوا بالمصحف فوضعه في حجره ثم فتحه فنظر إلى أول حرف في الورقة فإذا فيه ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ثم فتحه ثانياً فنظر فإذا أول الورقة ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبِشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ثم قال هو والله زيد هو والله زيد فسمي زيدا.

هذا نص الخبر ونحن إذا قرأناه بتأمل نعرف أجنبيته عن كون السجاد عليه السلام هو المخترع للاسم، وإنما نعرف أنه متلقى عن آبائه الهداة عن النبي صلى الله عليه وآله الموحى إليه على لسان الأمين جبرائيل، ومما يكشف لنا عن ذلك اعتماده عليه السلام في التسمية على الآيتين الواردتين في فضل المجاهد، وعدم ارتباطهما بالتسمية لا يختلف فيه اثنان، ولكن الوجه بالتسمية بعد قراءتهما ليس إلا ما هو معلوم لديه عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وآله بأنه يولد له ولد يسمى زيدا ويقتل شهيداً في الجهاد، فبهذه المناسبة سماه زيدا عند قراءتهما، ويشهد له مجيئه بضمير الغائب حيث يقول: [هو والله زيد هو والله زيد]، فإنه يريد أن ذلك المولود الذي سماه النبي صلى الله عليه وآله زيدا ويقتل شهيداً في الجهاد هو هذا.

(لقبه)

يلقب زيد الأزياد^(١) إشارة إلى أنه المقدم على كل من سمي بهذا الاسم من جهة أعماله الصالحة وغاياته الشريفة التي استحق بها المدح والإطراء من الأئمة الهداة عليه السلام ، بخلاف غيره ممن سمي بهذا الاسم ، وبالأخص من كان من أهل هذا البيت ممن لم يحمل لنا التاريخ من أعماله الحسنة ما يستوجب به المدح من الأئمة عليه السلام : كزيد بن الحسن السبط عليه السلام وزيد بن موسى بن جعفر عليه السلام وهو زيد النار. نعم أقرأتنا جوامع الأحاديث خصومة الأول مع الإمام الباقر عليه السلام في أمر الإمامة وشهادة السكينة التي بيده والصخرة التي كان واقفاً عليها والشجرة التي هي قريبة منهما بأن الباقر عليه السلام أحق بالأمر منه^(٢) ، ويقول الرضا عليه السلام في حق الثاني عندما قال له المأمون: يا أبا الحسن لئن خرج أخوك وفعل ما فعل فلقد خرج قبله زيد بن علي عليه السلام فقتل ولولا مكانك مني

(١) نور الأبصار للشبلنجي: ص ١٧٨ ، وإسعاف الراغبين بهامشه .

(٢) الخرائج في باب أعلام الباقر عليه السلام .

لقتلته فليس ما أتاه بصغير: «لا تقس يا أمير المؤمنين أخي زيداً
بزيد بن علي عليه السلام فإنه كان من علماء آل محمد عليه السلام فغضب الله عزَّ
وجلَّ فجاهد أعداءه»^(١).

«كنيته»

كانت كنيته المعروف بها أبا الحسين أحد أولاده، وهو ذو الدمعة، وعلى هذا مشهور المؤرخين وأرباب السير والتراجم^(١) والشهرة من قرائن الصحة في الرواية، وعليها يدور النفي والإثبات، ولا يبقى معها أهمية النظر في ما يقابلها، خصوصاً مع اكتمال كون المنشأ في كنيته بأبي الحسن الغفلة بالتصحيح عن الحسين، ومن الغريب مصادقة بعض أرباب السير والنسب^(٢) على تلك الغفلة الصادرة من البعض.

(١) انظر تاريخ الطبري: ج ٨، ص ٢٧٥، وتاريخ الشام لابن عساكر: ج ٦، ص ٢٠، ووفيات الأعيان لابن خلكان بترجمة محمد بن بقية وتهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني بترجمة زيد وشرح النهج الحديدي: ج ١، ص ٣١٥، وعمدة الطالب وإرشاد الشيخ المفيد ورجال السيد مصطفى التفرشي (رياض العلماء) بترجمة زيد والحدائق الوردية ودائرة المعارف للبستاني: ج ٢، في باب الكنى.

(٢) انظر التحفة العنبرية للسيد محمد كاظم اليماني وسر السلسلة العلوية لأبي نصر البخاري وسبك الذهب لابن معية وهذه الثلاثة مخطوطة ومعارف ابن قتيبة: ص ٧٣، والخطط المقرزية: ج ٤، ص ٣٠٧.

«صفاته»

كان تام الخلق، طويل القامة، جميل المنظر، أبيض اللون، وسيم الوجه، واسع العينين، مقرون الحاجبين، كث اللحية، عريض الصدر^(١)، بعيد ما بين المنكبين، دقيق المسربة، واسع الجبهة^(٢)، أقنى الأنف، أسود الرأس واللحية إلا أن الشيب خالط عارضيه^(٣). وكان الوابشي يقول إذا رأيت زيد بن علي رأيت أسارير النور في وجهه^(٤).

(١) الحقائق الوردية.

(٢) المقاتل لأبي الفرج.

(٣) الروض النضير: ج ١، ص ٤٩.

(٤) المقاتل لأبي الفرج.

«نقش خاتمه»

في الخطط المقرية: ج ٤ ، ص ٣٠٧ ، كان نقش خاتمه
(اصبر تؤجر اصدق تنج) ورواه أبو الفرج في المقاتل بإبدال
اصدق بتوق.

(نشأته)

نشأ في حجر أبيه السجاد عليه السلام وتخرج عليه وعلى الباقر والصادق عليهما السلام، ومنهم أخذ لطائف المعارف وأسرار الأحكام، فأفحم العلماء وأكابر المناظرين من سائر الملل والأديان. ولا بدع ممن تخرج من مدرسة الإمامة وتربى في جامعة النبوة أن كانت له في حلبة العلم والعرفان مواقف محموددة ومناظرات مشهودة، وكان عنده ما تحمله (آبؤه الهداة) من سرعة الجواب والوضوح في البيان، ممزوجاً ببراعة في الخطاب، فبلغ من ذلك كله مقاماً لم يترك لأحد ملتحداً عن الإذعان له بالعبقريّة والنبوغ، حتى إنك تجد المتنكبين عن خطة آبائه عليهم السلام لم تدع لهم الحقيقة من ندحة عن الاعتراف بفضله الظاهر؛ فهذا أبو حنيفة يقول: (شاهدت زيد بن علي كما شاهدت أهله فما رأيت في زمانه أفقه منه ولا أسرع جواباً ولا أبين قولاً)^(١)؟ وينفي الشعبي أن تلد

(١) الخطط المقرزية: ج ٤، ص ٣٠٧.

النساء مثل زيد في الفقه والعلم^(١) وأما الحافظ ابن شيبة وابن حجر الهيتمي^(٢)، والذهبي^(٣)، وابن تيمية^(٤)، فكلما تهم تشهد بأنه من أكابر العلماء وأفاضل أهل البيت في العلم والفقه.

ومن عثرنا على كلامه من أصحابنا الإمامية كأبي إسحاق السبيعي والأعمش^(٥)، والشيخ المفيد^(٦)، وميرزا عبد الله المعروف بالأفندي^(٧)، وأبو الحسن العمري النسابة^(٨)، والسيد علي خان^(٩)، والحر العاملي^(١٠)، والمحدث النوري^(١١)، وجدناه مصرحاً بفضله في العلم وتبصره بالمناظرات وكان عمر ابن موسى الوجهي يقول: رأيت زيد بن علي فما رأيت أحداً يفضل في معرفة الناسخ والمنسوخ والمتشابه من الكتاب

(١) المصدر نفسه.

(٢) الصواعق المحرقة: ص ٣١.

(٣) مختصر تاريخ الإسلام.

(٤) منهاج السنة: ج ١، ص ٨.

(٥) الخطط المقرزية: ج ٤، ص ٣٠٧.

(٦) الإرشاد.

(٧) رياض العلماء مخطوط بترجمة زيد.

(٨) المجدي.

(٩) شرح الصحيفة.

(١٠) رجال الوسائل.

(١١) رجال المستدرک.

المجيد^(١)، وفي حديث أبي خالد الواسطي: «صحبت زيدا بالمدينة خمس سنين كل سنة أُقيم شهراً وقت الحج ولم أفارقه حتى أقدم الكوفة فما رأيت مثله في العلم فلذا اخترت صحبته^(٢)».

ويشهد لذلك كله حديث أبي غسان الأزدي قال: قدم زيد بن علي الشام أيام هشام بن عبد الملك، فما رأيت رجلاً أعلم بكتاب الله منه، ولقد حبسه هشام خمسة أشهر وهو يقص علينا ونحن معه في الحبس تفسير سورة الحمد وسورة البقرة هذّ ذلك هذا^(٣)، وذكر الكتاب فقال فيه: «واعلموا رحمكم الله أن القرآن والعمل به يهدي للتي هي أقوم، لأن الله شرّفه وكرمه ورفع عظمه وسماه روحاً ورحمة وشفاءً وهدىً ونوراً، وقطع منه بمعجز التأليف أطماع الكائدين وأبانه بعجيب النظم عن حيل المتكلفين، وجعله متلوّاً ومسموعاً لا تمجه الآذان، وغضّاً لا يخلق من كثرة الرد وعجيباً لا تنقضي عجائبه ومفيداً لا تنفد فوائده، والقرآن على أربعة أوجه: حلال وحرام لا يسع الناس جهله، وتفسير لا يعلمه إلا العلماء، وعربية تعرفها العرب،

(١) فهرست الشيخ الطوسي.

(٢) الروض النضير: ج ١، ص ٢٨.

(٣) الهذ سرعة القراءة.

وتأويل لا يعلمه إلا الله، وهو ما يكون مما لم يكن، واعلموا رحمكم الله أن للقرآن ظهراً وبطناً وحدّاً ومطلقاً، فظهره تنزيله، وبطنه تأويله، وحده فرائضه وأحكامه، ومطلقه ثوابه وعقابه.

وحدث أبو خالد الواسطي وأبو حمزة الثمالي قالاً خبرنا^(١) رسالة في الرد على الناس ثم خرجنا إلى المدينة فدخلنا على محمد ابن علي الباقر عليه السلام فقلنا: جعلنا فداك إنا خبرنا رسالة رداً على الناس، فقال: اقرأوها فقرأناها قال: لقد أجدتُم واجتهدتُم أفهل أقرأتموها زيدا، قلنا: لا. قال: اقرأوها عليه وانظروا ما يرد عليكم، فدخلنا على زيد قلنا جعلنا فداك رسالة خبرناها في الرد على الناس جئناك بها، قال اقرأوها فقرأناها عليه حتى إذا فرغنا منها، قال: يا أبا حمزة وأنت يا أبا خالد لقد اجتهدتُم ولكنها تكسر عليكم وما زال يرددها حتى فرغ من آخرها حرفاً حرفاً، فوالله ما ندري من أي شيء نتعجب من حفظه لها أو من كسرهما ثم أعطانا جملة من الكلام نعرف به الرد على الناس قالاً فرجعنا إلى محمد بن علي عليه السلام فأخبرناه ما كان من زيد قال يا أبا خالد وأنت يا أبا حمزة إن أبي دعا زيدا فاستقرأه القرآن فقرأه وسأله عن المعضلات فأجاب، ثم دعا له وقبّل ما بين عينيه ثم قال: يا أبا خالد وأنت يا أبا حمزة إن زيدا أُعطي من العلم مثل ما علينا بسطه.

(١) تحرير الخط تحسينه.

ومن أمر الباقر عليه السلام بعرض الرسالة على زيد نعرف مقدار مكانته عنده وعظم خطره لديه ، وأنه ممن يستحق إظهار الفضل لما أُوتي من العلم الذي تحمله آباؤه المعصومون عليهم السلام ، وإلا لم يخفَ على الباقر عليه السلام ما ظهر لزيد من وجوه الإشكال في الرسالة والخلل في الطعن على أولئك الناس ، فكان عليه أن يعرفهما النقص في ذلك التركيب ويرشدهما إلى الحجة اللازمة لنقض الخصم ودفع شبهته ، لكن لما عرف من أخيه زيد وفاء بما عنده من النقص وصلوحه لتلك المهمة ، أراد إظهار فضله أمام شيعته ليجب عليهم القيام بحقه وتنزيله منزلته .

وحدث خالد بن صفوان قال : أتينا زيد بن علي عليه السلام وهو يومئذ بالرصافة^(١) فدخلنا عليه في نفر من أهل الشام وعلمائهم

(١) الرصافة واقعة غربي الرقة على البرية بينهما أربع فراسخ ، أحدثها هشام بن عبد الملك بسبب وقوع الطاعون في الشام فكان بعد ذلك يسكنها أيام الصيف ، ويوجد في أخبار غسان أنها كانت قبل الإسلام ولعل هشاماً عمّر سورها وأحدث فيها أبنية فنسبت إليه . وهناك مواضع أخرى سميت بالرصافة . رصافة بغداد ، ورصافة الكوفة أحدثهما المنصور الدوانيقي ، ورصافة البصرة قرية فيها ، ورصافة الحجاز ماء به ، ورصافة أحدثها السفاح بالأنبار ، ورصافة قرطبة أحدثها عبدالرحمن بن هشام بن عبدالملك أول الأمويين بالأندلس ، ورصافة نيسابور ضيعة بها ، ورصافة واسط قرية من أعمال واسط بينهما عشرة فراسخ (معجم البلدان) .

وجاءوا برجل قد انقاد له أهل الشام في البلاغة والنظر في الحجاج، وكلمنا زيد بن علي عليه السلام في الجماعة وقلنا إن الله مع الجماعة، وإن أهل الجماعة حجة الله على خلقه، وإن أهل القلة هم أهل البدع والضلالة. ثم إنه حمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد وآله، وتكلم بكلام ما سمعت قرشياً ولا عربياً أبلغ موعظة ولا أظهر حجة ولا أفصح لهجة منه، ثم أخرج كتاباً قاله في الجماعة والقلة ذكر فيه من كتاب الله ما يذم الكثير ويمدح القلة وأن القليل في الطاعة هم أهل الجماعة والكثير في المعصية هم أهل البدع فأفحم الشامي فما أمراً ولا أحلى وانخذل الشاميون فما أجابوا بقليل ولا كثير، وخرجوا من عنده صاغرين منكسي رؤوسهم حياءً وخجلاً، وأقبلوا على صاحبهم يعذّلونه ويقولون زعمت أنك لا تدع له حجة إلا رددتها وكسرتها، حتى إذا تكلم خرست فما تنطق بقليل ولا بكثير، فقال ويلكم كيف أكلم رجلاً حاجبني بكتاب الله أفأستطيع أن أرد كلام الله تعالى. فكان خالد بن صفوان يقول بعد ذلك ما رأيت رجلاً في الدنيا قرشياً ولا عربياً يزيد في العقل والحجاج على زيد بن علي عليه السلام ^(١).

(١) هذا الحديث وما قبله من حديث أبي غسان الأزدي وأبي خالد الواسطي وأبي حمزة الثمالي في الحقائق الوردية مخطوط.

مؤلفاته

يكفينا في القناعة بأن القريحة فذة والعبقرية ممتازة وأنها ملأت فراغاً واسعاً بشهرتها في ناحية من نواحي الأدب والأخلاق كثرة ما يؤثر عنها من أحاديث ويورد عليها من أقاصيص وينسب إليها من تآليف وتصانيف حقاً كانت أو باطلاً، فلولا النبوغ في تلك الناحية لما صح لها من المآثر حتى الأسطورة، فهذا كرم حاتم هو الذي ملأ أسفار الأدب بأحاديث جوده وصيرّه مثلاً.

وإن صريح هاشم [زيد بن علي عليه السلام] لولا علمه الجرم وأدبه الكثير لم يؤثر عنه من الكتب والتآليف ما أثر، ولم يدون له غيره من علومه ورواياته ما دُون، غير أن تعاقب الأجيال وبعُد العهد وتفرق الكتب وضياعها تركتنا في منتزح عن عرفانها أو الإحاطة بها جمعاء وإحصاء ما صحت روايته وما لم تصح، على أننا نذكر ههنا ما أوقفنا عليه البحث مما وجدنا الإشارة إليه في كتب علمائنا أو وجدناه منسوباً إليه عند علماء الزيدية على علاته وإليك البيان:

١ - المجموع الفقهي طبع بمصر سنة ١٣٤٠هـ في مجلد تبلغ صحائفه ١٩٢، برواية أبي خالد الواسطي، وتأليف عبد العزيز بن إسحاق البغدادي المولود في سنة ٢٧٢ والمتوفى في سنة ٣٤٣، ومحتوياته من كتب الفقه، كتاب الطهارة، كتاب الصلاة، كتاب الجنائز، كتاب الزكاة، كتاب الصيام، كتاب الحج، كتاب البيوع ويندرج فيه الشفعة والمضاربة والمزارعة، كتاب الشركة ويندرج فيه الإجارة والرهن والعارية والوديعة والهبات، والصدقة واللقطة والغصب والضمان والحوالة والكفالة والوكالة، كتاب الشهادات ويندرج فيه اليمين والقضاء، كتاب النكاح، كتاب الطلاق، ويندرج في الخلع والظهار والإيلاء واللعان، كتاب الحدود ويندرج فيه الديات، كتاب السير ويندرج فيه الخمس والجهاد، كتاب الفرائض. وقرأت في (مجلة الهلال): ج ٧، ص ٦٤٨، سنة ١٣٤٠هـ من سنتها الثلاثين أن المجموع الفقهي لزيد بن علي طبع بميلانو سنة ١٩١٩ م وقدم لملك إيطاليا (عمانوئيل).

ووجدت المجموع الفقهي مشروحاً شرحاً بسيطاً ممزوجاً بالأصل في أربعة أجزاء مطبوعة في مصر أسماه مؤلفه القاضي شرف الدين الحسين بن أحمد بن الحسين السياغي الحيمي الصنعاني المتوفى سنة ١٢٢١هـ (الروض النضير)

تكلم فيه بعد تخريج الأحاديث من الصحاح الستة وغيرها على بعض رجالها جرحاً وتعديلاً، وذكر في مقدمة الجزء الأول أسماء من شرح المجموع الفقهي، وعد ممن شرحه القاضي أبا محمد أحمد بن ناصر بن محمد بن عبد الحق المخلافي الحيمي بلغ فيه إلى سجد السهو، وشرحه محمد بن المطهر في جزأين سماه المنهاج الجلي، وشرحه الحافظ أحمد بن يوسف بن الحسين بن الحسن بن منصور شرحاً بسيطاً خرج الأحاديث ومتونها وتكلم على رجالها مع مقدمة ذكر فيها تراجم ما جاء في السند.

٢ - المجموع الحديثي مختص بالحديث فقط تأليف عبد العزيز ورواية أبي خالد الواسطي ولم نعر على طبعه، غير أن الظاهر مما نشرته (الهلal) أنه مطبوع مع المجموع الفقهي وجعل كخاتمة له فإنها بعد أن عدت أبواب المجموع الفقهي كما أشرنا إليه، ذكرت له خاتمة تشتمل على أبواب منها في فضل العلماء ومنها في الإخلاص ومنها في أخبار وأحاديث حسان. وفي الروض النضير: ج ١، ص ٢٨، أن المجموع الحديثي رواه عن زيد أبو خالد الواسطي ورواه عن أبي خالد إبراهيم بن الزبرقان ورواه عن إبراهيم نصر بن مزاحم المنقري صاحب كتاب صفين وفي ص ٧ ذكر أن الحافظ أحمد بن يوسف شارح المجموع الفقهي شرح المجموع الحديثي وسماه الفتح العلي وخرج أحاديثه.

٣ - تفسير غريب القرآن في الروض النضير: ص ٦٥، ج ١، رواه عن زيد عطاء بن السائب وروى عنه قطعة في التفسير عبد الله بن العلي.

٤ - إثبات الوصية في الروض النضير رواها عنه خالد بن محمد، وفي مقدمة المجموع الفقهي المطبوع بمصر سنة ١٣٤٠هـ له تثبيت الإمامة ويحتمل اتحادها مع إثبات الوصية.

٥ - قراءته الخاصة جمعها إمام النحاة أبو حيان في كتاب سماه النيّر الجلي في قراءة زيد بن علي قال في الروض النضير: ج ١، ص ٥٤، روى صاحب الكشاف كثيراً من قراءة زيد.

٦ - قراءة جده علي بن أبي طالب عليه السلام رواها عنه عمر بن موسى الوجهي كما في فهرست الشيخ الطوسي ويحتمل اتحادها مع القراءة التي جمعها أبو حيان.

٧ - كتاب مدح القلة وذم الكثرة رواه خالد بن صفوان ذكره في الروض النضير: ج ١، ص ٦٥.

٨ - منسك الحج طبعه العلامة المتتبع الأستاذ الأكبر السيد محمد علي هبة الدين الشهرستاني بمطبعة الفرات ببغداد سنة ١٣٤٢هـ بلغت صحائفه ١٤ مع مقدمة له تبلغ عشر صحائف

ومحتوياته من أبواب الفقه ما يلي :

(١) باب في الإحرام (٢) في التلبية (٣) فيما يكره من قتل الدواب (٤) ما يكره من الطيب والدهن للمحرم (٥) كراهة أكل الصيد (٦) ما يكره من لبس الثياب (٧) في المتمتع وقطع التلبية (٨) دخول المسجد الحرام (٩) الدعاء عند استلام الحجر (١٠) مقام إبراهيم (١١) الصعود على الصفا والمروة (١٢) الدعاء عند السعي (١٣) الحل من العمرة (١٤) تحريم الصيد حال الإحرام (١٥) جزاء الفداء (١٦) الرواح إلى منى (١٧) الذهاب إلى عرفات (١٨) الإفاضة إلى المزدلفة (١٩) الرجوع إلى منى (٢٠) القول عند ذبح الأضحية (٢١) زيارة البيت الحرام (٢٢) من لا يجد هدياً (٢٣) رمي الجمار (٢٤) النفر من منى (٢٥) التكبير أيام التشريق (٢٦) الوداع (٢٧) ما تصنع النساء في الحج (٢٨) كراهية أخذ الشعر إذا دخل شوال .

مدرسته وتلاميذه

يظهر لكل من نظر في جوامع الأحاديث^(١) مقاصد زيد السامية وغاياته الشريفة، في نشر ما تحمله عن آباءه الهداة من الفضائل والمواعظ والأحكام، فإنه لا يريد بكل ذلك إلا إلقاء التعاليم الدينية والأخلاقية، وإصلاح أمة جده عليه السلام بتهذيب أخلاقها وإرشادها إلى نهج الحق واستضاءتها بنور ذلك الدين الحنيف، ومن هنا كان مصدراً لجمع كبير من حملة الآثار وعليه

(١) اقرأ فروع الكافي في باب أكيل السبع، ومن لا يحضره الفقيه في ميراث ابن الملاعنة، ومجالس الشيخ المفيد مخطوط في مجلس: ١٩ و ٢٣، والخصال للصدوق في باب الاثنين والثلاثة والستة والعشرة والمجالس له في مجلس: ٩، ومعاني الأخبار: له في باب ٢٧ و ١١٥، والعلل: له في باب ١١٣، وأمالى الشيخ الطوسي: ص ٢٤ و ٢٩، وأمالى ابنه: ص ٣٦ و ٧٥ و ١٢٥ و ٢٢٤ و ٢٨٨ و ٣١٢ و ٣١٨ و ٣٢٥، ومناقب ابن شهر آشوب: ج ١، ص ٢٦٢، وص ٥٤٣، وبشارة المصطفى مخطوط في حديث: ٢٤٥ و ٣١٢، والبحار: ج ٨، ص ١٩٢، وتفسير غريب القرآن للنيسابوري بهامش تفسير الطبري: ج ٩، ص ٤.

معولهم، لما عرفوا منه غزارة في العلم ونزاهة في التحمل والنشر. وإليك أسماء من أخذ عنه:

ابنه يحيى ومحمد بن مسلم ومحمد بن بكير وعبيد الله بن صالح وهاشم بن البريد وأبو جعفر بن أبي زياد الأحمر وأبو الجارود زياد بن المنذر وكثير بن طارق وعمر بن موسى بن الوجهي وعبيد الله بن أبي العلاء ورزين بياع الأنماط وأبان بن عثمان الأجلح والفضيل وعمر بن خالد^(١).

والزهري والأعمش وسعيد بن خثيم وإسماعيل السدي وزيد اليامي وزكريا بن زائدة وعبد الرحمن بن الحارث بن عياش بن أبي ربيعة وابن أبي الزناد^(٢) وشعبة^(٣) وفي التحفة الاثني عشرية^(٤) لعبد العزيز الدهلوي أن أبا حنيفة أخذ العلم والطريقة من الإمام الباقر ومن الصادق عليه السلام ومن عمه زيد بن علي بن الحسين عليه السلام وفي الروض النضير^(٥) تلمذ أبو حنيفة على زيد مدة سنتين، ولم يمنعه من التجاهر بذلك إلا سلطان بني أمية وكان

(١) لاحظ مجالس الصدوق: مجلس ١٩، وأمالى الشيخ الطوسي: ص ٢٩،

وأمالى ابنه: ص ٣٦ و ٢٢٤ و ٣٢٥، ومستطرفات السرائر.

(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر ترجمة زيد.

(٣) كفاية الطالب للحافظ الكنجي الشافعي مخطوط.

(٤) ص ٨ طبع بمبي سنة ١٣١٥ هـ.

(٥) ج ١، ص ٦٦.

سلمة بن كهيل ويزيد بن أبي زياد وهرون بن سعيد وأبو هاشم الرماني وحجاج بن دينار في عدد كثير من فقهاء الكوفة يأتون إلى زيد ويأخذون منه العلم والفقه وكانوا على رأيه، وتروي الزيدية أن جماعة كثيرة روت الحديث عن زيد ذكر أسمائهم في الروض النضير: ج ١، ص ٦٢.

وعن تهذيب الكمال للحافظ المزي أن آدم بن عبد الله الخثعمي وإسحق بن سالم وبسام الصيرفي وراشد بن سعد الصائغ وزياد بن علاقة وعبد الله بن عمرو بن معاوية حملوا الحديث عن زيد.

وهؤلاء غير رجالات أهل البيت الهاشمي إبراهيم بن الحسن المثنى وأخيه الحسن المثلث والحسين بن الإمام زين العابدين (عليه السلام) وعبيد الله وعبد الله ابني محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) فإنهم كانوا يأتون إليه ويأخذون منه العلم والحديث^(١).

هذا في من أخذ عنه من رواة الأخبار وأما مصدر رواياته فقد ألمعنا إلى ما اتفق عليه العلماء من ملازمته لأبيه السجاد والباقر والصادق (عليه السلام)، وأنه تخرج عليهم. ونزيدك الآن بما قرأناه في «كفاية الأثر» من روايته عن أبي حمزة الثمالي. وأما ما جاء في

(١) الروض النضير: ج ١، ص ٦٥.

ترجمته من «تهذيب التهذيب» من روايته عن أبان بن عثمان وعروة بن الزبير وعبيد الله بن أبي رافع فلا نعرف له شاهداً تثق به النفس وإن وجد في جامع الترمذي وسنن أبي داود وابن ماجه القزويني والنسائي ومن هذا القبيل حكاية «تهذيب التهذيب» رواية ابنه الحسين ذي الدمة وعيسى عنه فإنهما لم يكونا عند قتله في سن قابل لتحمل الآثار كما أن ما جاء في أمالي ابن الشيخ الطوسي من رواية جعفر بن زيد واضح الخطأ وستعرفه عند الكلام على أولاد زيد.

«زهده وعبادته»

اختص البيت الهاشمي من بين البيوتات بالزهد والتقوى والخشوع والخضوع والعبادة، وكان يقال له بيت عبادة وزهادة، وتسابق أبناؤه على هذه المكرمة. وممن كان له المثل الأعلى لتلك الفضائل بعد الأئمة الهداة عليهم السلام الشهيد زيد، فقد احتذى مثال آبائه في كثرة العبادة والاستغفار والتفكير في آلاء الله وصنائه، فطار صيته بذلك واشتهر بأنه حليف القرآن والعبادة. قال أبو الجارود: قدمت المدينة فجعلت كلما أسأل عن زيد قيل لي: ذاك حليف القرآن ذاك اسطوانة المسجد، من كثرة صلاته^(١)، ويقول أبو حنيفة حينما يسأل عنه هو حليف القرآن منقطع القرين^(٢)، وفي كلام الفخري والذهبي والشبلنجي وأحمد ابن حميد^(٣)، أنه من أكابر الصلحاء وأعظم أهل البيت عبادة

(١) سر السلسلة العلوية مخطوط.

(٢) الخطط المقرزية: ج ٤، ص ٣٠٧.

(٣) انظر الآداب السلطانية ومختصر تاريخ الإسلام للذهبي ونور الأبصار = =

وزهداً وورعاً ودينياً وخضوعاً. ويشهد لذلك ما يرويه الحافظ علي بن محمد بن علي الخزاز الرازي في (كفاية الأثر) عن عمير ابن المتوكل بن هارون البلخي عن أبيه عن يحيى بن زيد، وفيه قول يحيى للمتوكل يا عبد الله إني أخبرك عن أبي زهده وعبادته، إنه كان يصلي الفريضة ثم يصلي ما شاء الله ثم يقوم على قدميه يدعو الله إلى الفجر يتضرع له ويبكي بدموع جارية حتى يطلع الفجر فإذا طلع الفجر قام وصلى الفريضة ثم جلس للتعقيب إلى أن يتعالى النهار، ثم يقوم في حاجته ساعة، فإذا كان قرب الزوال قعد في مصلاه سبح الله ومجده إلى وقت الصلاة وقام فصلى الأولى وجلس هنيئة وصلى العصر وقعد في تعقبه ساعة ثم سجد سجدة، فإذا غابت الشمس صلى المغرب والعتمة قلت: كان يصوم دهره، قال: لا، ولكنه يصوم في السنة ثلاثة أشهر وفي الشهر ثلاثة أيام. قلت: وكان يفتي الناس، قال: ما أذكر ذلك عنه.

وسأل سعيد بن جبير محمد بن خالد عن مقام زيد في قلوب أهل العراق، قال له: إني لا أحدثك عن أهل العراق، ولكن أحدثك عن رجل يقال له النازلي، يقول صحبت زيداً ما بين مكة والمدينة، فكان يصلي الفريضة ثم يصلي ما بين الصلاة إلى

الصلاة، ويصلي الليل كله ويكثر التسبيح، ويردد قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ (١٩)، فيصلي بنا ليله، ثم يردد هذه الآية إلى قريب من نصف الليل، فانتبهت وهو رافع يديه إلى السماء ويقول إلهي عذاب الدنيا أيسر من عذاب الآخرة، ثم انتحب، فقمت إليه وقلت: يا بن رسول الله لقد جزعت في ليلتك هذه جزعاً ما كنت أعرفه، قال: ويحك يا نازلي إني رأيت الليلة وأنا في سجودي إذ رفع لي زمرة الناس عليهم ثياب ما رأته الأبصار حتى أحاطوا بي وأنا ساجد، فقال كبيرهم الذي يسمعون منه: أهو ذلك، قالوا: نعم، قال: أبشر يا زيد إنك مقتول في الله ومصلوب ومحروق بالنار ولا تمسك النار بعدها أبداً، فانتبهت وأنا فزع والله يا نازلي لوددت أنني أحرقت بالنار ثم أحرقت بالنار وأن الله أصلح لهذه الأمة أمرها^(١).

وسأل بعض الأخباريين خالد بن فضلة عن فضل زيد، فقال: كان يبكي من خشية الله حتى تختلط دموعه بدمه طول ليله^(٢) وبمثله يحدث هشام بن هشام عن خالد بن صفوان^(٣).

(١) تفسير فرات: ص ١٦٦، النجف.

(٢) منتخب الطريحي: ج ٢، ص ١٧. الهند.

(٣) إرشاد المفيد.

وفي الحديث دلالة على تقريح جفونه من كثرة البكاء خشية منه تعالى ولقد كان الأئمة عليهم السلام يبكون لفاجعة سيد الشهداء عليه السلام حتى تقرحت جفونهم. كما في حديث الرضا عليه السلام إن يوم الحسين عليه السلام أقرح جفوننا وأذل عزيزنا وأورثنا الكرب والبلاء إلى يوم الانقضاء.

وكان عاصم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب يقول لأهل الكوفة: لقد أصيب عندكم رجل ما كان في زمانكم مثله ولا أراه يكون بعده مثله [زيد بن علي عليه السلام]، لقد رأيته وهو غلام حدث يسمع الشيء من ذكر الله فيبكي حتى يغشى عليه، فيقول القائل والله ما هو بعائد إلى الدنيا، وكان إذا فتح المصحف وقرأ شيئاً من آياته أخذته الرعدة والبكاء، ولقد قرأ يوماً قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ فقال: هذا الوعد والوعيد والتهديد من الله، اللهم لا تجعلنا ممن تولى عنك فاستبدلت به بدلاً. ولم يزل يكرر ذلك ويبكي حتى يغشى عليه^(١).

(١) الخطط المقرزية: ج ٤، ص ٣٠٧.

أدعيته

مما يؤسف عليه جداً أن تلك الآثار التي مثلت لنا صورة قدسية محسنة من عبادة الشهيد زيد وزهده وبخوعه وعرفتنا حال حياته وأن كل أيامه وقف على الصلاة والصيام، وعلى البكاء من أهوال يوم الجزاء والابتهاال إليه عز شأنه والاجتهاد في طلب مرضاته، لم تحمل لنا شيئاً من أدعيته وأذكاره لتكون أثراً يقتفيه المبتهلون المتضرعون ومرآة يتشوف منها منازل الأبرار. ولقد فحصنا جهد الإمكان عن أدعيته وأذكاره فلم نعثر إلا على ما يحدث به الحافظ ابن عساكر بترجمة زيد من تاريخ الشام ج ٦، ص ١٨ عن عبيد بن محمد بن علي، قال: كان من دعاء زيد بن علي قوله:

اللهمَّ إني أسألك سلواً عن الدنيا وبغضاً لها ولأهلها، فإن خيرها زهيد وشرها عتيد، وجمعها ينفد، وصفوها يرنق، وجديدها يخلق وخيرها ينكد، وما فات منها حسرة، وما أُصيب منها فتنه، إلا من نالته منك عصمة، أسألك اللهم العصمة منها،

ولا تجعلنا كمن رضي بها واطمأن إليها فإن من أمنها خائته ومن اطمأن إليها فجعته .

أعوذ بك اللهم من مثل عمله ، ومثل مصيره ، ثم قال : كم لي من ذنب وسرف بعد سرف قد ستره ربي وما كشف ، أجل أجل ستر ربي العورة وأقال العثرة حتى أكثر في من الإساءة وأكثر ربي فيها من المعافاة ، إني لأستحي من عظمته أن أفضي إليه بما استخفى به من عبد له ، وبما أنه ليفضح من هو خير مني في ما هو أدنى منه ثم ما كشف ربي لي فيه سترًا ولا سلط علي فيه عدوًا فكم له في ذلك من يد ويد ما أنا إن نسيتها بذكور ، وما إن كفرتها بشكور وما ندمت عليها إذا لم أعتبك منها . رب لك العتبي بما تحب وترضى ، فهذه يدي وناصيتي مقر بذنبي معترف بخطيئتي إن أنكرها أكذب وإن أعترف بها أعذب ، إن لم يعفُ الرب ، ويغفر الذنب ، فإن يغفر فتكرماً ، وإن الله ليس بظلام للعبيد ، فهو المستعان لا يزال يعين ضعيفاً ، ويغيث مستغيثاً ، ويوجب داعياً ، ويكشف كرباً ، ويقضي حاجة ذي الحاجة في كل يوم وليلة ، أجل أجل أنت كذاك وخير من ذاك .

(أدبه)

من ذلك تعرف أنه سالك في كل آتاه طريق آبائه «أمناء الحق» عليه السلام من الذكر والابتغال والصلاة، وأن الغاية المتوخاة له ليست إلا الخضوع لله سبحانه كما عليه الأولياء المتضرعون والأبرار المتبتلون، الذين اتخذوا الذكر والبكاء سميراً لهم عند الوحشة والفراغ من واجب أمر المعاش. ومن هنا لا نعهده في الشعراء الذين قضوا أوقاتهم في الشعر وأطواره كيف والشعر يستدعي حالاً غير ذلك الحال. نعم قد يجري على لسانه البيتان والثلاثة وما هو إلا من عفو البديهة وفواضل التفكير ومن هذا قوله في رثاء الباقر عليه السلام^(١):

ثوى باقر العلم في ملحد إمام الورى طيب المولد
فمن لي سوى جعفر بعده إمام الورى الأوحـد الأمجد
أبا جعفر الخير أنت الإمام وأنت المرجى لبلى غد

(١) مناقب ابن شهر آشوب: ج ٢، ص ٢٨٥.

وله وقد مر بجماعة من قريش سمعهم يفضلون قوماً على علي بن أبي طالب عليه السلام فبعث بها إليهم^(١):

ومن فضل الأقسام يوماً برأيه فإن علياً فضلته المناقب
وقول رسول الله والقول قوله وإن رغمت منه الأنوف الكواذب
دعاه ببدر فاستجاب لأمره كهارون من موسى أخ لي وصاحب
فما زال يعلوهم به وكأنهم شهاب تلقاه القوانس ثاقب
ووقف بمقابر النبا ج عند ذهابه إلى الحج فقال^(٢):

لكل أناس مقبر بفنائهم فهم ينقصون والقبور تزيد
فما ان تزال دارحي قد أخربت وقبر بأفناء البيوت جديد^(٣)
هم جيرة الأحياء أما مزارهم فدانٍ وأما الملتقى فبعيد
قال ابن عساكر في تاريخ الشام^(٤) لما خرج زيد بن علي من مجلس هشام وقد دار الكلام بينهما في أمر الخلافة أنشأ يقول:

مهلاً بني عمنا عن نحت أثلتنا سيروا رويداً كما كنتم تسيرونا
لا تطمعوا أن تهينونا ونكرمكم وأن نكف الأذى عنكم وتؤذونا

(١) الأربعين عن الأربعين لمحمد بن الحسين النيسابوري مخطوط وذكرها ابن شهر آشوب في المناقب: ج ٢، ص ٢٨٥ بترك البيت الرابع.

(٢) العقد الفريد: ج ٢، في باب القول عند المقابر.

(٣) في صدر البيت وصل همزة القطع للضرورة.

(٤) ج ٦، ص ٢٣.

اللّٰه يعلم أنّا لا نحبك
كل امرئ مولع في بغض صاحبه
ولا نلومكم ألا تحبونا
فنحمد الله نقلوكم وتقلونا
وله ^(١):

نحن سادات قريـ
نحن أنوار التي من
نحن منا المصطفى
فبنا قد عرف الله
سوف يصلاه سعيـ
ش وقوام الحق فينا
قبل خلق الخلق كنا
المختار والمهديّ منا
وبالحق أقمنا
من توالى اليوم عنا

وفي الحقائق الوردية كان من إنشاء زيد قوله مخاطباً لابنه
يحيى:

أبنيّ إمّا أهلكنّ فلا تكن
واحذر مصاحبة اللئيم فإنما
ولقد بلوت الناس ثم خبرتهم
فإذا القرابة لا تقرّب صاحباً
وقوله في رثاء الباقر عليه السلام :

يا موت أنت سلبتني إلفا
وا حسرتا لا نلتقي أبداً
قدمته وتركتني خلفا
حتى نقوم لربنا صفا

وقوله :

يقولون زيداً لا يزكي بماله وكيف يزكي المال من هو باذله
إذا حال حولاً لم يكن في ديارنا من المال إلا رسمه وفضائله

وقوله :

السيف يعرف عزمي عند هبته والرمح بي خبر والله لي وزر
إننا لنأمل ما كانت أوائلنا من قبل تأمله إن ساعد القدر

«خطبه»

كان معروفاً بفصاحة المنطق وجزالة القول والسرعة في الجواب وحسن المحاضرة والوضوح في البيان والإيجاز في تأدية المعاني على أبلغ وجه، وكان كلامه يشبه كلام جده علي بن أبي طالب عليه السلام، بلاغة وفصاحة^(١)، فلا أبدع إذاً إن عده الجاحظ^(٢) من خطباء بني هاشم، ووصفه أبو إسحق السبيعي والأعمش بأنه أفصح أهل بيته لساناً وأكثرهم بياناً^(٣). ويشهد له أن هشام بن عبد الملك لم يزل منذ دخل زيد الكوفة يبعث الكتاب أثر الكتاب إلى عامل العراق، يأمره بإخراج زيد من الكوفة ومنع الناس من حضور مجلسه، لأنه الجذاب للقلوب بعلمه الجم وبيانه السهل، وأن له لساناً أقطع من السيف وأحد من شبا الأسنة وأبلغ من

(١) الحقائق الوردية.

(٢) البيان والتبيين: ج ١، ص ١٩٠، طبع سنة ١٣٣٢.

(٣) الخطط المقرزية: ج ٤، ص ٣٠٧.

السحر والكهانة ومن النفث في العقد^(١). وجوابه لهشام بن عبد الملك يوم قال له: بلغني أنك تذكر الخلافة وتتمناها ولست هناك وأنت ابن أمة، شاهد عدل على تلك الدعوى التي لم تقع محل التشكيك، فلقد بان عليه في ذلك المجلس المحتشد بوجوه أهل الشام، العجز والانقطاع، حدث معمر بن خثيم عنه أنه يقول: كنت أماري هشام وأكايده الكلام ولم أترك له مخرجاً، دخلت عليه يوماً فذكر بني أمية وافتخر بهم، فقال كانوا أشد قريش أركاناً وأعلاهم مكاناً وسلطاناً، وكانوا رؤوس قريش في جاهليتها وملوكها في إسلامها. فقلت: على من تفتخر على هاشم وهو أول من أطعم الطعام وضرب الهام وخضعت له قريش، بإرغام، أم على عبد المطلب سيد مضر جميعاً، وإن قلت معد كلها صدقت، إذا ركب مشوا وإذا انتعل احتفوا وإذا تكلم سكتوا، وهو مطعم الوحش في رؤوس الجبال، والطير والسباع والإنس في السهل، حافر زمزم، وساقى الحجيج، وربيع العمرتين، أم على بيته أشراف الرجال، أم على سيد ولد آدم رسول الله ﷺ المحمول على البراق، أم على أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، أخي رسول الله ﷺ، وابن عمه، والمفرج عنه الكرب، وأول من قال لا إله إلا الله بعد

(١) تاريخ الطبري: ج ٨، ص ٢٦٥، ونور الأبصار.

رسول الله ﷺ، لم يبارزه فارس قط إلا قتله، وقال فيه رسول الله ﷺ ما لم يقله في أحد من أصحابه ولا لأحد من أهل بيته، فاحمر وجه هشام وبهت ولم يحرج جواباً^(١)، وإليك ما وجدناه من خطبه محفوظة في الجوامع ليكون مثلاً لتلك الدعوى التي لم تقع محل التشكيك.

١ - حدث أبو الجارود قال خطب زيد بن علي عليه السلام أصحابه حين الخروج فقال: «الحمد لله الذي منّ علينا بالبصرة، وجعل لنا قلوباً عاقلة وأسماعاً واعية، قد أفلح من جعل الخير شعاره والحق دثاره، وصلى الله على خير خلقه الذي جاء بالصدق من عند ربه وصدق به الصادق [محمد]، وعلى آله الطاهرين من عترته وأسرته والمنتجبين من أهل بيته.

أيها الناس العجل العجل قبل حلول الأجل وانقطاع الأمل، فوراءكم طالب لا يفوته هارب إلا هارب هرب منه إليه، ففروا إلى الله بطاعته، واستجيروا بثوابه من عقابه، فقد أسمعكم وبصركم ودعاكم إليه وأنذركم، وأنتم اليوم حجة على من بعدكم، إن الله يقول: ﴿لِيَنْفَقَهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾. ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون، ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم

(١) الروض النضير: ج ١، ص ٧٢.

البيئات أولئك لهم عذاب عظيم . عباد الله إننا ندعوكم إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله سبحانه وتعالى ، إن الله دمر قوماً اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله .

عباد الله كأن الدنيا إذا انقطعت وتقضت لم تكن ، وكأن ما هو كائن قد نزل ، وكأن ما هو زائل قد رحل ، فسارعوا في الخيرات واكتسبوا المعروف تكونوا من الله بسبيل ، فإن من سارع في الشر واكتسب المنكر ليس من الله في شيء .

أنا اليوم أتكلم وتسمعون ولا تنصرون ، وغداً بين أظهركم هامة فتندمون ولكن الله ينصرنى إذا ردني إليه فهو الحاكم بيننا وبين قومنا بالحق ، فمن سمع دعوتنا وأتاب إلى سبيلنا وجاهد بنفسه نفسه ومن يليه من أهل الباطل لادعائهم الدنيا الزائلة الآفة على الآخرة الباقية ، فالله من أولئك بريء ، وهو يحكم بيننا وبينهم ، إذا لقيتم قوماً فادعوهم إلى أمركم ، فإن يستجب لكم برجل واحد خير مما طلعت عليه الشمس من ذهب وفضة ، وعليكم بسيرة أمير المؤمنين عليه السلام بالبصرة ، لا تتبعوا مدبراً ، ولا تجهزوا على جريح ، ولا تفتحوا باباً مغلقاً والله على ما نقول وكيل .

عباد الله لا تقاتلوا عدوكم على الشك ففضلوا عن سبيل الله

ولكن البصيرة ثم القتال، فإن الله يجازي عن اليقين أفضل جزاء يجزي به على حق، إنه من قتل نفساً يشك في ضلالتها كمن قتل نفساً بغير حق. عباد الله البصيرة ثم البصيرة.

قال أبو الجارود قلت له: يا بن رسول الله الرجل يبذل نفسه على غير بصيرة، قال نعم أكثر من أن ترى عشقت قلوبهم الدنيا والطمع أرداهم إلا القليل. والذين لا يحضرون الدنيا على قلوبهم ولا لها يسعون أولئك مني وأنا منهم.

٢ - وحدث عمر بن صالح العجلي أنه سمع زيد بن علي يخطب أصحابه ويقول: «الحمد لله مدعناً له بالاستكانة مقرأً له بالوحدانية، وأتوكل عليه توكل من لجأ إليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده المصطفى ورسوله المرتضى الأمين على وحيه، المأمون على خلقه، المؤدي إليهم ما استرعاه من حقه، حتى قبضه عليه السلام. أيها الناس أوصيكم بتقوى الله فإن الموصي بتقوى الله لم يدخر نصيحة ولم يقصر عن إبلاغ عظة، فاتقوا الله في الأمر الذي لا يصل إلا إلى الله تعالى إن أطعتموه، ولا ينقص من ملكه شيء إن عصيتموه، ولا تستعينوا بنعمته على معصيته، وأجملوا في طلب مباغي أموركم وتفكروا وانظروا^(١)».

(١) هذه الخطبة وسابقتها في الحقائق الوردية.

٣ - وحدث فرات بن إبراهيم الكوفي في تفسيره^(١) أن زيد ابن علي عليه السلام خطب الناس فقال: أيها الناس إن الله بعث في كل زمان خيرة ومن كل خيرة منتجباً حبة منه، فإن الله أعلم حيث يجعل رسالته، ولم يزل الله يتناسخ خيرته حتى أخرج محمداً عليه السلام من أفضل تربة وأطهر عترة أخرجت للناس، فلما قبض الله محمداً عليه السلام ولا عارف أنجزكم بعد زخورها وحصرت حصونكم بعد منعته، وافتخرت قريش على سائر الأمم بأن محمداً عليه السلام منها، ودانت العجم للعرب بأن محمداً عليه السلام كان عربياً حتى ظهرت الكلمة، وتمت النعمة فاتقوا الله عباد الله وأجيبوا إلى الحق وكونوا أعواناً لمن دعاكم إليه ولا تأخذوا سنة بني إسرائيل كذبوا أنبياءهم وقتلوا أهل بيت نبيهم، ثم أنا أذكركم أيها السامعون لدعوتنا المتفهمون لمقاتلتنا بالله العظيم الذي لم يذكر المذكرون بمثله، إذا ذكروه وجلت قلوبهم، واقشعرت جلودهم، ألستم تعلمون أنا أهل بيت نبيكم المظلومون المقهورون، فلا سهم وفينا، ولا تراث أعطينا، ينشأ ناشئنا بالقهر، ويموت ميئنا بالذل.

ويحكم إن الله فرض عليكم جهاد أهل البغي والعدوان، وفرض نصرة أوليائه الداعين إليه وإلى كتابه، قال الله: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ﴾ وإنا قوم غضبنا الله ربنا، ونقمنا الجور المعمول به

(١) انظره في تفسير سورة الأنعام الآية ١٢٤ ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾.

في أهل ملتنا، ووضعنا كل من توارث الخلافة، وحكم بالأهواء ونقض العهد، وصلى الصلاة لغير وقتها، وأزال الأفياء والأخماس والغنائم، ومنعها الفقراء والمساكين وأبناء السبيل، وعطل الحدود، وأخذ بها الجزيل من المال وحكم بالرشا والشفاعات والمنازل، وقرب الفاسقين، ومثل بالصالحين، واستعمل الخونة، وخون أهل الأمانات، وسلط المجوس، وجهز الجيوش، وقتل الولدان، وأمر بالمنكر ونهى عن المعروف، ويحكم بخلاف حكم الله، ويصد عن سبيل الله وينتهك المحارم، فمن أشر عند الله منزلة ممن افترى على الله كذباً، أو صد عن سبيله وبغى في الأرض، ومن أعظم عند الله منزلة ممن أطاعه، ودان بأمره وجاهد في سبيله، ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين^(١)، أولئك يدخلون الجنة، فمن سألنا عن دعوتنا هذه فإننا ندعو إلى الله وإلى كتابه وإيثاره على ما سواه، وأن نصلي الصلاة لوقتها، ونأخذ الزكاة لوجهها وندفعها إلى أهلها، وننسك المناسك بهديها، ونضع الفياء والأخماس في مواضعها، ونجاهد المشركين بعد أن ندعوهم إلى الحنيفية، وأن نجبر الكسير، ونفك

(١) إلى هنا من تفسير سورة يوسف في الجزء الأول والباقي من الخطبة ذاتها في الجزء الثاني في تفسير سورة فصلت الآية ٣٣ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

الأسير، ونرد على الفقير ونضع النخوة والتجبر والعدوان والكبر، وأن نرفق بالمعاهدين ولا نكلفهم ما لا يطيقون. اللهم هذا ما ندعو إليه ونعين ونستعين عليه، وإنا نشهدك عليه يا أكبر الشاهدين شهادة، ونشهد عليه جميع من أسكنته أرضك وسمواتك، اللهم ومن أجاب إلى ذلك من مسلم فأعظم أجره وأحسن ذكره، ومن عاجل السوء وآجله فاحفظه وكن له ولياً وهادياً وناصرًا، ونسألك اللهم من أعوانك وأنصارك على إحياء خلقك عصابة تحبهم ويحبونك ويجاهدون في سبيلك لا تأخذهم فيك لومة لائم، اللهم وأنا أول من أناب وأول من أجاب فلييك يا رب وسعديك، فواجهوا إلى الحق وأجيبوا إليه أهله وكونوا أعواناً، فإنما ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه.

٤ - وفي مواسم الأدب وآثار العجم والعرب^(١) أن زيد بن علي عليه السلام خطب أصحابه فقال: أوصيكم عباد الله بتقوى الله التي من اكتفى بها كفته، ومن اجتنب بها وقته، هي الزاد ولها المعاد، وزاد مبلغ ومعاد منج، دعا إليها أسمع داع، ووعاها خير واع، فأعذر داعيها، وفاز واعيها. إن تقوى الله حمت أولياء الله محارمه، وألزمت قلوبهم مخافته، حتى أسهرت ليلهم، وأظلمات هواجرهم، فأخذوا الراحة بالنصب والري بالظماً، وقاربوا

الأجل فبادروا العمل ، وكذبوا الأمل ، طوبى لهم وحسن مآب .

ثم إن الدنيا دار فناء وعناء وَغَيْرَ وَغَيْرَ ، فمن الفناء أن يجمع ما لا يأكل ويبني ما لا يسكن ، ثم يخرج إلى الله لا مالاً حمل ولا بناءً نقل ، ومن العناء أن الدهر موتر قوسه ، ثم لا يخطئ سهمه ، ولا يوأسى جرحه ، يرمي الحي بالموت والصحيح بالعطب ، آكل لا يشبع وشارب لا يروى ، ومن غَيْرِهَا لك تلقى المحروم مغبوطاً والمغبوط محروماً وليس ذلك إلا لغم زال وبؤس نزل ، ومن غَيْرِهَا أن المشرف على أمله يقطعه أجله ، فلا أملٌ يُدْرِكُ ، ولا مُؤَمِّلٌ يُتْرَكُ . فسبحان الله ما أغر سرورها ، وأظمأ ريّها ، وأضحى فيئها ، فكأن الذي قد كان من الدنيا لم يكن ، وكأن الذي هو كائن فيها قد كان ، صار أولياء الله فيها إلى الأجر بالصبر وإلى الأمل بالعمل جاوروا الله في داره ملوكاً خالدين ، إن الله خلق موتاً بين حياتين موتاً بعده حياة وحياة ليس بعدها موت ، وإن أعداء الله نظروا فلم يجدوا شيئاً بعد الموت^(١) فقالوا : ﴿يَمْلِكُ لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكْنُوتٌ﴾ وإن أولياء الله نظروا فلم يجدوا شيئاً بعد الموت إلا والموت أشد منه ، فسألوه الحياة جزعاً من الموت ، ولكل مما هو فيه مزيد فسبحان الله ما أقرب الحي لانقطاعه عنه إنه ليس شيء بخير من الخير إلا ثوابه ،

(١) الظاهر نقصان العبارة والمناسب (إلا والموت أهون منه).

وليس شيء بشر من الشر إلا عقابه، وكل شيء من الدنيا سماعه أعظم من عيانه، وكل شيء من الآخرة عيانه أعظم من سماعه، فليكنكم عن السماع العيان، وعن الغيب الخبر. إن الذي أُمِرتم به أوسع مما نهيتم عنه. وما حرم بكم أكثر مما حرم عليكم. فذروا ما قل لما كثر، وما ضاق لما وسع. وقد تكفل لكم بالرزق وأمركم بالعمل. فلا يكونن المضمون لكم طلبه أولى بكم من المفروض عليكم عمله. مع أنه والله قد اعترض الشك واعتراض اليقين. حتى كأن الذي قد ضمن لكم فرض عليكم وكأن الذي قد فرض عليكم قد وضع عنكم. فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون.

(الحكم والآداب)

وقف التاريخ على نبذة يسيرة من حكمه ومواعظه التي تجري مجرى الأمثال وتعد من جوامع الكلم. فأوصلها إلينا لنستفيد منها دروساً ضافية في الأخلاق وتهذيب النفوس وتطهير القلوب. فمن ذلك قوله: من لم يستحي فهو كافر^(١) وسئل الصمت خير أم الكلام، فقال: قبح الله المساكنة ما أفسدها للبيان وأجلبها للعي والحصر. والله للممارسة أسرع في هدم الفتى من النار في يبس العرفج ومن السيل إلى الحدود^(٢) وكان إذا كلمه إنسان وخاف أن يهجم على أمر يخاف منه مأثماً يقول له: يا عبد الله أمسك أمسك كف كف إليك إليك عليك بالنظر لنفسك ثم يكف عنه ولا يكلمه^(٣) وقال يوماً للزهري وقد قارف ذنباً فاستوحش منه وهرب

(١) ربيع الأبرار للزمخشري في باب الحياء والسكوت طبع الأعلمي بيروت.

(٢) زهر الآداب بهامش العقد الفريد: ج ١، ص ٨٠، طبع سنة ١٣٠٢ هـ وعنها ننقل.

(٣) الخطط المقرزية: ج ٤، ص ٣٠٧.

على وجهه: قنوطك من رحمة الله التي وسعت كل شيء أشد عليك من ذنبك^(١) وقال: المروءة إنصاف من دونك والسمع إلى من فوقك والرضا بما أتي إليك من خير أو شر. وقال لابنه يحيى: إن الله لم يرضك لي فأوصاك بي ورضيني لك فلم يوصني بك. يا بني خير الآباء من لم تدعه المودة إلى الإفراط وخير الأبناء من لم يدعه التقصير إلى العقوق^(٢) وكان يقول لقد خلوت بالقرآن أقرأه فما وجدت في طلب الرزق رخصة وما وجدت ابتغوا من فضل الله إلا العبادة والفق^(٣). وعزاه بعض إخوانه في ولد له توفي فكتب في الجواب: أما بعد فإننا أموات آباء أموات أبناء فوا عجباً من ميت يعزي ميتاً عن ميت والسلام. وقال في وصيته لابنه يحيى عند وفاته: يا بني جاهد الكفار فإنك لعلی الحق وإنهم لعلی الباطل وإن قتلاك لفي الجنة وقتلاهم لفي النار^(٤) وعاتبه هشام بن عبد الملك على شيء بلغه عنه فأنكر زيد أن يكون فعله، ثم قال إني أحلف لك. قال هشام: وإذا حلفت أصدقك؟ قال: نعم إن الله لم يرفع أحداً فوق ألا يرضى به ولا

(١) البيان والتبيين للجاحظ: ج ٣، ص ٨٥.

(٢) تاريخ ابن عساکر: ج ٦، ص ٢٠.

(٣) الخطط المقرزية: ج ٤/ ص ٣٠٧.

(٤) الحدائق الوردية.

يضع أحداً دون ألا يرضى منه^(١). ومما يجري على لسانه وليس
من إنشائه^(٢):

لو يعلم الناس ما في العرف من شرف لشرفوا العرف في الدنيا على الشرف
وبادروا بالذي تحوي أكفهم من الخطير ولو أشفوا على التلف

(١) البيان والتبيين: ج ١، ص ١٧٦.

(٢) تاريخ ابن عساكر: ج ٦، ص ٢٠.

«آراء العلماء فيه»

نظر حفاظ الآثار وأرباب المعاجم والسير عن كذب إلى موقف «زيد» في هذه الشريعة المقدسة، وشاهدوا أعماله الصالحة، وخدماته الشريفة، ونصرته الحق، ودعوته الهاتفة بالعدل والإصلاح، فأكثروا من إطرائه والثناء عليه، وحفظوا في مؤلفاتهم مآثره البيضاء في جبهة الدهر، من الإباء والنجدة والبسالة والتقوى والتبصر في الأمر وموالاته (العترة الطاهرة) وأول من جاهر بذلك :

١ - الحافظ الثبت علي بن محمد علي الخراز القمي في كتابه (كفاية الأثر) قال: كان زيد بن علي معروفاً بالستر والصلاح مشهوراً عند الخاص والعام، وهو بالمحل الشريف الجليل، وكان خروجه على سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا على سبيل المخالفة لابن أخيه (جعفر بن محمد عليه السلام)، وإنما وقع الخلاف من جهة الناس، وذلك أن زيد بن علي عليه السلام لما خرج ولم يخرج (جعفر بن محمد عليه السلام)، توهم

قوم من الشيعة أن امتناع جعفر (عليه السلام) كان للمخالفة وإنما هو لضرب من التدبير، ولما رأى الذين صاروا إلى (الزيدية) سلفاً ذلك، قالوا ليس الإمام من جلس في بيته وأغلق بابه وأرخصى عليه ستره، وإنما الإمام من خرج بسيفه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. فهذا سبب وقوع الخلاف بين الشيعة. وأما جعفر (عليه السلام) وزيد فما كان خلاف بينهما، والدليل على صحة قولنا قول زيد بن علي (عليه السلام): من أراد الجهاد فإليّ ومن أراد العلم فإلى ابن أخي (جعفر بن محمد (عليه السلام)) ولو ادعى الإمامة لنفسه لم ينفِ كمال العلم عن نفسه، إذ الإمام أعلم من الرعية ومن مشهور قول جعفر (عليه السلام): رحم الله عمي زيداً لو ظفر لوفى، إنما دعا إلى الرضا من آل محمد (عليهم السلام) وأنا الرضا.

٢ - الشيخ المفيد في الإرشاد قال: كان زيد بن علي (عليه السلام) عين إخوته بعد أبي جعفر الباقر (عليه السلام) وأفضلهم وكان عابداً ورعاً فقيهاً سخياً شجاعاً واعتقد كثير من الشيعة فيه الإمامة وكان سبب اعتقادهم ذلك فيه خروجه بالسيف يدعو إلى الرضا من آل محمد فظنوه يريد بذلك نفسه ولم يكن يريد له معرفته باستحقاق أخيه للإمامة من قبله ووصيته عند وفاته إلى أبي عبد الله (عليه السلام).

هذه دخيلة (الشيخ المفيد) في رجل أهل البيت يبرزها بملء

فمه غير هيّاب ولا محابٍ وبها رد الرجل الزيدي القائل له في مسجد الكوفة وكان فيه أكثر من خمسمائة رجل : ما الدليل على نفي الإمامة عن زيد، فقال المفيد: إني أثبت من إمامة زيد ما تثبته الزيدية، وأنفي عنه ما تنفيه، فأقول: كان إماماً في الزهد والعلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنفي عنه الإمامة الموجبة لصاحبها العصمة والنص والمعجز. فهذا ما لا يخالفني عليه أحد من الزيدية، فاعترف بذلك جميع من حضر من الزيدية وبطل قول الرجل.

هكذا يحدث عنه السيد المرتضى في [الفصول المختارة] من دون أن يعقبه بشيء من ملاحظاته وذلك آية تصديقه في [شاهد العدل] وإلا لعرفنا عنه بما يراه حقاً.

٣ - النسابة أبو الحسن العمري في «المجدي» قال عند الكلام على أولاد علي بن الحسين عليه السلام: من تكلم على ظاهر زيد من أهل الإمامة فقد ظلمه، ولكن يجب أن يتأول قول الصادق عليه السلام ويترحم عليه كما ترحم عليه وعساه خرج مأذوناً.

٤ - ابن داود القمي قال في رجاله: شهد الصادق عليه السلام بالوفاء والترحم على زيد وذلك آية جلالته.

٥ - الشهيد الأول في القواعد، في قاعدة وجوب الأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر قال: كان خروج زيد بن علي عليه السلام بإذن الإمام عليه السلام .

٦ - ميرزا محمد الاسترابادي الرجالي قال في منهج المقال بترجمة عبد الله بن الزبير الرسان: كان زيد بن علي عليه السلام قاصداً الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأخذ البيعة للرضا من آل محمد عليه السلام .

٧ - الشيخ عبد اللطيف بن علي بن أبي جامع العاملي قال في رجاله: كان زيد بن علي عليه السلام جليل القدر عظيم المنزلة ورد في مدحه روايات كثيرة .

٨ - الشيخ محمد ابن الشيخ حسن صاحب المعالم قال في شرح الاستبصار: كان سليمان بن خالد الأقطع مأذوناً في خروجه مع زيد .

٩ - المجلسي في مرآة العقول: ج ١ ، ص ٢٦١ ، قال: دلت أكثر الأخبار على كون زيد مشكوراً ، وأنه لم يدع الإمامة ، وأنه كان قائلاً بإمامة الباقر والصادق عليه السلام ، وإنما خرج لطلب ثأر الحسين عليه السلام وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكان يدعو إلى الرضا من آل محمد ، وأنه كان عازماً على أنه إن غلب على الأمر فوضه إلى أفضلهم وأعلمهم ، وإليه ذهب أكثر أصحابنا ، بل لم أر في كلامهم غيره . وقيل إنه كان

مأذوناً من قبل الإمام سراً، ويؤيده ما استفيض من بكاء الصادق عليه السلام وترحمه ودعائه له، ولو قتل على دعوى الإمامة لم يستحق ذلك.

١٠ - ميرزا عبد الله المعروف بالأفندي في «رياض العلماء» قال: كان زيد سيداً كبيراً عظيماً في أهله وعند شيعة أبيه والروايات في فضله كثيرة كما يظهر من مطاوي كتب الرجال وغيرها. ولقد أورد الشيخ حسن بن علي الطوسي في آخر كتاب أسرار الصلاة فصلاً في أحوال زيد وذكر الأخبار في مدحه وفضائله. وقال شيخنا البهائي في رسالة إثبات وجود صاحب الزمان: إنا معشر الإمامية لا نقول في زيد بن علي عليه السلام إلا خيراً والروايات عن أئمتنا في هذا المعنى كثيرة.

١١ - السيد علي خان في شرح الصحيفة قال: كان زيد بن علي عارفاً بالحق معتقداً له.

١٢ - الشيخ عبد النبي الكاظمي في [تكملة الرجال] قال: اتفق علماء الإسلام على جلاله زيد وورعه وفضله.

١٣ - الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي صاحب الوسائل قال في رجال الوسائل بترجمة زيد: هو قرّة عين إخوته بعد أبي جعفر عليه السلام وأفضلهم، وكان ورعاً عابداً فقيهاً سخيّاً

شجاعاً، وظهر بالسيف يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويطلب بثارات الحسين، واعتقد كثير فيه الإمامة ولم يكن يريد لها لنفسه، وفي كتب الحديث له مدائح كثيرة.

١٤ - السيد محمد جد آية الله السيد مهدي بحر العلوم قال في رسالة عملها في مواليد الأئمة عليهم السلام ووفياتهم عند ذكر أولاد علي بن الحسين عليه السلام: اعلم أن الروايات في مدح زيد وذمه متعارضة وما يدل على المدح أكثر.

١٥ - المحدث النوري في رجال مستدرك الوسائل قال: إن زيد بن علي عليه السلام جليل القدر عظيم الشأن كبير المنزلة، وأما ما ورد مما يوهم خلاف ذلك فمطروح أو محمول على التقية.

هذا ما أوقفنا عليه البحث والتنقيب في كلام العلماء وسيوقفك السير على من بايعه من فقهاء الكوفة وقضاتها كابن شبرمة وابن أبي ليلى وسفيان الثوري ومسعر بن كدام وسليمان بن مهران في عدد كثير من الفقهاء، مضافاً إلى ما بعثه إليه أبو حنيفة من الدنانير لتقويته ومن معه. وهذا يكشف عن رفعة مقامه وشرف غايته، فإنه لو لم يكن في خروجه على طاعة زمانه قاصداً إرشاد الأمة وإنقاذها من مخالب الضلال، لما أثنوا عليه أولئك الأعلام وأعرضوا عن كل ما يمس بكرامته ويحط من قدره.

«أحاديث المدح»

كانت قضية زيد من القضايا التي أخذت نصيباً في الأهمية وما زالت تتردد على لسان النبي ﷺ فالأوصياء بعده فالعترة من أبنائهم بصور مختلفة يلقونها إلى أصحابهم فيفيدونهم درساً بليغاً من عظمة [صليب الكناسة] وما له من المقام العالي في الفضيلة والمكانة من الشرف، وهي الآيات البينة تدحض قول كل أفاك أثيم، وإليك ما وجدناه من الأحاديث محفوظة في الجوامع في هذا الشأن:

١ - الروض النضير: ج ١، ص ٥٨، عن المنهاج لمحمد بن المطهر وجلاء الأبصار للحاكم والأمالى ليحيى بن الحسين الهاروني بسند يرفعه إلى زاذان، يرفعه إلى النبي ﷺ قال: الشهيد من ذريتي والقائم بالحق من ولدي المصلوب بكناسة كوفان إمام المجاهدين وقائد الغر المحجلين، يأتي يوم القيامة وأصحابه تتلقاهم الملائكة المقربون ينادونهم ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون.

٢ - وعن المنهاج وهداية الراغبين وجلاء الأبصار عن أنس ابن مالك، أن رسول الله ﷺ قال: يقتل رجل من ولدي يقال له (زيد) بموضع يعرف بالكناسة يدعو إلى الحق ويتبعه كل مؤمن.

٣ - كتاب الملاحم لابن طاووس في الباب ٣١، أن علياً عليه السلام وقف في الموضع الذي صلب فيه زيد بن علي عليه السلام بالكوفة، ومعه أصحابه فبكى وبكى أصحابه، فقالوا له ما الذي أبكاك قال: إن رجلاً من ولدي يصلب في هذا الموضع، من رضي أن ينظر إلى عورته أكبه الله على وجهه في النار.

٤ - في الباب ٥٩ منه، أن علياً عليه السلام خطب بالكوفة وقال: سلوني في العشر الأواخر من شهر رمضان تفقدوني ثم ذكر الحوادث بعده وعدّ منها قتل الحسين عليه السلام وقتل زيد بن علي عليه السلام وإحراقه وتذريته بالرياح وأنه في الجنة.

٥ - حدث حبة العرنى قال كنا مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنا والأصبغ في موضع الجزارين والحناطون يومئذ صحراء وهو يريد المسجد الأعظم فما زال يلتفت إلى ذلك الموضع ويبكي بكاءً شديداً ويقول: يا أببي يا أببي، فقال له الأصبغ: لقد بكيت حتى بكت قلوبنا وعيوننا فالتفت فلم أرَ أحداً، فقال عليه السلام: حدثني رسول الله ﷺ عن جبرائيل عن الله سبحانه وتعالى أنه يولد لي ولد ما ولد أبواه بعد يلقي الله غضباناً لله تعالى

وراضياً عنه على الحق، وأنه يمثل به في هذا الموضع مثله ما مثلت بأحد قبله ولا بعده صلوات الله على روحه والأرواح التي تتوفى معه .

٦ - أمالي أبي طالب بإسناده إلى أبي حفص المكي، قال لما رحل الحسين عليه السلام من المدينة إلى الكوفة سرت معه فنزلنا ماءً من مياه بني سليم، فأمر غلامه فاشترى شاة فذبحها فجاء صاحبها، فلما رأى هيئة الحسين عليه السلام وأصحابه، قال أعوذ بالله وبك يا بن رسول الله ﷺ من هذا فقد اشترى شاتي وذبحها ولم يدفع إلي الثمن، فغضب الحسين عليه السلام على الغلام، فأقام الغلام البينة على أنه دفع إليه الثمن، ثم قال من حضر يا بن رسول الله إنه رأى هيئتك فأراد أن تعوضه، فأمر له الحسين عليه السلام بمعروف، فقال علي بن الحسين عليه السلام للرجل ما اسمك قال زيد، قال ما بالمدينة أكذب من رجل اسمه زيد، وكان في المدينة رجل اسمه زيد يبيع الخمر^(١) فضحك الحسين عليه السلام، وقال مهلاً يا بني لا تعيره فإن أبي حدثني أنه سيكون منا رجل اسمه زيد يخرج فيقتل فلا يبقى في السماء ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا تلقى روحه يرفعه إلى كل سماء يبعث هو وأصحابه يتخللون رقاب الناس فيقال هؤلاء دعاة الحق^(٢) .

(١) الخمر بضمّتين جمع خمار وهو ما تغطي به المرأة رأسها .

(٢) الروض النضير: ج ١، ص ٥٦ .

٧ - أبو داود المدني قال حدث علي بن الحسين عن أبيه عن علي عليه السلام قال: يخرج بظهر الكوفة رجل يقال له زيد في أبهة الملك لا يسبقه الأولون ولا يدركه الآخرون إلا من عمل بمثل عمله، يخرج يوم القيامة هو وأصحابه معهم الطوامير أو شبه الطوامير حتى يتخطوا أعناق الخلائق تتلقاهم الملائكة فيقولون هؤلاء خلف الخلف ودعاة الحق ويستقبلهم رسول الله ﷺ فيقول يا بني قد عملتم ما أمرتم به فادخلوا الجنة بغير حساب.

٨ - مقاتل الطالبين عن خالد مولى آل الزبير قال: كنا عند علي بن الحسين عليه السلام فدعا ابناً له يقال له زيد، فكبا لوجهه فانشج، فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول: أعيذك بالله أن تكون زيذاً المصلوب بالكناسة، من نظر إلى عورته متعمداً أصلى الله وجهه بالنار.

٩ - الروض النضير: ج ١، ص ٥٥، عن جابر الجعفي، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام وقد نظر إلى أخيه زيد بن علي فتلا هذه الآية: ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقُتِلُوا﴾ الآية، وقال: هذا والله من أهل ذلك، قال جابر: وسألت محمد ابن علي عليه السلام عن أخيه زيد، فقال: سألتني عن رجل ملئ إيماناً وعلماً من أطراف شعره إلى أقدامه، وهو سيد أهل بيته.

١٠ - عيون أخبار الرضا: في الباب ٢٥، ومقاتل الطالبين عن

جابر الجعفي عن الباقر عليه السلام أن رسول الله ﷺ قال للحسين عليه السلام : يا حسين يخرج من صلبك رجل يقال له زيد يتخطى هو وأصحابه رقاب الناس يدخلون الجنة بغير حساب . ورواه في كفاية الأثر عن محمد بن مسلم عنه عليه السلام . وفي المجموع الفقهي : ص ٣ ، ط سنة ١٣٤١هـ رواه عن النبي ﷺ الديلمي في مشكاة الأنوار والحاكم في جلاء الأبصار ومحمد بن المطهر في المنهاج .

١١ - سر السلسلة العلوية عن سدير الصيرفي قال : كنت عند أبي جعفر الباقر عليه السلام فدخل زيد بن علي عليه السلام ، فضرب أبو جعفر عليه السلام على كتفه ، وقال : هذا سيد بني هاشم إذا دعاكم فأجيبوه وإذا استنصركم فانصروه .

١٢ - مقاتل الطالبين عن يونس بن خباب قال جئت مع أبي جعفر عليه السلام إلى الكتاب ، فدعى زيداً فاعتنقه وألزم بطنه بطنه ، وقال : أعيذك بالله أن تكون صليب الكناسة .

١٣ - الأغاني : ج ٢٠ ، ص ١٢٧ ، ط سنة ١٣٢٣هـ حدث سعيد بن خثيم قال كان أبو جعفر محمد بن علي عليه السلام إذا نظر إلى أخيه زيد تمثل :

لعمرك ما إن أبو مالك بواهِ^(١) ولا بضعيف قواه

(١) في رواية الصدوق في العيون (وإن) .

ولا بالألد له وازع يعادي أخاه إذا ما نهاه^(١)
ولكنه هين لين كعالية الرمح عرد نساها^(٢)
إذا سدت سدت مطواعة ومهما وكلت إليه كفاه
أبو مالك قاصر فقره على نفسه ومشيع غناه^(٣)

ثم قال: لقد أنجبت أم ولدتك يا زيد، اللهم اشد أوزري
بزيد وفي عيون أخبار الرضا، أنه (عليه السلام) وضع يده على كتف زيد
بعد قراءته الأبيات وقال: هذه صفتك يا أبا الحسن، وفي زهر
الآداب للحصري أنه (عليه السلام) قال بعد أن وضع يده على كتفه، هذه
صفتك يا أخي وأعيذك أن تكون قتيل أهل العراق.

١٤ - رجال الكشي في ترجمة السيد الحميري عن فضيل
الرسال، قال: دخلت على أبي عبد الله (عليه السلام) بعدما قتل زيد بن
علي (عليه السلام) فأدخلت بيتاً في جوف بيت، وقال لي: يا فضيل قتل
عمي زيد بن علي (عليه السلام) قلت: نعم جعلت فداك، فقال رحمه الله
أما إنه كان مؤمناً وكان عارفاً وكان عالماً وكان صدوقاً، أما إنه

(١) في رواية العيون (ولا بالدلدى قوله * يعادي الحكيم إذا ما نهاه) وفي زهر
الآداب للحصري بهامش العقد الفريد: ج ١، ص ٧٧، رواية الصدر (ولا
بالدلدى نازع) والعجز كما في الأغاني.

(٢) في رواية العيون: (ولكنه سيد بارع * كريم الطباع حلو ثناه)، وفي رواية
الحصري (ولكنه غير مخالفة) والعجز كما في العيون.

(٣) لم يرو الصدوق والحصري هذا البيت.

لو ظفر لوفى أما إنه لو ملك لعرف كيف يضعها .

١٥ - عيون الأخبار عن معمر بن خيثم قال: كنت جالساً عند الصادق عليه السلام جعفر بن محمد عليه السلام، فجاء زيد بن علي وأخذ بعضادتي الباب، فقال له الصادق عليه السلام: يا عم أعيذك بالله أن تكون المصلوب في الكناسة، ثم ذكر حديثاً عن جده رسول الله ﷺ أن رجلاً من ولده يقال له زيد يخرج ويقتل بالكوفة ويصلب بالكناسة يخرج من قبره نبشاً، وتفتح لروحه أبواب السماء، وتبتهج به أهل السموات والأرض تجعل روحه في حوصلة طير أخضر يسرح في الجنة حيث يشاء .

١٦ - العيون عن عبد الرحمن بن سيابة، قال: خرجنا ونحن سبعة نفر فأتينا المدينة ودخلنا على أبي عبد الله عليه السلام، فقال لنا: عندكم خبر عمي زيد، قلنا قد خرج أو هو خارج، قال: فإن أتاكم خبر فأخبروني فمكثنا أياماً، فأتى رسول بسام الصيرفي بكتاب فيه: أما بعد فإن زيد بن علي عليه السلام قد خرج يوم الأربعاء غرة صفر فمكث الأربعاء والخميس وقتل الجمعة وقتل معه فلان وفلان. فدخلنا على الصادق عليه السلام فدفعنا إليه الكتاب فقرأه وبكى، ثم قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، عند الله أحسب عمي، إنه كان نعم العم، إن عمي كان رجلاً لدينانا وآخرتنا، مضى والله عمي شهيداً كشهداء استشهدوا مع رسول الله ﷺ وعلي والحسين عليهما السلام، مضى والله شهيداً .

١٧ - العيون عن الفضيل بن يسار، قال: انتهيت إلى زيد بن علي عليه السلام صبيحة يوم خروجه، فسمعتة يقول من يعينني منكم على قتال أنباط أهل الشام، فوالذي بعث محمداً ﷺ بالحق بشيراً ونذيراً لا يعينني منكم على قتالهم أحد إلا أخذت بيده يوم القيامة فأدخلته الجنة بإذن الله عز وجل، فلما قتل اكرتيت راحلة وتوجهت نحو المدينة ودخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت في نفسي والله لأخبرته بقتل زيد بن علي عليه السلام فيجزع عليه، فلما دخلت عليه، قال لي ما فعل عمي زيد، فخنقتني العبرة. قال: قتلوه، قلت: إي والله قتلوه. قال: فصلبوه، قلت: إي والله صلبوه. فأقبل يبكي ودموعه تنحدر على جانبي خديه كأنها الجمان، ثم قال: يا فضيل شهدت مع عمي زيد قتال أهل الشام. قلت نعم، قال: فكم قتلتم منهم. قلت ستة نفر. قال: فلعلك شك في دمائهم. قلت: لو كنت شاكاً ما قتلتهم. فسمعتة وهو يقول: أشركني الله في تلك الدماء، مضى والله عمي زيد وأصحابه شهداء مثل ما مضى عليه علي بن أبي طالب عليه السلام وأصحابه.

١٨ - مجالس الصدوق: ٦٢، عن حمزة بن حمران، قال: دخلت على جعفر بن محمد عليه السلام، فقال من أين أقبلت، قلت: من الكوفة، فبكي حتى بلت دموعه لحيته. قلت له يا بن رسول الله ﷺ ما لك أكثرت من البكاء. قال: ذكرت عمي زيدا وما صنع به.

قلت: وما الذي ذكرت منه. قال: ذكرت مقتله وقد أصاب جبينه سهم، فجاء ابنه يحيى وانكب عليه، وقال أبشر يا أبتاه فإنك ترد على رسول الله ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم. قال أجل يا بني، ثم دعا بحداد فنزع السهم من جبينه فكانت نفسه معه، فجيء به إلى ساقية تجري عند بستان [زائدة] فحفروا له فيها ودفن وأجرى عليه الماء، وكان معهم غلام سندي لبعضهم، فذهب إلى يوسف بن عمر^(١) من الغد،

(١) يجتمع يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود الثقفي، مع الحجاج بن يوسف في الحكم بن أبي عقيل. قال ابن خلكان: كان يوسف بن عمر سيئ الخلق مذموماً في عمله، أحمقاً أخرقاً سيئ السيرة، وكان يسلك طريقة ابن عمه الحجاج في الصرامة والشدة في الأمور، وأخذ الناس بالمشاق، ومن حمقه ضرب به المثل، فليل كما في جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري: ص ٧٥ (أنه من أحمق ثقيف)، وذكر حمزة الأصبهاني في سبب ذلك أنه أمر حجاماً يحجمه فارتعدت يده، فقال لحاجبه قل لهذا البائس لا تخف، وما رضي أن يقول له ذلك.

وقضاياه في الحمق تضحك الثكلى، فمنها ما في المحاسن والأضداد: ص ٤٤، أن كاتبه احتبس يوماً عن الديوان لوجع أصاب ضرسه، فأمر الحجاج بقلع ضرسين منه جزاء جلوسه عن الديوان. وحدث البيهقي في المحاسن والمساوي: ج ١، ص ١٤٣، أنه أراد السفر فخير إحدى نسائه بين البقاء والذهاب معه، فاخترت البقاء، قال لها: إنك أحببت البقاء للفقور، وأمر عبده (جديحاً) أن يوجعها ضرباً، ثم خير الثانية وهي تشاهد ما صنع بالأولى فاخترت الذهاب معه، قال لها إنك أحببت =

= الشخصوص كيلا يفوتك الجماع، وأمر (جديحاً) بضربها، ثم خير الثالثة فقالت الخيرة فيما يختاره أمير المؤمنين، قال أما إذا كان ذلك، فإني أختار لك الضرب، وأمر (جديحاً) أن يضربها، فولت وهي تقول الخيرة في فراقك، فسأل العبد عما قالت فأخبره، قال يابن الخبيثة ألا تكتنم وأمر غلاماً آخر بضربه على رأسه. قال الجاحظ: وسأل من الثاني كم ضرب جديحاً فلم يدر، فقال يا عدو الله تخرج حاصلني من بيت مالي من غير حساب، وأمر بقتله.

هذا بعض مساوئه التي حملها إلينا التاريخ أوقفناك عليه كمثل تتعرف منه سيرته مع ضعفاء المسلمين والأبرياء من الناس، وكيف ساغ لخلفاء الإسلام تفويض الأمور لأمثاله، فإن شريعة الإسلام النزيهة عن كل منقصة لا تسمح لأولئك أي تصرف في شؤون المسلمين.

لقد بقي المسلمون يتجرعون أكؤس الاحتقار ويتقبلون على حسك الظلم والجور منه ست سنين، حتى إذا استخلف يزيد بن الوليد وبعث (منصور ابن جمهور) والياً على العراق، هرب منه إلى البلقاء وفيه أهله، فتنكر ولبس زي النساء وجلس بين بناته ونسائه. وبينما هو بهذا الهوان وإذا بأصحاب يزيد بن الوليد هجموا عليه الدار فأخذ وحبس بدمشق إلى أن سار مروان الحمار لمحاربة إبراهيم بن الوليد، وكان الخليفة بعد أخيه يزيد، فخاف يزيد بن خالد القسري أن يخرج مروه إذا دخل الشام فهجم عليه الحبس في جماعة من أصحابه وقتلوه وقطعوا رأسه وربطوا الحبال برجليه ومذاكيره وسحبوه في أزقة دمشق، فكانت المرأة تمر عليه فتحسب أنه صبي لصغر جثته، ثم قطع عضواً عضواً وعلق على أبواب دمشق، وكان قتله في العشر الأوسط من ذي الحجة سنة ١٢٦ هـ عن نيف وستين سنة (وفيات الأعيان).

وأخبره بدفنهم إياه، فأخرجه يوسف بن عمر وصلبه بالكناسة أربع سنين، ثم أمر به فأحرق بالنار، وذري بالرياح. فلعن الله خاذله، وقتله، وإلى الله أشكو ما نزل بأهل بيت نبيه ﷺ بعد موته، ونستعين الله على عدونا وهو خير المستعان.

١٩ - الوسائل للشيخ الحر العاملي في باب حكم من خرج بالسيف قبل قيام القائم ﷺ من كتاب الجهاد، عن العيص بن القاسم، قال: سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول: عليكم بتقوى الله وحده لا شريك له، وانظروا لأنفسكم، فوالله إن الرجل ليكون له الغنم فيها الراعي فإذا وجد رجلاً هو أعلم بغنمه من الذي هو فيها يخرج به ويحجبه بذلك الذي هو أعلم بغنمه من الذي كان فيها، والله لو كانت لأحدكم نفسان يقاتل بواحدة يجرب بها، ثم كانت الأخرى باقية يعمل على ما قد استبان لها، ولكن له نفس واحدة وإذا ذهبت فقد والله ذهبت التوبة، فأنتم أحق أن تختاروا لنفسكم إن أتاكم آتٍ فانظروا على أي شيء تخرجون، ولا تقولوا خرج زيد، فإن زيدا كان عالماً وكان صدوقاً، ولم يدعكم إلى نفسه وإنما دعاكم إلى الرضا من آل محمد ﷺ، ولو ظفر لوفى بما دعاكم إليه، وإنما خرج إلى سلطان مجتمع لينقضه.

٢٠ - كشف الغمة، قال الصادق ﷺ لأبي ولاد الكاهلي: رأيت عمي زيدا، قال: نعم رأيت مصلوباً ورأيت الناس بين

شامت ومحزون، فقال عليه السلام أما الباكي عليه فمعه في الجنة، وأما الشامت فشريك في دمه.

٢١ - ثواب الأعمال للصدوق عن محمد الحلبي، أن أبا عبد الله عليه السلام قال قتل الحسين عليه السلام آل أبي سفيان فنزع الله ملكهم، وقتل هشام زيد بن علي عليه السلام فنزع الله ملكه. وقتل الوليد يحيى بن زيد فنزع الله ملكه.

٢٢ - رجال الكشي عن عبد الرحمن بن سيابة، قال دفع إلي الصادق عليه السلام دنانير وأمرني أن أقسمها في عيالات من أصيب مع عمه زيد، فقسمتها فأصاب عيال عبد الله بن الزبير الرسان أربعة دنانير^(١).

٢٣ - الكافي عن سليمان بن خالد أن أبا عبد الله الصادق عليه السلام قال له: كيف صنعتم بعمي زيد. قال: إنهم كانوا يحرسونه فلما شف^(٢) الناس أخذنا خشبته ودفناه على الجرف من شاطئ الفرات، فلما أصبحوا جالت الخيل يطلبونه فوجدوه. قال عليه السلام: أفلا أوقرتموه حديداً وألقيتموه في الفرات صلى الله عليه ولعن قاتله.

(١) رجال الكشي في ترجمة الفضيل بن الزبير الرسان وإخوته ص ٢٤١ ط. الأعلمي.

(٢) الشف من الأضداد يقال للزيادة والنقصان والمراد هنا القلة.

٢٤ - الكافي عن الوشا إن الله أذن في هلاك بني أمية بعد إحراقهم زيدا بسبعة أيام^(١).

٢٥ - مجالس الشيخ الطوسي عن مهزم بن أبي بردة الأسدي، قال: دخلت المدينة حدثان^(٢) صلب زيد، فدخلت على أبي عبد الله عليه السلام، فساعة رأيته قال: يا مهزم ما فعل زيد. قلت: صلب، قال: فأين. قلت: في (كناسة بني أسد). قال: فأنت رأيته مصلوباً في كناسة بني أسد. قلت: نعم. فبكي حتى بكت النساء خلف الستور، ثم قال: أما والله لقد بقي عندهم طلبه ما أخذوها منه، فجعلت أفكر وأقول أي شيء طلبتهم بعد القتل والصلب، ثم ودعته وانصرفت حتى انتهيت إلى الكناسة، فإذا أنا بجماعة فأشرفت عليهم، فإذا زيد قد أنزلوه من خشبته يريدون أن يحرقوه، قلت: هذه الطلبة التي قال لي.

٢٦ - الروض النضير: ج ١، ص ٥٥، عن عباد بن صهيب عن جعفر بن محمد عليه السلام، قال دخل زيد بن علي على أخيه أبي جعفر عليه السلام فلما رآه تلا هذه الآية: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ ثم قال أنت والله يا زيد من أهل ذلك.

(١) الظاهر أنها مصحفة عن أعوام فإن الذي أمر بإحراقه الوليد بن يزيد بن عبد الملك ومن خلفته إلى آخر خلافة مروان الحمار سبع سنين.

(٢) حدثان الأمر بالكسر أوله وابتدأوه.

٢٧ - تأريخ الطبري: ج ٨، ص ٢٧٢، عن أبي مخنف، أن جعفر بن محمد (عليه السلام) قال لجماعة سألوه عن مبايعة زيد بن علي (عليه السلام): بايعوه فهو والله سيدنا وخيرنا فكتموا ما أمرهم به.

٢٨ - الخطط المقرزية: ج ٤، ص ٣٠٧، عن جعفر بن محمد (عليه السلام) قال لجماعة تبرأوا من بيعة زيد بن علي (عليه السلام): برئ الله ممن تبرأ من عمي زيد.

٢٩ - تأريخ الشام لابن عساكر: ج ٦، ص ١٨، عن عمرو ابن القاسم، أن جعفر بن محمد (عليه السلام) ذكر عمه زيدا فترحم عليه، وقال: كان والله سيداً والله ما ترك فينا لدينانا ولا لآخرتنا مثله.

٣٠ - الإصابة لابن حجر بترجمة حكيم بن عياش عن فوائد الكواكب، يرفعه إلى رجل جاء إلى الصادق جعفر (عليه السلام) فقال له: سمعت حكيم بن عياش ينشد هجاءكم بالكوفة، فقال: هل علقت منه بشيء، قال سمعته يقول:

صلبنا لكم زيدا على جذع نخلة ولم نر مهدياً على الجذع يصلب
وقستم بعثمان علياً سفاهة وعثمان خير من علي وأطيب

فرفع الصادق (عليه السلام) يديه وهما يرعشان، وقال اللهم إن كان عبدك كاذباً فسلط عليه كلبك، فبعثه بنو أمية إلى الكوفة، فبينا هو يدور في سككها إذ افترسه الأسد، واتصل خبره بجعفر (عليه السلام) فخرّ ساجداً، ثم قال الحمد لله الذي أنجزنا وعده.

ويظهر من غرر الخصائص لإبراهيم المعروف بالوطواط: ص ٢٥٤، ومروج الذهب للمسعودي: ج ٢، ص ١٨٢، أن البيتين من جملة أبيات.

٣١ - عيون أخبار الرضا عن محمد بن يزيد النحوي عن أبيه قال: لما حمل زيد بن موسى بن جعفر عليه السلام إلى المأمون، وكان قد خرج بالبصرة وأحرق دور بني العباس، وهب المأمون جرمه لأخيه علي بن موسى الرضا عليه السلام، وقال: يا أبا الحسن لئن خرج أخوك وفعل ما فعل فلقد خرج قبله زيد بن علي عليه السلام فقتل، ولولا مكانك مني لقتلته فليس ما أتاه بصغير، قال الرضا عليه السلام: يا أمير المؤمنين لا تقس أخي زيداً إلى زيد بن علي عليه السلام فإنه من علماء آل محمد عليه السلام غضب الله عز وجل فجاهد أعداءه حتى قتل في سبيله، ولقد حدثني أبي موسى بن جعفر عليه السلام أنه سمع أبا جعفر ابن محمد عليه السلام يقول: رحم الله عمي زيداً إنه دعا إلى الرضا من آل محمد عليه السلام ولو ظفر لوفى بما دعا إليه، وقد استشارني في خروجه فقلت له: يا عم إن رضيت أن تكون المقتول بالكناسة فشأنك، فلما ولى قال جعفر بن محمد عليه السلام: ويل لمن سمع واعيته فلم يجبه. فقال المأمون: يا أبا الحسن أليس قد جاء في من ادعى الإمامة بغير حقها ما جاء. قال الرضا عليه السلام: إن زيد بن علي عليه السلام لم يدع ما ليس له بحق وإنه كان أتقى الله من ذلك، إنه قال أدعوكم إلى الرضا من آل محمد، وإن ما جاء في من ادعى

الإمامة أن الله تعالى نص عليه ثم يدعو إلى غير دين الله ليضل عن سبيله بغير علم وكان زيد والله ممن خوطب بهذه الآية ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾ .

٣٢ - كفاية الأثر عن عمير بن المتوكل البلخي عن أبيه، قال: لقيت يحيى بن زيد بعد قتل أبيه وهو متوجه إلى خراسان، فما رأيت رجلاً في عقله وفضله مثله فسألته عن أبيه، فقال: قتل وصلب بالكناسة، ثم بكى وبكى حتى غشي عليه، فلما سكن قلت له: يا ابن رسول الله ﷺ ما الذي أخرجك إلى قتال هذا الطاغى وقد علم من أهل الكوفة ما علم، فقال: نعم لقد سألته عن ذلك، فقال سمعت أبي يحدث عن أبيه الحسين بن علي عليه السلام قال: وضع رسول الله ﷺ يده على كتفي، وقال يا حسين يخرج من صلبك رجل يقال له زيد يقتل شهيداً فإذا كان يوم القيامة يتخطى هو وأصحابه رقاب الناس ويدخل الجنة، فأحببت أن أكون كما وصفني رسول الله ﷺ .

ثم قال: رحم الله أبي كان أحد المتعبدين قائماً ليله صائماً نهاره، جاهد في سبيل الله حق جهاده، فقلت يا ابن رسول الله هكذا يكون الإمام بهذه الصفة، فقال: يا عبد الله إن أبي لم يكن بإمام، ولكن كان من السادة الكرام وزهادهم، وكان من المجاهدين في سبيل الله. قلت يا ابن رسول الله إن أباك قد ادعى الإمامة لنفسه وخرج مجاهداً في سبيل الله وقد جاء عن رسول

الله ﷺ فيمن ادعى الإمامة كاذباً. فقال: مه مه يا عبد الله إن أبي كان أعقل من أن يدعي ما ليس له بحق، إنما قال أدعوكم إلى الرضا من آل محمد، عنى بذلك ابن عمي جعفر عليه السلام. قلت: فهو اليوم صاحب فقه قال: نعم هو أفقه بني هاشم.

٣٣ - مجالس الصدوق عن عون بن عبد الله قال: كنت مع عمي محمد بن الحنفية في فناء داره فمر به زيد بن الحسن عليه السلام فرفع إليه طرفه وقال: ليقتلن من ولد الحسين عليه السلام رجل يقال له زيد بن علي عليه السلام وليصلبن بالعراق من نظر إلى عورته ولم ينصره أكبه الله على وجهه بالنار.

«نظرة في الأحاديث»

على ضوء هذه الأحاديث الكريمة نعرف من الحقيقة أنصعها ويتجلى من أعماق الأصداف لؤلؤها، وأنّ تلك الشخصية الشامخة على سبب وثيق من معادن الحق وذات كرامة قدسية تهبط من الملاء الأعلى، وأنّ الأئمة الهداة يتفألون من عزّة تلك النهضة الهاشمية أن يعود الحق إلى نصابه، وهي القوة التي تتحطم بها هياكل الباطل وتعدّد عليها الآمال وهي التي أظهرت مظلومية الأئمة، ومثلت للملاء أحقيتهم بالخلافة من غيرهم ذوي الأطماع وأرباب الشهوات، وانكشف لنا بكل وضوح امتثاله أمر الإمام في نقض دعائم الإلحاد وتبديد جيش الظلم والباطل، وتفريق جماهير الشرك وأحزاب الضلال وعبدية المطامع والأهواء، خصوصاً إذا قرأنا قول الباقر عليه السلام : ويل لمن سمع واعيته فلم يجبه، وقول الصادق عليه السلام : إذا دعاكم فأجيبوه وإذا استنصركم فانصروه وقوله : أشركني الله في تلك الدماء، وقوله عندما سئل عن مبايعته : بايعوه، وقوله : خرج على ما خرج عليه

آبائهم، وقوله برئ الله ممن تبرأ من عمي زيد. فإن هذه الأحاديث تدلنا على أنه لم يقصد إلا إصلاح أمة جده ﷺ ولم يدع إلا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة.

وهناك جملة أخرى من الأحاديث حكى لنا مقايسة الإمام عليه السلام شهادة زيد بالشهداء الذين استشهدوا مع النبي ﷺ وعلي والحسين عليهما السلام وقد استشهد هنالك رجال كانت لهم منازل عالية ومقامات رفيعة يغطهم عليها جميع الشهداء، وقد نال زيد بذلك التشبيه والمقايسة تلك المراتب العالية وحاز ذلك الشرف الباهر، فحقيق إذاً إذا قال الباقر عليه السلام في دعائه: اللهم اشدد أوزري بزيد، وقال النبي ﷺ: يأتي زيد وأصحابه يوم القيامة يتخطون رقاب الناس غراً محجلين يدخلون الجنة بغير حساب، وكانوا فرحين مسرورين بما أتي لهم من النعيم الدائم.

ومما يزيد الأمر وضوحاً ما يرويه فضيل بن يسار وحمزة بن حمران ومهزم بن أبي بردة الأسدي من بكاء الصادق عليه السلام حتى بكى لبكائه من كان خلف الستر من النساء. فإننا نعلم من هذا عدم الكراهية لخروجه وكونه صادراً عن أمره ورضاه، إذ لو كان ناقماً عليه وكان كارهاً لخروجه لما تلهف لفقده وبكى على مصيبتة، ولما رغب الناس بالبكاء عليه بقوله: أما الباكي عليه فمعه في الجنة.

ثم إذا ألفتنا النظر مرة أخرى إلى قوله عليه السلام : لعن الله قاتله
وخاذله، وقوله: الشامت شريك في دمه، وقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم
للحسين عليه السلام : سيخرج من ولدك رجل يقال له زيد يقتل مظلوماً،
ظهر لنا فجر الحق، وانجاب ظلام كل باطل وشبهة، وتجلت لنا
موالاته للأئمة الأطهار عليهم السلام .

«البراءة من دعوى الإمامة»

وعرفنا وقتئذ بطلان نسبة دعوى الإمامة لتلك النفس المقدسة والذات الطاهرة، وكيف نستطيع أن ننسب له ذلك ونحن نقرأ جوابه لولده يحيى حينما سأله عن الأئمة الذين يلون الخلافة وعليهم النص من النبي ﷺ، فإن فيه صراحة بالبراءة من دعوى الإمامة واعتراف باستحقاق الاثني عشر من أهل بيت النبي ﷺ للخلافة. وهذا نص الحديث الذي يحدثنا عنه الحافظ علي بن محمد الخزاز الرازي القمي في كفاية الأثر بإسناده إلى يحيى بن زيد قال سألت أبي عن الأئمة عليهم السلام، فقال الأئمة اثنا عشر: أربعة من الماضين وثمانية من الباقيين، قلت فسمّهم يا أبت، قال أما الماضون فعلي بن أبي طالب والحسن والحسين وعلي بن الحسين عليهم السلام وأما الباقيون فأخي الباقر وابنه جعفر الصادق، وبعده موسى ابنه، وبعده علي ابنه، وبعده محمد ابنه، وبعده علي ابنه، وبعده الحسن ابنه، وبعده المهدي، فقلت: يا أبت أأنت منهم، قال: لا ولكن من العترة. قلت: فمن أين عرفت أسماءهم قال: عهد معهود عهده رسول الله ﷺ.

وهذه المصارحة من الشهيد زيد تكون قرينة في ما أجمله في الأحاديث التي رواها عنه محمد بن مسلم، وعمر بن موسى الوجهي، ومحمد بن بكير، وأبو خالد الواسطي، وإليك أحاديثهم مروية من (كفاية الأثر): أما رواية محمد بن مسلم فيقول فيها: دخلت على زيد فقلت إن قوماً يزعمون أنك صاحب هذا الأمر، قال لا ولكن من العترة. قلت: فمن يلي هذا الأمر بعدكم. قال سبعة من الخلفاء. قال محمد بن مسلم ثم دخلت على الباقر محمد بن علي (عليه السلام) فأخبرته بذلك فقال: صدق أخي زيد، سيلي هذا الأمر بعده سبعة من الأوصياء والمهدي منهم، ثم بكى وقال كأني به وقد صلب بالكناسة يا بن مسلم حدثني أبي عن أبيه الحسين (عليه السلام) قال: وضع رسول الله ﷺ يده على كتفي وقال: يا حسين يخرج من ولدك رجل يقال له زيد يقتل مظلوماً إذا كان يوم القيامة حشر أصحابه إلى الجنة.

ويحدث عمر بن موسى الوجهي عن زيد، قال كنت عند أبي علي بن الحسين (عليه السلام) إذ دخل عليه جابر بن عبد الله الأنصاري فبينما هو يحدثه إذ خرج أخي من بعض الحجر فأشخص جابر ببصره نحوه، فقام إليه، وقال يا غلام أقبل فأقبل، ثم قال أدبر فأدبر فقال شمائل كشمائيل رسول الله ﷺ، ما اسمك يا غلام، قال: محمد، قال: ابن من، قال: ابن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب (عليه السلام)، قال إذا أنت الباقر.

قال: نعم، فانكب عليه وقبل رأسه، ثم قال: يا محمد إن رسول الله ﷺ يقرؤك السلام. قال على رسول الله ﷺ أفضل السلام وعليك يا جابر بما بلغت السلام، ثم عاد إلى مصلاه وأقبل يحدث أبي. فقال إن رسول الله ﷺ قال يوماً يا جابر إذا أدركت ولدي الباقر عليه السلام فاقرأه مني السلام، فإنه سمّي وأشبهه الناس بي، علمه علمي وحكمه حكمي، سبعة من ولدي أمناء معصومون أئمة أبرار والسابع مهديهم الذي يملأ الدنيا قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ﴾ (٧٣).

وفي حديث محمد بن بكير دخلت على زيد بن علي عليه السلام، وعنده صالح بن بشير فسلمت عليه، وهو يريد الخروج إلى العراق، قلت يا بن رسول الله حدثني بشيء سمعته من أبيك، قال: نعم، إلى أن قال له يا بن بكير بنا عرف الله وبنا عبد الله ونحن السبيل إلى الله، ومنا المصطفى والمرضى، ومنا يكون المهدي قائم هذه الأمة. قلت: يا بن رسول الله ﷺ هل عهد إليكم رسول الله ﷺ متى يقوم قائمكم قال: يا بن بكير إنك لن تلحقه وإن الأمر يليه ستة من الأوصياء بعد هذا - الصادق عليه السلام - ثم يجعل خروج قائمنا فيملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً

وظلماً، قلت: يا بن رسول الله أأست صاحب هذا الأمر. قال: أنا من العترة، فعدت فعاد إليّ فقلت هذا الذي تقوله عنك أو عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، قال: لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ولكن عهد عهدنا رسول الله (صلى الله عليه وآله).

وحدث أبو خالد الواسطي عن زيد بن علي عن أبيه علي بن الحسين (عليه السلام) عن أبيه الحسين بن علي (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) يا حسين أنت الإمام والتسعة من ولدك أمناء معصومون والتاسع مهديهم، فطوبى لمن أحبهم والويل لمن أبغضهم.

وفي مجالس الصدوق عن أبي خالد الواسطي أن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، قال: في كل زمان رجل من أهل البيت يحتج الله به على خلقه وحجة زماننا ابن أخي جعفر بن محمد (عليه السلام) لا يضل من تبعه ولا يهتدي من خالفه.

وهذه الأحاديث وإن لم تصرح بأسماء الأئمة الذين يلون الخلافة من عترة النبي (صلى الله عليه وآله) لكن تفيدنا القطع ببراءته من تلك الدعاوى الفارغة عن كل حقيقة، وأنه طاهر الضمير قابل لإيداع أسرار الإمامة فيه، ومع ملاحظة رواية ابنه يحيى يتضح المراد مما أجمل في هذه الأحاديث، ولو أعرضنا عن جميع ذلك لأفادنا اعترافه باستحقاق الصادق (عليه السلام) للخلافة بعد الباقر (عليه السلام) وأنه

الحجة الذي لا يضل من تبعه ولا يهتدي من خالفه، سلوكه المحجة البيضاء والطريق اللاحب في الإمامة. وهل يقع الشك في اعترافه بإمامة الصادق عليه السلام وهو يقول لعبد الله بن أبي العلاء (وقد قال له أنت صاحب هذا الأمر): لا ولكني من العترة، قال له: فإلى من تأمرني قال: عليك بصاحب الشعر^(١)، وأشار إلى الصادق جعفر بن محمد عليه السلام^(٢).

وفي رجال الكشي بترجمة سليمان بن خالد عن عمار الساباطي، قال: كان سليمان بن خالد خارجاً مع زيد حين خرج، فقال له رجل ونحن وقوف في ناحية وزيد واقف في ناحية ما تقول في زيد هو خير أم جعفر عليه السلام فقال سليمان والله ليوم من جعفر خير من زيد أيام الدنيا، فحرك الرجل رأسه وأتى زيداً وقص عليه القصة ومضيت نحوه، فسمعت زيداً يقول جعفر إمامنا في الحلال والحرام.

وفيه بترجمة سورة بن كليب عنه، قال: قال لي زيد بن علي عليه السلام يا سورة كيف علمتم أن صاحبكم على ما تذكرونه. قلت: على الخبر سقطت. قال: هات. فقلت: كنا نأتي محمد

(١) يقصد صاحب الشعر الذي كان يتمثله عليه السلام أحياناً عندما يراه إشفاقاً له، كما فعل ذلك من قبله والده الإمام الباقر عليه السلام وقد مرّ نحو من هذا في ص ٧١.

(٢) كفاية الأثر.

ابن علي عليه السلام ، نسأله فيقول قال رسول الله ﷺ وقال الله تعالى في كتابه ، حتى مضى أخوك فأتيناكم وأنت فيمن أتينا فتخبرونا ببعض ولا تخبرونا بكل الذي نسألكم عنه ، حتى أتينا ابن أخيك جعفرًا عليه السلام فقال لنا كما قال أبوه قال رسول الله ﷺ وقال الله تعالى ، فتبسم وقال : أما والله إن قلت بذا فإن كتب علي صلوات الله عليه عنده .

«الأحاديث الذامة»

من جميع ما مر من الأحاديث ينكشف بوضوح أن لا حظ لما ورد من الأحاديث الذامة من الواقع وأنها من وضع الكذابين حلفاء الباطل، خصوصاً بعد ملاحظة شهادة علماء الرجال في حق رواتها، على أننا نشاهد في ما نقلناه من كلماتهم في حق (زيد) مصرين على مدحه والثناء عليه بكل صراحة، ولم يوقفهم عن إظهار الحقيقة أي حرف جاء في تلك الأحاديث التي حملتها جمعية الضلال لتلويث ساحة رجل الحق وبطل الإصلاح وقامع المنكر والضلال، بنهضته التي مثلت الإباء وأظهرت مظلومية آبائه الهداة. وهذه الأحاديث التي نسبت إليه دعوى الإمامة تارة وتحريض الأئمة عليهم السلام أصحابهم على معارضته وتعليمهم خطأه في هذا الخروج تارة أخرى، لو تأملها المنقب لظهر له من خلال أحرفها أجنيبتها عن الغاية المقصودة لهم وهي الحط من مقام الشهيد (زيد).

على أننا نزيدك أيها القارئ الكريم بصيرة بفساد نيات القوم

حينما نقرأ عليك أقوال علماء الرجال في حقهم، ولا أخالك تخضع بعد النظر في كلمات علماء الرجال لأي قضية تحدثك بها جمعية الباطل أو حكم تحمله إليك، فإذا لا تبقى أهمية للنظر في دلالة تلك الأحاديث الفاسدة من حيث السند، ومع ذلك يعرف المتأمل عدم دلالتها على دعوى الإمامة ويظهر من بعضها بوضوح الإذن من الإمام عليه السلام على الخروج.

١ - خصوصاً مناظرة أبان المروية في آخر باب الاضطرار إلى الحجة من (أصول الكافي) عن عدة من أصحابنا عن أحمد ابن عيسى عن علي بن الحكم عن أبان، قال أخبرني الأحول أن زيد بن علي بن الحسين عليه السلام بعث إلي وهو مستخفٍ، فأتيته فقال لي: يا أبا جعفر ما تقول إن طرقت طارقاً منا أخرج معه، فقلت له: إن كان أباك وأخاك خرجت معه. قال لي: فأنا أريد الخروج أجاهد هؤلاء القوم فاخرج معي. فقلت: لا ما أفعل جعلت فداك. فقال: أترغب بنفسك عني. قلت: إنما هي نفس واحدة فإن كان الله في الأرض من حجة فالمتخلف عنك ناجٍ والخارج معك هالك وإلا يكن الله حجة في الأرض فالمتخلف والخارج معك سواء، فقال لي: يا أبا جعفر كنت أجلس مع أبي على الخوان فيلقمني البضعة السمينية ويبرد لي اللقمة الحارة حتى تبرد شفقة علي ولم يشفق علي من حر النار إذ أخبرك بالدين ولم يخبرني به. قلت جعلت فداك من شفقتك عليك من حر النار لم

يخبرك وخاف عليك ألا تقبله فتدخل النار وأخبرني أنا فإن قبلت نجوت وإن لم أقبل لم يبال أن أدخل النار، ثم قلت له: جعلت فداك أنتم أفضل أم الأنبياء. قال: بل الأنبياء. قلت: يقول يعقوب ليوسف يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً لم يخبرهم حتى كانوا لا يكيدونه ولكن كتمهم ذلك، وكذا أبوك كتمك لأنه خاف عليك. فقال: أما والله لئن قلت ذلك فلقد حدثني صاحبك بالمدينة أنني أقتل وأصلب بالكناسة وأن عنده صحيفة فيها قتلي وصلبي. فحججت وحدثت أبا عبد الله عليه السلام بمقالة زيد وما قلت، فقال لي عليه السلام: أخذته من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوق رأسه ومن تحت قدميه ولم تترك له مسلكاً يسلكه.

هذا حديث أبان الذي جعلوه في صف الأحاديث الرادة على زيد، ونحن إذا تأملنا في قول زيد (ولقد حدثني صاحبك بالمدينة) تتجلى دلالته على الإذن من الإمام الصادق عليه السلام في الخروج مع إيقافه على منتهى أمره من القتل والصلب كما أن قوله: ولقد كنت أجلس مع أبي على الخوان، يستشعر منه سابقة إذن من أبيه في الخروج. وطلبه من الأحوال الخروج معه لا صلة له بدعوى الإمامة وإنما هو لمصالح وأغراض أهمها جلب الناس إليه، فإن العامة تابعة لخواص الناس ومن لهم البصيرة بنوايا الرجال، فإذا رأوا مثل أبي جعفر الأحوال وهو من خواص

الصادق (عليه السلام) خارجاً معه اعتقدوا صلاح الخروج والجهاد معه فتقوى بذلك كلمته. وأما قول الصادق (عليه السلام) أخذته من بين يديه ومن خلفه، فلا يدل إلا على مدح الأحوال وأنه عارف بطرق المناظرة وليس فيها تعريض للتنديد والذم والخط من مقام زيد، فهذا الإجمال نظير ما ورد منه (عليه السلام) في مدح قيس الماصر والأحول بقوله: «أنتما قفازان حاذقان»^(١) فإنه لم يرد بذلك ذمهما بل المراد أنهما يراوغان عند المناظرة والبحث في الحجج فيكون المعنى إنك بما أدليت به من ظاهر الكلام حبسته وأما أن زيداً مخطئ في الخروج فأى جملة تدل عليه:

وامتناع الأحول من الخروج معه وقوله ما لا يليق بشأنه ليس الغرض منه إلا التحفظ على الإمام الصادق (عليه السلام) من بوادر السياسة الوقتية القاسية بتنزيهه عن التدخل في تلك النهضة وتعريف الملاء أن الإمام (عليه السلام) لو كان راضياً وراغباً في الخروج لكان البطانة من أصحابه أول الموافقين لزيد فإعراض أصحابه عن موافقته في الخروج معه كاشف عن كراهية الإمام (عليه السلام) لذلك.

٢ - ومن هذا القبيل مناظرة مؤمن الطاق معه المروية في رجال الكشي وتصويب الصادق (عليه السلام) إياه، قال الكشي بترجمة أبي

(١) هذه الجملة من حديث مروي في أصول الكافي في آخر باب الاضطراب إلى الحجة.

جعفر الأحول حدثني حمدويه بن نصير عن محمد بن عيسى عن
يونس بن إسماعيل بن عبد الخالق، قال كنت عند أبي عبد
الله عليه السلام ليلاً فدخل عليه الأحول، فدخل به من التذلل والاستكانة
أمر عظيم، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: ما لك وجعل يكلمه حتى
سكن، ثم قال له: بَمَ تخاصم الناس، فأخبره به ولم أحفظ منه
ذلك، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: خاصمهم بكذا وكذا، وذكر أن
مؤمن الطاق قيل له ما الذي بينك وبين زيد بن علي عليه السلام في
محضر أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال لي زيد بن علي عليه السلام يا محمد
ابن علي إنك تزعم أن في آل محمد إماماً مفترض الطاعة،
فقلت: نعم وكان أبوك علي بن الحسين عليه السلام أحدهم، قال كيف
وقد كان يؤتى باللقمة وهي حارة فيردها بيده ثم يلقمونها أفترى
أنه كان يشفق علي من حر اللقمة ولا يشفق علي من حر النار،
فقلت له كره أن يخبرك فتنكر، ولا يكون له فيك شفاعة. فتركك
مُرْجاً لله فيك المشيئة وله فيك الشفاعة. فقال أبو عبد الله عليه السلام:
أخذته من بين يديه ومن خلفه وما تركت له مخرجاً.

فإن الكلام المتقدم بعينه يقال ههنا وتزاد عليه أن هذه الرواية
فاسدة من حيث السند لأن في طريقها محمد بن عيسى وقد ضعفه
الشيخ الطوسي وقال: إنه يذهب مذهب الغلاة واستثناه أبو جعفر
ابن بابويه من رجال نوادر الحكمة وقال: لا أروي ما يختص
بروايته فإذا لا مجال للاعتماد عليها في المس بكرامات الرجال.

٣ - كما لا يسعنا الاعتماد على ما يرويه الكشي في رجاله بترجمة زرارة عن محمد بن مسعود عن عبد الله بن محمد الطيالسي عن الحسن بن علي الوشا عن أبي خدّاش عن علي بن إسماعيل عن أبي خالد. ومحمد بن مسعود عن علي بن محمد القمي عن محمد بن يحيى عن ابن الريان عن الحسن بن راشد عن أبي خالد عن زرارة قال: قال لي زيد بن علي (عليه السلام) وأنا عند أبي عبد الله (عليه السلام): ما تقول يا فتى في رجل من آل محمد استنصرك فقلت: إن كان مفروض الطاعة نصرته وإن كان غير مفروض الطاعة فلي أن أفعل ولي ألا أفعل فلما خرج قال أبو عبد الله (عليه السلام) أخذته من بين يديه ومن خلفه وما تركت له مخرجاً.

فإن في الطريق أبا خدّاش ومحمد بن أحمد بن يحيى أما أبو خدّاش فقد توقف العلامة في (الخلاصة) بكل ما يرويه وقال النجاشي في مذهبه ارتفاع وضعفه المجلسي في (الوجيزة). وأما محمد بن يحيى فلم يعتمد النجاشي عليه لضعفه واعتماده على المراسيل وروايته عن الضعفاء كثيراً وعدم مبالاته عمن أخذ ومثله لا يصح النقل عنه والاعتماد على ما يدعيه فالرواية لا يعبأ بها. ولو سلمنا صحة السند فما قلناه في مناظرة الأحوال نقوله هنا لأن زرارة من خواص الصادق (عليه السلام)، فتركه الخروج تعريف للسلطة الأموية بعد رضا الإمام بخروج زيد وإلا لأوعز الإمام إلى زرارة

بالخروج معه . على أن جواب زرارة لزيد (إن كان مفروض الطاعة) لا دلالة فيه على كراهية الإمام للخروج لأنه لو كان عليه السلام كارهاً لذلك لوجب على زرارة إظهاره لزيد ليكون أدحض له وأقوى في الحجة من هذه الكنايات وقول الإمام عليه السلام (أخذته من بين يديه) فقد عرفت الغرض منه في مناظرة الأحوال .

٤ - وبذلك نناقش الحساب في ما يحدث به الكشي بترجمة أبي بكر الحضرمي من رجاله وإن كان للمناقشة من جهة الدلالة مجال واسع ، قال الكشي حدثني علي بن محمد بن قتيبة القتيبي حدثنا الفضل بن شاذان حدثني أبي عن محمد بن جمهور عن بكار بن أبي بكر الحضرمي قال دخل أبو بكر وعلقمة على زيد بن علي عليه السلام وكان علقمة أكبر من أبي فجلس أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره ، وكان بلغهما أنه قال ليس الإمام منا من أرحى عليه ستره إنما الإمام من شهر سيفه ، فقال له أبو بكر وكان أجراًهما يا أبا الحسين أخبرني عن علي بن أبي طالب عليه السلام كان إماماً وهو مرخى عليه ستره أو لم يكن حتى خرج وشهر سيفه ، قال : وكان زيد يبصر الكلام ، فسكت ولم يجبه ، فرد الكلام عليه ثلاث مرات كل ذلك لم يجبه بشيء ، فقال له أبو بكر إن كان علي بن أبي طالب عليه السلام إماماً فقد يجوز أن يكون بعده إمام مرخى عليه ستره وإن لم يكن إماماً وهو مرخى عليه ستره ، فأنت ما جاء بك ههنا فطلب زيد إلى علقمة أن يكف عنه .

وفي طريق الرواية محمد بن جمهور الضعيف عند المجلسي في (الوجيزة) وشدد النكير على العمل برواياته العلامة في «الخلاصة» قال كان محمد بن جمهور ضعيفاً في الحديث غالباً في المذهب فاسداً في الرواية لا يعتمد على ما يرويه ونحن إذا قرأنا مثل هذه الكلمات في حقه لا تبقى قيمة لأي حديث يكون في طريقه ابن جمهور. ولو صادقنا على سلامة السند من كل شيء ونظرنا إلى ما تدل عليه الرواية لما استفدنا منها شيئاً من المدح والذم لكون هذه المناظرة مثل مناظرة مؤمن الطاق ووزارة وقد عرفت الغاية المقصودة لهما من ذلك الجدل وهو تنزيه الإمام (عليه السلام) عن التداخل في كل ثورة ضد السلطان.

٥ - ومثلها رواية ابن عياش في «مقتضب الأثر» عن عبد الصمد بن علي عن أحمد بن موسى عن داود الرقي قال: دخلت على جعفر بن محمد (عليه السلام) فقال: ما الذي أبطأ بك عنا. قلت: حاجة عرضت لي بالكوفة هي التي أبطأت بي عنك جعلت فداك. فقال: ماذا رأيت فيها قلت: رأيت عمك زيدا على فرس ذنوب قد تقلد مصحفاً وقد حف به فقهاء الكوفة وهو يقول: يا أهل الكوفة إني العلم بينكم وبين الله تعالى قد عرفت ما في كتاب الله من ناسخه ومنسوخه. فقال أبو عبد الله (عليه السلام): يا سماعة بن مهران ائتني بتلك الصحيفة، فأتاه بصحيفة بيضاء فدفعها إلي وقال: اقرأ، هذا ما أخرج إلينا أهل البيت يرثه كابر عن كابر من لدن

رسول الله ﷺ فقرأتها فإذا فيها سطران السطر الأول لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ وأما السطر الثاني إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض أربعة حرم ذلك الدين القيم علي بن أبي طالب عليه السلام والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن ابن علي والخلف منهم حجة الله . ثم قال : يا داود أتدري أين كان ومتى كان مكتوباً . قلت : يا ابن رسول الله ﷺ الله ورسوله أعلم . فقال : قبل أن يخلق آدم عليه السلام بألفي عام فأين يؤتاه زيد . إن أشد الناس عداوة لنا وحسداً الأقرب إلينا فالأقرب .

وهذه الرواية رواها النعماني في الغيبة عن سلامة بن محمد عن أبي الحسن علي بن معمر عن حمزة بن القسم عن جعفر بن محمد عن عبيد بن كثير عن أحمد بن موسى عن داود الرقي ، ولكنها لا تصلح للطعن عليه ، أما من جهة فساد سندها باشتمالها على داود الرقي الذي يقول فيه ابن الغضائري كان فاسد المذهب ضعيف الرواية لا يلتفت إليه ويقول النجاشي كان ضعيفاً جداً ، وفي رجال الاسترابادي أن أحمد بن عبد الوهاب ، قال قل ما رأيت له حديثاً سديداً . وأما من جهة حملها على أن لا يكون داود من الأصحاب المحتفظين على الأسرار الملقاة إليهم من أئمتهم عليهم السلام بحيث لا يذيعونها إلا إلى من يجدونه مأموناً من

الشيعة، كما يمكن تنزيلها على حضور المجلس حين الإخبار بخروج زيد بالكوفة من يكره الإمام (عليه السلام) معرفته برضاه ورغبته في ذلك الخروج، فأراد (عليه السلام) تنزيه ساحته عن هذه الثورة، ولعل هذا الحمل أقرب وأولى.

٦ - وأما رواية المسعودي في إثبات الوصية: ص ١٣٨، من قول الباقر (عليه السلام) للصادق (عليه السلام) إن زيدا سيدعو إلى نفسه فدعه ولا تنازعه فإن عمره قصير.

فهي من المراسيل المنقطعة عن الإسناد ومثلها لا يصح دليلاً على الطعن والخط من مقام الشهيد زيد، فلا تكون معارضة لتلك الأحاديث الكثيرة الدالة على نزاهته عن كل ما يشين موالاته للأئمة الأطهار.

٧ - ومثلها في الإرسال ما ذكره ابن شهر آشوب في (المناقب) ^(١) في باب إمامة الصادق (عليه السلام) عن معتب قال قرع باب مولاي الصادق (عليه السلام) فخرجت فإذا زيد بن علي (عليه السلام) فقال الصادق (عليه السلام) لجلسائه ادخلوا هذا البيت وردوا الباب ولا يتكلم منكم أحد، فلما دخل قام إليه واعتنقه وجلسا طويلاً يتشاوران، ثم علا الكلام بينهما، فقال زيد دع ذا عنك يا جعفر فوالله لئن لم تمد يدك حتى أبايحك أو هذه يدي فتبايعني، لأتعبنك

(١) ج ٤، ص ٥٥٩ من ط. الأعلمي.

ولأكلفناك ما لا تطيق، فلقد تركت الجهاد وأخذت إلى الخفض وأرخيت الستر واحتويت على مال الشرق والغرب. فقال الصادق عليه السلام يرحمك الله يا عم وزيد يسمعه ويقول: موعدنا الصبح أليس الصبح بقریب. فتكلم الناس في ذلك، فقال عليه السلام مه لا تقولوا لعمي زيد إلا خيراً رحم الله عمي فلو ظفر لوفى. فلما كان في السحر قرع الباب ففتحت له الباب فدخل يشهق ويبكي ويقول ارحمني يا جعفر يرحمك الله، إرض عني يا جعفر رضي الله عنك، اغفر لي يا جعفر غفر الله لك، فقال الصادق عليه السلام: غفر الله لك ورحمك ورضي عنك فما الخبر يا عم. قال: نمت فرأيت رسول الله ﷺ داخلاً علي وعن يمينه الحسن عليه السلام وعن يساره الحسين عليه السلام وفاطمة عليها السلام خلفه وعلي عليه السلام أمامه وبيده حربة تلهب ناراً وهو يقول إيه يا زيد آذيت رسول الله ﷺ في جعفر والله لئن لم يرحمك ويغفر لك ويرضى عنك لأرمينك بهذه الحربة فلاضعنها بين كتفيك ثم أخرجها من صدرك، فانتبهت فزعاً مرعوباً فصرت إليك فارحمني يرحمك الله فقال عليه السلام رضي الله عنك وغفر لك أوصني فإنك مقتول مصلوب محروق بالنار، فوصى زيد بعياله وأولاده وقضاء الدين عنه.

هذا نص الخبر ولو أعرضنا عن إرساله وصححناه لما ساغ أن يكون من أخبار الذم وأفادنا التأمل في معانيه وثوقاً بطهارة ذاته وموالاته للإمام الصادق عليه السلام وأن الإمام عليه السلام غير كاره لخروجه، فإنه لو كان كارهاً لذلك لوجب عليه نهيه عنه لاسيما

بعد أن جاءه في المرة الثانية خاضعاً متذللاً نادماً مما جرى منه بحضرته . على أن في ردعه (عليه السلام) أولئك الجماعة الذين نالوا من زيد وقوله لهم (لو ظفر لوفى) دلالة على صحة عقيدة زيد بمقام الصادق (عليه السلام) وأنه الإمام الواجب عليه وعلى الأمة إطاعته، وأن نهضته لم تكن للدعاية إلى نفسه بالإمامة .

وأما ترديد زيد في البيعة بينه وبين الإمام (عليه السلام) ، فليس الغرض منه دعوى الإمامة، وإنما أراد البيعة للخروج الذي ثبت في خلدته رجحانه وسمع به من آبائه، وأما قوله: «لأتعبنك» فلا يريد به الأذى، بل ما يصيب الإمام (عليه السلام) بعد قتل زيد من الهموم المتراكمة عليه، وثقل عياله الذي سيكون عليه، وأداء ديونه، وما يجري عليه من ظنة ملوك عصره عليه بموافقته له في الواقع . وبقيّة كلماته يروم بها استنهاض الإمام في ذلك الموقف الذي استحوذت فيه سيطرة الأمويين على الحقائق الناصعة وكادت أن تأتي على رمق الحق وكيانه . ومراده من قوله «فاحتويت على مال الشرق» هو أنك لا تشكو مع ذلك الإعواز من الوجهة المادية فعندك مال كافٍ للخروج ولم يقصد بذلك أنك أخذته من غير جهته واحتفظت به للوجوه غير المشروعة . وأما حديث المنام فالغرض منه تنبيهه أن عارفاً بمقام الإمام (عليه السلام) كمثله لا ينبغي أن يخاطب إمامه بما يستظهر السامعون منه الخشونة، وإنما نبه بذلك لكماله وعظم مقامه وأريد إكماله بأكثر مما فيه، وليس الغرض

منه التنديد بمقام زيد، وإلا فكم من مخاشنة جرت بين ظلمة أهل البيت وأئمة الهدى عليه السلام فلم يجر فيها من النبي ﷺ تعقيب مثله مع أولئك فإن ما لا يعبأ به منهم يعد ذنباً كبيراً على مثل زيد وربما استقبح من الكاملين بعض ما يستحسن ممن هو دونهم فإن «حسنات الأبرار سيئات المقربين».

٨ - ومثل هذا الحديث ما ذكره في باب معجزات الباقر عليه السلام من (المناقب) أنه قال لزيد لما عزم على البيعة إن مثل القائم من أهل هذا البيت قبل قيام مهديهم عليه السلام مثل فرخ نهض من عشه من غير أن يستوي جناحاه فإن فعل ذلك سقط فأخذ الصبيان يتلاعبون به فاتق الله في نفسك أن تكون المصلوب غداً بالكناسة.

فإن هذا لا يفيدنا وقفة في زيد بعد انقطاع الخبر عن الإسناد. ومن المحتمل قريباً أن الإمام عليه السلام لم يكن بصدد بيان حرمة الخروج وإنما هو بصدد تعريف زيد بخفايا الحوادث وما قدره الله سبحانه وتعالى وقضاه لدولة الباطل حيث جعل لها حداً محدوداً وأمدأ تنتهي إليه لحكم وأسرار منها امتحان الخلق واختبار مقدار إطاعتهم له فما لم يبلغ الكتاب أجله لا تزول تلك الدولة الغاشمة ولا ينتصر حزب الحق فيكون الكلام منه عليه السلام جارياً مجرى الشفقة على تلك النفس الطاهرة من أن تنالها يد السوء والعدوان فالمراد من قوله عليه السلام: (فاتق الله في نفسك أن تكون المصلوب) بيان الخوف من القتل فيذهب ذلك الدم الزاكي

ضياءاً وهذا نظير ما جاء في بعض الأخبار من قول الباقر (عليه السلام) حين استثاره زيد على الخروج (لا تفعل إني أخاف أن تكون المقتول المصلوب على ظهر الكوفة)، فإن النهي فيه للشفقة لا نهى تحريم.

٩ - روى الكليني في (أصول الكافي) في باب ما يفصل بين دعوى المحق والمبطل في أمر الإمامة^(١) عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن الحسين بن سعيد عن الحسين بن الجارود عن موسى بن بكير بن داب^(٢) عن حدثه عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: دخل زيد بن علي (عليه السلام) على أبي جعفر محمد بن علي (عليه السلام) ومعه كتب من أهل الكوفة يدعونه إلى أنفسهم ويخبرونه باجتماعهم ويأمرونه بالخروج فقال له أبو جعفر (عليه السلام) هذه الكتب ابتداء منهم أو جواب ما كتبت به إليهم ودعوتهم إليه. فقال: بل ابتداء من القوم لمعرفتهم بحقنا وبقرابتنا ومودتنا وفرض طاعتنا ولما نحن فيه من الضنك والبلاء فقال أبو جعفر (عليه السلام) إن الطاعة مفروضة من الله عز وجل وسنة أمضاها في الأولين وكذلك يجريها في الآخرين والطاعة لواحد منا والمودة للجميع وأمر الله

(١) الحديث ١٦ في ص ٢١٠ من ط. الأعلمي.

(٢) في نسخة من أصول الكافي عليها إجازة المجلسي بخطه (ذاب) بالذال المعجمة.

يجري لأوليائه بحكم موصول وقضاء مفصول وحتم مقضي وقدر مقدور وأجل مسمى لوقت معلوم فلا يستخفك الذين لا يوقنون إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً فلا تعجل فإن الله لا يعجل لعجلة العباد ولا تسبقن الله فتعجزك البلية فتصرعك .

فغضب زيد عند ذلك وقال ليس الإمام منا من جلس في بيته وأرخی ستره وثبط عن الجهاد ودفع عن رعيته وذبَّ عن حريمه .

قال أبو جعفر عليه السلام : هل تعرف يا أخي من نفسك شيئاً مما نسبتها إليه فتجيء بشاهد من كتاب الله وحجة من رسوله أو تضرب به مثلاً فإن الله أحل حلالاً وحرم حراماً وفرض فرائض وضرب أمثالاً وسنَّ سنناً ولم يجعل الإمام القائم بأمره في شبهة مما فرض له من الطاعة أن يسبقه بأمر قبل محله أو يجاهد فيه قبل حلوله وقد قال الله عز وجل في الصيد : ﴿ لَا تَقْنُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ ﴾ أفقتل الصيد أعظم أم قتل النفس التي حَرَّمَ الله ، وجعل لكل شيء محلاً فقال عز وجل : ﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ﴾ وقال عز وجل : ﴿ لَا تَحْلُوا شَعِيرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ ﴾ فجعل عدة الشهور معلومة فجعل منها أربعة حرماً وقال ﴿ فَيَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ﴾ ثم قال : ﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ فجعل لذلك محلاً وقال : ﴿ وَلَا تَعَزَّمُوا عُقَدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ﴾ فلو قد بلغ مداه وانقطع أكله وبلغ الكتاب أجله لانقطع الفصل وتتابع النظام ولأعقب الله في

التابع والمتبوع الذل والصغار أعوذ بالله من إمام ضل عن وقته فكان التابع أعلم فيه من المتبوع، أتريد يا أخي أن تحيي ملة قوم كفروا بآيات الله وعصوا رسوله واتبعوا أهواءهم بغير هدى من الله وادعوا الخلافة بلا برهان من الله ولا عهد من رسوله.

أعيزك يا أخي أن تكون غداً المصلوب بالكناسة ثم ارفضت عيناه وسالت دموعه ثم قال الله بيننا وبين من هتك سترنا وجحد حقنا وأفشى سرنا ونسبنا إلى غير جدنا وقال فينا ما لم نقله في أنفسنا.

وهذا الحديث لا يسعنا النظر فيه بعد رمي المجلسي له في (مرآة العقول) بالجهالة، وإهمال موسى بن بكير في كتب الرجال، وعدم معرفية من يحدث ابن بكير عنه لينظر في شأنه فالخبر مع جهالته مرسل لا يعتنى به.

١٠ - وأوضح من جميع ما ذكر في الخروج عن الذم والخط من مقامه السامي ما يرويه الكشي في رجاله بترجمة هارون بن سعد^(١) عن حمدويه عن حنان بن سدير قال: كنت جالساً عند الحسن بن الحسين فجاء سعيد بن منصور وكان من رؤساء الزيدية فقال: ما ترى في النبيذ فإن زيدا كان يشربه فقال: ما أصدق على

(١) بل هو في ترجمة سعيد بن منصور من رجال الكشي ص ١٦٩. ط. الأعلمي.

زيد أنه شرب المسكر قال: بلى قد يشربه، قال: فإن كان قد فعل فإن زيدا ليس بنبي أو وصي نبي إنما هو رجل من آل محمد يخطئ ويصيب.

فإن في الطريق حنان بن سدير وقد توقف فيه العلامة الحلي في (الخلاصة) ونقل عن الشيخ الطوسي القول بأنه واقفي وفيها سعيد بن منصور الضعيف في [وجيزة المجلسي] والمعدود في [الخلاصة] في قسم الضعفاء وكيف يجوز الاستناد إلى رواية فيها مثل الرجلين على أن فيها مجال البحث من حيث الدلالة على شربه المسكر فإن النبيذ كما يطلق على المسكر يطلق شائعا عند أهل المدينة على التمر الممروس بالماء أو الزبيب وفي كلام عمر ابن الخطاب تصريح بذلك يقول: [والله ما نعبأ بلذات العيش أن نأمر بصغار المعزى فتسمط لنا ونأمر بلباب الحنطة فيخبز لنا ونأمر بالزبيب فينبذ لنا في الاسعان^(١) حتى إذا صار مثل عين اليعقوب أكلنا هذا وشربنا هذا^(٢)]. وفي حديث ابن عباس كان ينبذ للنبي ﷺ الزبيب فيشربه يومه وغده وبعد الغد إلى مساء الثانية ثم يؤمر به فيسقى الخدم ويهراق^(٣)، وفي حديث أهل البيت 

(١) الإسعان: مصدرها السعن تعني قربة تقطع من نصفها وينتبد فيها وربما استقي بها كالدلو

(٢) حلية الأولياء: ج ١، ص ٤٩.

(٣) سنن أبي داود: ج ٣، ص ٣٣٥، طبع مصر.

الصحيحة الإسناد دلالة على أنهم كانوا يفعلونه ويشربونه .

ففي حديث الصادق عليه السلام : أن أهل المدينة شكوا إلى رسول الله ﷺ تغير الماء وفساد طبائعهم فأمرهم أن ينبذوا فكان الرجل يأمر خادمه أن ينبذ له فيعمد إلى كف من التمر فيقذف في الشن فممنه شربه ومنه ظهوره فقال السائل : وكم كان عدد التمر الذي في الكف ، قال : ما حمل الكف فربما كانت واحدة وربما كانت اثنتان قال له : وكم كان يسع الشن ، قال : ما بين الأربعين إلى الثمانين إلى ما فوق ذلك^(١) .

وحدث إبراهيم بن أبي البلاد قال : دخلت على الجواد عليه السلام فقلت له : إني أريد أن ألصق بطني ببطنك فأذن له وكشف عن بطنه وقال : ههنا يا أبا إسماعيل فحسرت عن بطني وألصقته ببطنه ثم إنه عليه السلام دعا بطبق فيه زبيب فأكلت وأخذ في الحديث فشكا إلي معدته ثم إني عطشت فاستسقيت ماءً فقال عليه السلام : يا جارية اسقيه من نبيذي فجاءته بنبيذ مريس في قدح صفر فشربته فوجدته أحلى من العسل فقلت : هذا الذي أفسد معدتك قال : هذا من تمر صدقة النبي ﷺ يؤخذ غدوة فيصب عليه الماء فتمرسه الجارية وأشربه على أثر الطعام ولسائر نهاري فإذا كان الليل أخرجته الجارية فسقته أهل الدار فقلت له : إن أهل الكوفة لا يرضون بهذا ، فقال : وما نبيذهم ، قلت : يؤخذ التمر فيلقى ويلقى عليه

(١) أصول الكافي : باب ما يفصل بين دعوى المحق والمبطل في أمر الإمامة .

القعوة قال: وما القعوة قلت الدازي قال: وما الدازي، قلت: حب يؤتى به من البصرة يلقي في هذا النبيذ حتى يغلي ويسكن ثم يشرب قال ذاك حرام^(١).

وفي لبّ الباب للقطب الراوندي النبيذ الحلال هو ما كان بالمدينة وهو أن ماءها كان زعاقاً فأمر النبي ﷺ أن يجعل في شن من الماء عظيم تميرات ليذهب مرارة الماء فكانوا يشربون منه ويتوضأون به.

وفي دعائم الإسلام عن علي عليه السلام كنا ننقع لرسول الله ﷺ زيباً أو تمرّاً في مطهرة من الماء لنحليه له فإذا كان اليوم واليومين شربه فإذا تغير أمر به فأهريق^(٢) وفي حديث الصادق عليه السلام الحلال من النبيذ ان تنبذه وتشربه من يومه ومن الغد فإذا تغير فلا تشربه ونحن نشربه حلواً قبل أن يغلي قال: وكان ماء زمزم فيه ملحوة فكانوا يطرحون فيه تمرّاً ليعذب ماؤه.

من هذه الأحاديث ونحوها التي شرحت لنا معنى النبيذ المستعمل عند أهل المدينة يمكننا أن نتعرف النبيذ الذي استعمله زيد فإنه ليس إلا ذلك المعروف بين أهل المدينة وأما النبيذ المسكر الحرام فلم يعرفه أهل المدينة ولذا احتاج الإمام

(١) البحار في باب فضائله ومكارم أخلاقه.

(٢) الحديثان في مستدرك النوري، ج ٣ ص ١٣٣.

الجواد عليه السلام إلى الفحص عنه فهذه الرواية الحاكية شرب زيد النبيذ لو سلمنا صحة سندها فليس فيها ما يوجب القبح واستفادة سعيد ابن منصور خصوص المسكر من ذلك النبيذ مبنية على عدم معرفته القسم الحلال منه الشائع الاستعمال عند أهل المدينة لأنه كوفي وأهل الكوفة لا يعرفون إلا النبيذ المسكر ويشهد له رواية ابن أبي البلاد المتقدمة .

ولقد أغرب ابن عبد ربه في العقد الفريد وكم له في العقد من منكرات وهفوات ستقف على بعضها في هذه الأوراق فإنه روى شرب زيد المسكر عن جمع أهمل ذكرهم علماء الرجال لعدم معروفة حالهم قال: (حدث شباة عن غسان بن أبي صباح الكوفي عن أبي سلمة يحيى بن دينار عن أبي المظهر الوراق قال كان زيد في بعض أزقة الكوفة إذ مرّ به رجل من الشيعة فدعاه إلى منزله وأحضر طعاماً فتسامعت به الشيعة فدخلوا عليه حتى غص المجلس بهم فأكلوا معه ثم استسقى فليل أي الشراب نسقيك يا بن رسول الله قال: أصلبه وأشدّه فأتوه بعتيق من نبيذ فشرب وأدار العس عليهم ثم قالوا يا بن رسول الله لو حدثنا في هذا النبيذ بحديث رويته عن أبيك عن جدك فإن العلماء يختلفون فيه قال: نعم حدثني أبي عن جدي أن النبي صلى الله عليه وآله قال لتركبن طبقة بني إسرائيل حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل ألا وإن الله ابتلى بني إسرائيل بنهر طالوت أحل منه الغرفة والغرفتين وحرم منه الري

وقد ابتلاكُم بهذا النبيذ أحل منه القليل وحرم منه الكثير وكانوا أهل الكوفة يسمون النبيذ نهر طالوت).

هذا نص الحديث الذي جعله أحد الأدلة على حلية شرب القليل من النبيذ ورقص لما لابن عبد ربه من مكاء وتصدية الدكتوران (حسن إبراهيم حسن) و (محمد زكي إبراهيم) قالوا: (بلغ من تشيع أهل الكوفة لآل علي أن كانوا يؤمنون بكل حديث أياً كان سواء تضمن أولم يتضمن بعض الأمور التي تتعارض مع ظاهر القرآن ما دام ذلك قد جاء على السنة الأئمة من آل علي ومن ثم كان يبيح أهل الكوفة القليل من النبيذ)^(١) ثم نقلا عبارة العقد بنصها.

ومن الغريب ولا غرابة لمن ذهبت به الأغراض كل مذهب إذا اعتمد على أحاديث منكرة ولم يفحص عن حال روايتها ليعرف مقامهم بين علماء الرجال ونحن بعد أن عرفناهم بين مهمل الذكر أو متروك الحديث لم يبقَ إذاً للحديث الذي يحملونه إلينا نصيب الأخذ وكان سهمه الضرب في عرض الجدار وهذا الحديث الذي يحدثنا عنه ابن عبد ربه واتخذه المترجمان أساساً قوياً في التنديد بآل علي وشيعتهم خارج عن صف الأحاديث الصحيحة

(١) انظر السيادة العربية أو الشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية مترجم عن الفرنسية تأليف (فان فلوتن): ص ٧٧، طبع مصر سنة ١٩٣٤م.

السند كيف لا وفي الطريق ابن شابة المدائني الداعية إلى القول بالإرجاء ومن هنا ترك أحاديثه أحمد بن حنبل ولم يحتج به أبو حاتم وفيه يقول الذهبي في (ميزان الاعتدال) بترجمته إنه صاحب حديث فيه بدعه وأما غسان بن أبي صباح الكوفي وأبو سلمة يحيى بن دينار وأبو مظهر الوراق فليس لهم ذكر في كتب الرجال لينظر في شأنهم فهم من المجاهيل الذين لا يحتج بأحاديثهم .

١١ - روى النعماني في (الغيبة) في باب ما روي في صفة القائم: ص ١٢١، عن أحمد بن محمد بن سعيد عن القاسم بن محمد بن الحسين بن حازم عن عبيس بن هشام عن عبد الله بن جبلة عن علي بن أبي المغيرة عن أبي الصباح قال: دخلت على أبي عبد الله (عليه السلام) فقال لي: ما وراءك قلت: سرور من عمك زيد خرج يزعم أنه ابن سبية وأنه قائم هذه الأمة وأنه ابن خيرة الإمام فقال: كذب ليس هو كما قال إن خرج قتل قبل قائم هذه الأمة وإنه ابن خيرة الإمام .

وفي الطريق عبد الله بن جبلة وهو من الواقفة المعدودين في الخلاصة من قسم الضعفاء وأما علي بن أبي المغيرة فقد تأمل فيه الشيخ عبد النبي الحائري في الحاوي والوحيد البهبهاني في التعليقة فهو من المجهولين فالرواية على هذا لا تصلح سنداً للطعن عليه .

١٢ - ومثله ما رواه الصدوق في الباب السادس من (العيون)

عن الطالقاني عن الحسين بن إسماعيل عن أبي عمرو سعيد بن محمد بن نصر القطان عن عبد الله بن محمد السلمي عن محمد ابن عبد الرحمن عن محمد بن سعيد عن العباس بن أبي عمرو عن صدقة بن أبي موسى عن أبي نضرة قال: لما احتضر أبو جعفر الباقر عليه السلام دعا ابنه الصادق عليه السلام ليعهد إليه عهده فقال أخوه زيد بن علي عليه السلام: لو تمثلت فيّ بمثال الحسن والحسين عليهما السلام لرجوت ألا تكون أتيت منكراً فقال له: يا أبا الحسن إن الأمانات ليست بالمثال وإنما هي أمور سابقة عن حجج الله عز وجل ثم دعا جابر بن عبد الله وقال له: يا جابر حدثنا بما عاينت في الصحيفة^(١) فقال: نعم يا أبا جعفر دخلت على مولاتي فاطمة بنت رسول الله ﷺ لأهنيها بمولودها الحسين عليه السلام فإذا بيدها صحيفة بيضاء من درة فقلت لها: يا سيدة نساء العالمين ما هذه الصحيفة التي أراها معك، قالت: فيها أسماء الأئمة من ولدي فقلت لها: ناوليني لأنظر فيها قالت: لولا النهي لكنت أفعل لكنه قد نهى أن يمسه إلا نبي أو وصي أو أهل بيت نبي ولكن مأذون لك أن تنظر إلى باطنها من ظاهرها. قال جابر: فقرأت فإذا فيها أبو القاسم محمد بن عبد الله المصطفى أمه آمنة، وأبو الحسن علي بن أبي طالب أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف،

(١) حديث الصحيفة بنفسه متواتر من طرق أهل البيت عليهم السلام.

وأبو محمد الحسن بن علي البر، وأبو عبد الله الحسين النقي
 أمهما فاطمة بنت محمد ﷺ، وأبو محمد علي بن الحسين العدل
 وأمه شهربانويه بنت يزدجرد، وأبو جعفر الباقر أمه أم عبد الله
 بنت الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وأبو عبد الله جعفر بن
 محمد الصادق أمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر،
 وأبو إبراهيم موسى بن جعفر أمه جارية اسمها حميدة المصفاة،
 وأبو الحسن علي بن موسى الرضا أمه جارية اسمها نجمة، وأبو
 جعفر محمد بن علي الزكي أمه جارية اسمها خيزران، وأبو
 الحسن علي بن محمد الأمين أمه جارية اسمها سوسن، وأبو
 محمد الحسن بن علي الرفيق أمه جارية اسمها سمانة تكنى أم
 الحسن، وأبو القاسم محمد بن الحسن هو حجة الله القائم أمه
 جارية اسمها نرجس صلوات الله عليهم أجمعين.

فإن رجال الحديث من المجاهيل المهملين غير الطالقاني
 ومع ذلك لا يجوز الاعتماد عليه في القدح بكرامة الرجل.

هذه هي الأحاديث الدائمة وقد عرفت حال روايتها مضافاً إلى
 ما في دلالتها من الكلام، ولم يبقَ منها إلا ما يرويه الكشي في
 رجاله من محاوراة أبي الصباح الكناني مع زيد، قال أبو الصباح:
 أتاني سدير، وقال إن زيداً تبرأ منك، فأخذت عليّ ثيابي وأتيته
 فدخلت عليه وسلمت، وقلت يا أبا الحسن بلغني أنك تقول
 الأئمة أربعة ثلاثة مضوا والرابع هو القائم، فقال زيد: هكذا

قلت، قال: فقلت له هل تذكر قولك لي بالمدينة في حياة أبي جعفر عليه السلام، وأنت تقول: إن الله تعالى قضى في كتابه، أن من قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً، وإنما الأئمة ولاية الدم وهذا الباب، فهذا أبو جعفر عليه السلام الإمام، فإن حدث به حدث فإن فينا خلفاً، قال: وكان يسمع مني خطب أمير المؤمنين، وأنا أقول: لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم، فقال لي أما تذكر هذا القول، قلت إن منكم من هو كذلك، ثم خرجت من عنده وهيأت راحلة ومضيت إلى أبي عبد الله عليه السلام، فدخلت عليه، وقصصت عليه ما جرى بيني وبين زيد، فقال: أرأيت لو أن الله ابتلى زيدا فخرج منا سيفان آخران فبأي السيف تعرف الحق، والله ما هو كما قال ولئن خرج ليقتلن، فرجعت وانتهيت إلى القادسية فاستقبلني الخبر بقتله.

والحديث لا يمكن الاعتماد عليه لأنه من الآحاد التي لا توجب علماً ولا عملاً سيما في الواقعة بأعراض المسلمين والنيل منهم، وعلى الأخص من مثل زيد المعدود في رجالات أهل البيت وعلمائهم الذين أمرنا بمودتهم وإكبارهم، على ما تقدم من ثبوت جلالته، وعظم مقامه بما اتصل إلينا من شهادات أئمة الهدى عليهم السلام، وذبحهم عنه، وتنزيههم له بمستفيض النقل أو متواتره، وإطباق علماء الفريقين على الدفاع عنه وتقديسه، على أن الحديث مضطرب المتن، فإن قول زيد: فهذا أبو جعفر الإمام،

ظاهر في الاعتراف بإمامة الباقر والصادق وقول الإمام: (أرأيت لو أن الله ابتلى زيدا)، ليس الغرض منه إلا تعليم أبي الصباح بأن محض الخروج بالسيف من كل من انتسب إلى هذا البيت لا يدل على أنه القائم على الأمة، بل لا بد في ذلك من برهان ساطع ومعجز قاطع، وقوله: (ولئن خرج ليقتلن)، لا يدل على أكثر من أن زيدا لم يتسنَّ له بالخروج ما كان يرومه من استرجاع الإمامة إلى أهلها لقضاء قدره الله سبحانه وتعالى بأن يقتل ويصلب أعلم به النبي ﷺ على لسان الأمين جبرائيل.

«الخلاصة»

من جميع ما مر فقد تجلّى الحق وانكشف بطلان دعواه الإمامة لنفسه عن جدّ وعقيدة وما هي إلا أساطير لفقها دعاة الباطل للحط من كرامة تلك الذات الطاهرة، بغضاً وعدواناً، وإن تكن تلك الدعوى، فإنما الغرض منها استنقاذ الحق من أيدي المتغلبين عليه ولالة الجور وأرباب الباطل وإعادته إلى أهله، كما يفصح عنه قول الصادق عليه السلام كان زيد عالماً وصدوقاً ولم يدعكم إلى نفسه وإنما دعاكم إلى الرضا من آل محمد ولو ظفر لوفى بما دعا إليه ^(١) وهذا من أهم الوسائل إلى استحصال الحق المغصوب وإعادة سلطان العدل إلى أهله، ولو أعلن الدعوة للإمام الصادق عليه السلام كما يريده ضعيف النظر، قاصر البصيرة، لرأيت هناك الأضرار البالغة التي تلحق الإمام من أئمة الجور، ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ﴾.

(١) الوسائل كتاب الجهاد باب من خرج بالسيف قبل قيام القائم.

من هذا وأشباهه نشاهد الإمام الصادق عليه السلام تارة يظهر المدح والثناء عليه ويقول حين يُسأل عن خروجه: (خرج على ما خرج عليه آبؤه)^(١) وذلك لأن الثقة من أصحابه محفوظة، فلا خوف ولا تقية، وتارة يلقي الستر والحجاب ولا يتكلم إلا بالإبهام والإعجام، ويقول لمن حاجج زيدا من أصحابه: أخذته من بين يديه ومن خلفه ولم تترك له مخرجاً وذلك لأن الخوف هناك والتقية أمامه.

ويشهد للتقية، ما يرويه فضيل الرسان، يقول: دخلت على الصادق بعدما قتل زيد فأدخلت بيتاً في جوف بيت فقال لي: يا فضيل قتل عمي زيد، قلت: نعم جعلت فداك، فقال: رحمه الله أما إنه كان مؤمناً وكان عارفاً وكان صدوقاً أما إنه لو ظفر لوفى، أما إنه لو ملك لعرف كيف يضعها.

فإنه عليه السلام لو لم يحذر ويخف من وصول الخبر إلى أئمة الجور لما أدخله تلك البيوت وسأله عما جرى على عمه، وإلى هذا ينظر ما في (كفاية الأثر) من بيان الوجه في مخالفة الصادق عليه السلام حيث يقول: كانت المخالفة لضرب من التدبير، فإن مراده من التدبير ذلك الذي أشرنا إليه وهو الخوف من السلطان.

وتابعه على هذا الرأي السيد صدر الدين ابن الفقيه السيد

(١) الخطط المقرزية: ج ٤، ص ٣٠٧.

محمد العاملي في تعليقه على ترجمة زيد من (منتهى المقال)^(١) قال: (لو لم يظهر الصادق عليه السلام عدم الرضا بخروجه، ويصوّب أصحابه في معارضتهم وإسكاتهم إياه ولم يجب بالإبهام والإعجام عند السؤال عن خروجه، لكان في ذلك نقض الغرض والتعريض بهلاك الإمام).

نعم احتمال الوحيد البهبهاني في التعليقة زيادة على ذلك وهو حمل الأخبار الناهية عن الخروج، إما على صون الشيعة عن الضلال، وإما على تخطئة الاجتهاد، ولكنه لم يقم عليه شاهد.

وهناك احتمال آخر للشيخ فخر الدين الطريحي النجفي ذكره في مادة (زيد) من مجمع البحرين، وهو حمل النهي على الشفقة وخوف القتل، وليس للتحريم، ولعله أخذه من الخوف الموجود في بعض الأخبار، مثل ما رواه القطب الراوندي في (الخرائج) في الباب: ٦^(٢)، في معجزات الباقر عليه السلام عن الحسن بن راشد، قال: ذكرت زيد بن علي عليه السلام فتنقصته عند أبي عبد الله عليه السلام فقال: لا تفعل رحم الله عمي زيدا إنه أتى أبي وقال إني أريد الخروج على هذا الطاغية فقال: لا تفعل فإني أخاف أن تكون المقتول

(١) رأيته مخطوطاً بقلم حجة الإسلام العلامة المتفّن السيد حسن آل صدر الدين الكاظمي (قده).

(٢) الحديث ١٣ ص ٢٨١ ط. الأعلمي.

المصلوب على ظهر الكوفة أما علمت يا زيد أنه لا يخرج أحد من ولد فاطمة على أحد من السلاطين قبل خروج السفيناني إلا قتل ثم قال يا حسن ، إن فاطمة عليها السلام لعظمها على الله حرم ذريتها على النار وفيهم أنزلت ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ ﴿فَأَمَّا الظَّالِمُ لِنَفْسِهِ﴾ لا يعرف والمقتصد العارف بحق الإمام يا حسن لا يخرج أحدنا من الدنيا حتى يقر لكل ذي فضل فضله .

أسباب النهضة

كان السبب الوحيد الدافع للشهيد زيد على هذه النهضة، تنبيه الأمة على زلات ولاة الأمر وتعريفهم مضار تلك السطوة الغاشمة وذلك الحكم الجائر، ولولا نهضة الهاشميين في سائر الأنحاء والأزمان لذهب الدين الحنيف الذي لاقى المتاعب صادعه وكابد في تأييده كل شدة، أدراج المنكرات، وذلك النهوض الباهر أفاد الأمة شعوراً وإحساساً بما عليه القوة العادية من الأخذ بالمشاق والحكم بالشفاعات، كما عرّفهم الصالح للقيام بتلك الوظيفة التي لا يقوم بها إلا نبي أو وصي نبي، ولا شك في محبوبة ذلك القيام للأئمة الأطهار لما فيه من فوائد ومنافع أهمها إبقاء الناس على موالاتهم واعتقاد تقدمهم ومظلوميتهم، وإليه يشير الصادق عليه السلام بقوله: (خير الناس بعدنا من ذاكر بأمرنا ودعا إلى ذكرنا)، وكون زيد قاصداً تلك الغاية فشيء لا ينكر خصوصاً بعدما نقرأ في حديث أهل البيت المتواتر (إنما دعا إلى الرضا من آل محمد ولو ظفر لوفى بما دعا إليه إنما خرج

إلى سلطان مجتمع لينقضه) وقوله لجابر بن عبد الله الأنصاري:
إني شهدت هشاماً ورسول الله يسب عنده فوالله لو لم يكن إلا أنا
وآخر لخرجت عليه.

تعرفنا هذه المصارحة مقاصده العالية، ونيته الحسنی في أمة
جده، واسترجاع الإمامة إلى أهلها: تراجمة الوحي ومصدر
الحكم والأسرار. فلقد تلاعب الأمويون بالدين الإسلامي،
تلاعب الصبيان بالأكر.

تحكم فيه معاوية عشرين عاماً بما شاء له هواه، كما أخبر
عن نفسه بقوله: «إني تضجعت فيها ظهراً لبطن»^(١) وخطبته
بالنخيلة بعد صلح الحسن بن علي عليه السلام القائل فيها: «إنما قاتلتكم
لأنأمر عليكم وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون، ألا وإن كل
شيء أعطيته الحسن بن علي تحت قدمي لا أفي به»^(٢)، شاهد
عدل على الغاية المتوخاة له، وأنها ليست إلا حب الدنيا، ونهمة
الاستعمار واتباع المطامع، فلا غرابة إذاً إذا حدث عنه أبو إسحق
الموصلی، بقوله كان بين المغنين وبين معاوية ستارة لئلا يظهر
ذلك للناس. ويقول أبو الفداء في «المختصر من أخبار

(١) ربيع الأبرار للزمخشري في باب الأوقات وذكر الدنيا والآخرة أسقطنا
صدر الحديث فراجع.

(٢) مقاتل الطالبين.

البشر»^(١): غناه بعض المغنين بشعر يحبه وذكر الأبيات فطرب وتحرك حتى ضرب برجله الأرض، وقوله لابنه يزيد وقد استمع عنده ليلة غناءً أعجبه فلما أصبح قال له من ملهيك البارحة؛ قال سائب بن خائر قال: فأكثر له من العطاء^(٢).

أجل يقف القارئ موقف الدهشة والاستغراب وإن وجدت هذه الأحاديث في المصادر الموثوق بها، بعد أن يشاهده كاتباً للنبي ﷺ قريب العهد بزمان التشريع، والشرعية نفسها تمنع بتاتاً من سماع الغناء، فضلاً عن بذل مال المسلمين بإزائه، لكنه إذا تصفحنا الآثار والجوامع وقرأنا اليسير من سيرته ارتفعت كل دهشة واستغراب، فهذا أحمد بن حنبل يحدث في المسند: ج ٥، ص ٣٤٧، عن عبد الله بن بريدة الأسلمي قال: دخلت أنا وأبي على معاوية فأجلسنا على الفراش ثم أتينا بالطعام فأكلنا ثم أتينا بالشراب فشرب معاوية ثم ناول أبي فقال: ما شربته منذ حرمه رسول الله ﷺ. ويقول أبو الفرج في الأغاني: ج ٢، ص ٧٩، خرج عبد الرحمن بن سيحان سكراناً من دار الوليد بن عثمان، فضربه الحدّ ثمانين سوطاً مروان بن الحكم أيام ولايته المدينة، فغاظ معاوية ذلك حينما أقرأه البريد هذه الحادثة،

(١) ج ١، ص ١٨٩.

(٢) العقد الفريد: ج ٣، ص ٢٢٩.

وقال: لو كان حليف أبي العاص لما ضربه وإنما ضربه لكونه حليف حرب بن أمية ثم أمر الكاتب أن يكتب إلى مروان بإعطاء ابن سيحان ألفي درهم ويعلن أنه ضربه على شبهة ففعل ذلك مروان. ويحدث الزمخشري في [ربيع الأبرار] في باب التأديب والحبس والنكال: «أن معاوية بن أبي سفيان قدم إليه حمزة السارق فأمر بقطعه، فاستعطفه بهذه الأبيات:

يدي يا أمير المؤمنين أعيذها بعفوك من عار عليها يشينها
فلا خير في الدنيا ولا نعيمها إذا ما شمالي فارقتها يمينها
فلو قد أتى الأخبار قومي تقلصت إليك المطايا وهي خوص عيونها
فأبطل عنه الحد وهو أول حد بطل في الإسلام».

ما أدري ولا المنجم يدري من أين جاء هذا التساهل بالأحكام، وكيف ظهر له سقوط الحدود بالاسترضاء، ألم يبلغه وهو كاتب النبي ﷺ قوله في شأن الحدود: أقيموا حدود الله في القريب والبعيد ولا تأخذكم في الله لومة لائم^(١) وقوله في شأن المرأة المخزومية سارقة الحلي في عهده ﷺ فأشفت قريش على قطعها فاستشفعوا النبي ﷺ بأسامة بن زيد بن حارثة وكان لا يرده فلما كلمه، قال له: يا أسامة أتشفع في حد من حدود الله؟! ثم خطب فقال: إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق

(١) الترغيب والترهيب للمنزري: ج ٣، ص ١٠٦.

فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وإذا سرق الشريف تركوه، وأيم الله لو أن فاطمة سرقت لقطعت يدها^(١).

وهذا الكلام منه ﷺ يفيدنا قانوناً أساسياً هو المحافظة على إقامة الحدود، لما فيه من اجتياح جذوم الفوضى، ونشر العدل والمعروف بين الأمة، فليس الاستعطاف والمخالفة لحرب بن أمية يرفع حكماً ولا يذهب بواجب ألا يعتذر كما اعتذر علي عليه السلام حينما أخذ رجلاً من بني أسد للحد فدخل قومه على الحسن وسأله أن يأتي أباه ويكلمه في رفع الحد، فقال لهم ائتوه فهو أعلى بكم عينا فدخلوا على علي عليه السلام فرحب بهم وقالوا له معروفاً، فقال عليه السلام: لا تسألوني شيئاً أملكه إلا أعطيتكم فخرجوا من عنده راضين، ثم إن علياً عليه السلام أخرجه وجلده وقال: هذا لله ولست أملكه.

لقد هانت على الدين الحنيف كل صعوبة لاقاها تلك الأيام القاسية، بعدما شاهد أيام «يزيد» ذلك الذي سود صحائف حياته بالمنكرات، فكانت أيامه كلها جوراً وضلالاً وانهماكاً في

(١) انظر الحادثة في مستدرک الحاكم: ج ٤، ص ٣٧٩، وصحيح مسلم: ج ٢، ص ٣٢، وصحيح البخاري: ج ٢، ص ٢٦٢ في باب ذكر أسامة ومصابيح السنة للبخاري: ج ٢، ص ٤٤، والإصابة بترجمة فاطمة بنت أبي الأسود والمحاسن والمساوئ للبيهقي: ج ٢، ص ٥١، وسنن أبي داود: ج ٤، ص ١٣٢، والترغيب والترهيب: ج ٣، ص ١٠٦، ومسند أحمد: ج ٣، ص ٣٨٦.

الخمور^(١) فمثلت تلك الأيام المظلمة موقفه المسيء لهذه الشريعة المقدسة. ومن هنا مقتته الناس، وخرج عليه أهل المدينة فأسرف جيشه المتمرد في دماء الأبرياء من الصحابة والتابعين، واتخذ من بقي من الناس عبيداً له في طاعة الله ومعصيته ومن لم يقبل تضرب عنقه، فبايعوه على ذلك إلا رجلاً من قریش قال أبايعه في طاعة الله فلم يقبل منه فقتل^(٢).

كانت تلك الفضائع والمنكرات بمرأى منه ومسمع، يشهد له وصيته أمير الجيش لما سيره بإباحة حرم الرسول ﷺ ثلاثة أيام^(٣)، ذلك الحرم الذي يقول فيه النبي ﷺ: من أخاف أهل المدينة ظالماً لهم أخافه الله وكانت عليه لعنة الله^(٤)، ولم يعلمنا التأريخ باستيائه وغضبه حينما أقرأه البريد انتهاب ذلك الجند أموال الأبرياء واستباحته الفروج والأعراض^(٥)، نعم حمل إلينا التاريخ ومجازاته مروان بن الحكم بكل جميل لإعانتة أمير

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص ١٤٤.

(٢) تاريخ المدينة للسهمودي: ج ١، ص ٩٥، طبع سنة ١٣٢٦.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٧، ص ٦.

(٤) تاريخ المدينة: ج ١، ص ٣١.

(٥) في الفخري: ص ٨٧، كان الرجل إذا زوج ابنته لا يضمن بكارتها، ويقول: لعلها افتضت يوم الحرية، وفي تذكرة السبط: ص ١٦٣، ولدت ألف امرأة يوم الحرية من غير زوج ويقال عشرة آلاف امرأة.

الجيش على أهل المدينة، فقربه وأدناه وشكر له^(١) تلك السيئات التي يتبرأ منها كل مسلم غيور على أعراض المسلمين ونفوس الأبرياء، بل لم يعهد صدور مثل ذلك في جاهلية العرب ولا ممن انتحل ديناً غير دين الإسلام^(٢)، فإننا لو نظرنا الوقائع نظرة صادقة، لعرفنا من تاريخ العرب، اجتنابهم البريء واحترامهم العقائل والمخدرات وإن شاركوا الأزواج في الحرب والقتال. كل ذلك على ما فيهم من الوحشية والهمجية، فكيف بنا اليوم وقد تقشعت عنا سحابة الجهل، وسطع في كل النواحي والآفاق نور الهدى فسرنا أمام الحق معتنقين القانون المحمدي، ذلك القانون الحاكم على كل مسلم باحترام الأبرياء وبالأخص النساء والصبيان، وإن كانوا من أولي الشرك لكونهم ضعفاء العقول ضعفاء القوى، ولم يزل النبي ﷺ مدة حياته يوصي أصحابه باجتنب المرأة وألا يهيجوها بسوء ومكروه، وكان يشدد النكير إذا بلغه في مشاهدته ومغازيته قتل النساء^(٣)، يحدث ابن جرير في التاريخ^(٤)، أن جماعة من الخزرج استأذنوا النبي ﷺ في الخروج

(١) تاريخ الطبري: ج ٧، ص ٦.

(٢) في خطبة علي عليه السلام وإن كان الرجل ليتناول المرأة في الجاهلية بالهراوة والحديدة فيغير بها عقبه من بعده.

(٣) صحيح مسلم: ج ٢، ص ٤٨، وموطأ مالك: ج ٢، ص ٦.

(٤) ج ٣، ص ٧.

إلى خبير لقتل ابن أبي الحقيق فأذن لهم وأمرهم ألا يقتلوا وليداً ولا امرأة.

وعلى هذه الطريقة سار المسلمون، ولم يأخذ أحد بسيرة [يزيد] وإن كان مغموراً بترهات من الأضاليل وخرافات من الأباطيل، حتى إن الخوارج وهم سؤر الجاهلية وبقية الهمجية ظفروا بامرأة لما خرجوا بالأهواز وأرادوا قتلها فلما ذكرتهم مقامها بين نوع الإنسان وعدم كفاءتها للرجال وفي ما قالت لهم: «أتقتلون من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين»^(١)، أمسكوا عنها ولم يتعرضوا لها بسوء خوفاً من العار ولوم الرجال.

كان الدين كامناً في وجاره مدة ظهور الفساد في جميع النواحي التي تثلمت فيها سيوف الحق وانكسرت أسنة العدل مترقباً ظهور سلطان الرشاد ليأخذ بظلامته، فلم يستشعر إلا وزوابع الجور والتضليل قد كدرت صفاء ذلك الجو، فاستلفت النظرة وإذا آل مروان تربعوا في دست الخلافة فزادوا الطين بلة حيث شاع الفساد في أيامهم، وفشا بين الأمة شرب الخمر والغناء، ومما ساعد على ذلك فعل الخلفاء (عبد الملك وأولاده)^(٢)، فإنهم كانوا

(١) العقد الفريد: ج ٣، ص ١٧١، ط ١٣٣١هـ.

(٢) تاريخ التمدن الإسلامي: ج ٥، ص ١٢٢.

يشربون الخمر ويطلبون الندامى والمغنين^(١)، وفي جواب عبد الملك لأم الدرداء شهادة صدق في ما حمله إلينا التأريخ من تهاونه بأمور المسلمين، وانهماكه باللهو واللذات. قالت له: (بلغني أنك شربت الخمر بعد النسك والعبادة). قال: أي والله والدماء قد شربتها^(٢). ولقد هان عليه الولوغ في تلك الدماء، بل وهانت عليه كل سيئة رفضها دين الإسلام، بعد أن اجتراً على الكتاب المجيد يوم جاءتة الخلافة وهو يقرأ فيه فطبقه، وقال: سلام عليك هذا فراق بيني وبينك^(٣) ولقد فارق السنة كما فارق القرآن فلاقت الأمة في أيامه من الظلم والجور والأخذ بالمشاق خصوصاً أيام عامله الحجاج، بما لم يشاهد مثله على صحائف التاريخ.

ليس الغرض في هذا الموقف إحصاء زلات القوم وإن كثرت، لأنني لم أكن في هذا المختصر بصدد ذلك، وإنما كان التعرض لهذه الجملة اليسيرة كمثل تتعرف منه القراء الغاية الباعثة للشهيد زيد على الخروج، وهي استرجاع الخلافة إلى أهلها، وإظهار العدل في أمة جده ﷺ، وقلع الفساد الذي نشره بين الأمة.

(١) ربيع الأبرار في باب العيد والإماء.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي.

(٣) كامل المبرد: ج ٣، ص ١٣٩، وتاريخ أبي الفدا: ج ١، ص ١٩٤، وحياة الحيوان: ص ٥٧، ط ١٣١١ هـ.

«موقفه مع هشام»

ولم يوقفه عن الإصحار بالحقيقة، كل ما كان يلاقه من الذل والهوان من هشام بن عبد الملك، فإنه كان يقيم في الشام الأيام المتطاولة، وفي كل يوم يطلب الإذن من هشام ليرفع إليه القصص وفيها الشكايات من سوء معاملة عماله معه، فلم يأذن له^(١)، في حين أنه يشاهد الإذن للأذناب ومن لا حظ له في العلم والعرفان، وإذا أذن له أمر أهل المجلس بالتضايق وعدم التوسع له^(٢)، لئلا يظهر للناس كلامه وحسن بيانه، ولكن لم يمنعه ذلك من الجواب وأداء المقصود والرد عليه، فكان يسمع هشاماً من الكلام ما هو أحد من السيف وأنفذ من السهم.

قال لزيد في جملة تلك الأيام وقد احتشد المجلس بأهل الشام: ما يصنع أخوك البقرة، فغضب زيد حتى كاد يخرج من

(١) كامل ابن الأثير: ج ٥، ص ٨٥.

(٢) إرشاد المفيد.

إهابه، وقال: سماه رسول الله ﷺ الباقر وأنت تسميه البقرة لشد ما اختلفتما لتخالفنه في الآخرة كما خالفته في الدنيا فيرد الجنة وترد النار^(١)، فانقطع هشام عن الجواب وبان عليه العجز ولم يستطع دون أن صاح بغلمانة أخرجوا هذا الأحمق المائق فأخذ الغلمان بيده فأقاموه.

وفي حديث عبد الأعلى الشامي، أن زيد بن علي لما قدم الشام، ثقل ذلك على هشام، لما كان فيه من حسن الخلق وحلاوة اللسان فشكى ذلك إلى مولى له، فقال ائذن للناس إذناً عاماً واحجب زيدا ثم ائذن له في آخر الناس، فإذا دخل عليك وسلم فلا ترد عليه، ولا تأمره بالجلوس فإذا رأى أهل الشام هذا، سقط من أعينهم، ففعل بكل ما أشار عليه، أذن للناس وحجبه ثم أذن له في آخر الناس ولما دخل عليه قال السلام عليك يا أمير المؤمنين فلم يرد عليه، فقال السلام عليك يا أحول فإنك ترى نفسك أهلاً لهذا الاسم^(٢)، فقال له هشام بلغني أنك تذكر الخلافة وتتمناها ولست هناك وأنت ابن أمة، فقال له زيد: إن الأمهات لا يقعدن بالرجال عن الغايات وقد كانت أم

(١) شرح النهج الحديدي: ج ١، ص ٣١٥، وعيون الأخبار لابن قتيبة: ج ١، ص ٢١٢.

(٢) تاريخ الشام لابن عساكر: ج ٦، ص ٢٢.

إسماعيل أمة لأم إسحاق فلم يمنعه ذلك أن بعثه الله نبياً وجعله أباً للعرب وأخرج من صلبه خير الأنبياء محمداً ﷺ^(١)، وأخرج من إسحاق القردة والخنازير وعبد الطاغوت^(٢)، فغضب هشام وأمر بضربه ثمانين سوطاً^(٣)، فخرج زيد من المجلس وهو يقول: لن يكره قوم حر السيوف إلا ذلوا فحملت كلمته إلى هشام فعرف أنه خارج عليه، فقال: أستم تزعمون أن أهل هذا البيت قد بادوا فلعمري ما انقرض من مثل هذا خلفهم^(٤)، وتمثل زيد بهذين البيتين^(٥):

إن المحكم ما لم يرتقب حسداً أو يهرب السيف أو وخز القناة صفا
من عاذ بالسيف لاقى فرجة عجباً موتاً على عجل أو عاش فانتصفا
وتمثل بهذه الأبيات^(٦):

شرده الخوف وأزري به كذاك من يطلب حر الجلال
منخرق الكفين يشكو الجوى تنكبه أطراف مر حداد

(١) كامل ابن الأثير: ج ٥، ص ٨٤.

(٢) العقد الفريد: ج ٢، ص ٣٦١.

(٣) تذكرة الخواص: ص ١٨٨.

(٤) عمدة الطالب.

(٥) تاريخ الشام: ج ٦، ص ٢٠.

(٦) مروج الذهب: ج ٢، ص ١٨١.

قد كان في الموت له راحة والموت حتم في رقاب العباد
إن يحدث الله له دولة يترك آثار العدى كالرماد
ولما خرج زيد من عنده بعث إليه بهذه الأبيات^(١):

مهلاً بني عمنا عن نحت أثلتنا سيروا رويداً كما كنتم تسيرونا
لا تجمعوا أن تهينونا ونكرمكم وأن نكف الأذى عنكم وتؤذونا
فالله يعلم أنا لا نحبككم ولا نلومكم ألا تحبوننا

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة: ج ١، ص ٢١٣.

«التخاصم في الأوقاف»

طالت المشاجرة بين بني الحسن عليه السلام وبني الحسين عليه السلام في أوقاف النبي صلى الله عليه وآله وفاطمة وعلي عليه السلام ومرت عليها أعوام، وقبل استيضاح من وقعت بيده وتصرف فيها، نرفع إلى القراء، ما وقفنا عليه من تلکم الأوقاف، ليتعرف أهمية النزاع فيها خصوصاً إذا قرأنا حديث علي عليه السلام في شأن صدقاته، فإنه يقول: (لو قسمت صدقتي على بني هاشم لوسعتهم)^(١)، وفي ترجمته عليه السلام من (أسد الغابة) بلغت غلة صدقاته أربعين ألف دينار، وغيره يحكي أنها بلغت أربعمئة ألف دينار^(٢)، وهذا كله غير ما أوقفه على الفقراء والمساكين وأبناء السبيل من الدور والضياع وما استخرجه من العيون والآبار بطريق مكة والكوفة والبصرة وعبادان والمواقيت، ومن هذه الأوقاف ماله بخيبر ووادي القرى^(٣)،

(١) المحجة لابن طاووس.

(٢) شرح قصيدة أبي فراس.

(٣) البحار: ج ٩، في باب إنفاقه.

وسويقة^(١)، وأربع أرضين، الفقيران، وبئر قيس، والشجرة، وعيون استخرجها في «ينبع» منها يسمى «بحير» وأخرى «نولا» وثالثة عين «أبي نيزر» وكان أبو نيزر ابناً للنجاشي ملك الحبشة اشتراه علي عليه السلام من تاجر بمكة وأعتقه مكافأة لأبيه على أن يعمل في الماء خمس حجج^(٢)، وعين أبي نيزر هي التي طلب معاوية بن أبي سفيان من مروان بن الحكم أن يبتاعها له من الحسين عليه السلام بمائتي ألف دينار، وقد ركب الحسين عليه السلام يومئذ دين عظيم فأبى عليه السلام وقال إن أبي أوقفها ابتغاء وجه الله فلا أغیره^(٣).

ومن العيون التي استخرجها في (ينبع) عين يقال لها [خيف ليلي] وأخرى [خيف الأراك] وثالثة [خيف بسطاس] وتسمى هذه الثلاث [البغيغات]^(٤)، وهي التي نحلها الحسين عليه السلام إلى أم

(١) معجم البلدان بمادتها.

(٢) تاريخ المدينة: ج ٢، ص ٣٤٩.

(٣) تاريخ المدينة: ج ٢، ص ٣٤٩، وكامل المبرد: ج ٣، ص ١١٤، ومعجم البلدان بمادة ينبع.

(٤) اختصر السهمودي في تاريخ المدينة: ج ٢، ص ٢٦٣، والمبرد في الكامل: ج ٣، ص ١١٤، الحديث، قالوا: طلب معاوية بن أبي سفيان من مروان وهو واليه على المدينة أن يخطب ليزيد أم كلثوم بنت زينب ابنة علي عليه السلام فقال أبوها عبد الله بن جعفر أمرها بيد الحسين عليه السلام فلما أخبر الحسين عليه السلام زوجه من ابن عمها القاسم ابن محمد بن جعفر الطيار ونحلها البغيغات، وأثبتته بتوسع الحافظ الثبت ابن شهر آشوب في المناقب في باب المفردات من فضائل الحسن عليه السلام.

كلثوم بنت زينب ابنة علي بن أبي طالب عليه السلام يوم زوجها من ابن عمها القاسم بن محمد بن جعفر الطيار، ولم تزل هذه العيون الثلاث قائمة في يد بني عبد الله بن جعفر الطيار يتوارثونها إلى أن استخلف المأمون فذكر له ذلك، فقال: كلا إن هذا وقف علي عليه السلام، فانتزعها منهم وعوضهم عنها وردها إلى أولاد فاطمة عليها السلام، وفي كل هذه العيون نخل وزرع.

أما أوقاف النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلم يحمل إلينا التاريخ النزيه منها غير حوائط مخيرق اليهودي، وكان من أحبار يهود بني النضير، وهو الذي يقول فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم مخيرق سابق اليهود، وسلمان سابق فارس، وبلال سابق الحبشة، مات مسلماً وأوصى عند الوفاة بهذه البساتين السبع إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهي الدلال، وبرقة، والصفية، والمثيب، ومشربة أم إبراهيم، والأعواف، وحسنى، فأوقفها النبي صلى الله عليه وآله وسلم سنة سبع من الهجرة، وفي حديث كعب، أوقفها على رأس اثنين وعشرين شهراً منها على خصوص فاطمة عليها السلام وكان يأخذ منها في حياته لأضيافه وحوائجه وعند وفاتها عليها السلام أوصت بهذه البساتين وكل ما كان لها من المال إلى علي عليه السلام ومن بعده فإلى الحسن عليه السلام ومن بعده فإلى الحسين عليه السلام ثم إلى الأكبر فالأكبر من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأشهدت على الوصية المقداد بن الأسود الكندي والزبير بن العوام^(١).

(١) فروع الكافي في باب الوقوف.

وأوصى علي عليه السلام في أوقافه أن تقسم أثلاثاً ثلاثاً لبني هاشم وبني المطلب وثلاثاً لبني فاطمة عليها السلام وبني علي عليه السلام، وثلاثاً في سبيل الله وجعل القيم على هذه الصدقات ابنه الحسن عليه السلام ومن بعده فالحسين عليه السلام ومن بعده فمن يراه الحسين عليه السلام صالحاً للقيام عليها وإن القيم عليها إذا أراد أن يبدل مالاً مكان مال الصدقة جاز له ذلك كما يجوز له أن يبيع شيئاً منها لقضاء دين وغيره حسبما يراه من المصلحة^(١).

قام على هذه الأوقاف من بعد الحسين عليه السلام الإمام زين العابدين عليه السلام فنارعه عمه عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام^(٢) إلى

(١) اقرأ نفس الوصية في الكافي .

(٢) يلقب هذا بالأطرف، ولد هو وأخته رقية توأماً، وكان آخر من مات من أولاد علي عليه السلام وأمه الصهباء التغلبية وهي أم حبيب بنت ربيعة من سبي عين التمر اشتراها علي عليه السلام وتزوجها، وكان عمر لسنأ فصيحاً جواداً، لم يحضر مع الحسين عليه السلام يوم الطف ولا مع مصعب بن الزبير، وقد وهم من ذكره في المستشهدين يوم الطف، كما أخطأ الدينوري في الأخبار الطوال: ص ٢٩٧، في عده من جملة من قتل مع مصعب بن الزبير في الحرب القائمة بينه وبين المختار وأغرب اليافعي في مرآة الجنان: ج ١، ص ١٤٣، في عده من جملة من قتل مع المختار فإنه لم يوافقه أحد على هذا والمشهور بين المؤرخين بقاؤه بعد الحسين عليه السلام حتى نازع السجادة عليه السلام في الصدقات وفي بعض السير أشار على الحسين بترك الخروج إلى العراق، ومات في (ينبع) أو «نسع» صدر وادي العقيق وعمره ٨٥ سنة =

عبد الملك بن مروان فقال له يا أمير المؤمنين أنا ابن المصدق وهذا ابن ابن فأنأ أحق بها منه فتمثل عبد الملك بقول ابن أبي الحقيق:

لا تجعل الباطل حقاً ولا تلفظ دون الحق بالباطل
ثم قال لعلي بن الحسين عليه السلام قد وليتكها فقاما وخرجا فتناوله عمر وأذاه فما رد عليه السجاد عليه السلام بشيء، وبعد ذلك دخل محمد بن عمر على زين العابدين عليه السلام وأكب عليه يقبله فقال عليه السلام له: يا بن عم لا تمنعني قطيعة أبيك أن أصل رحمك فقد زوجتك ابنتي خديجة.

= نص بذلك الطبري في تاريخه: ج ٦، ص ٨٩، وابن الأثير في الكامل: ج ٣، ص ١٥٩. واتفق المؤرخون إلا من شذ منهم أن المقتول مع مصعب ابن عبيد الله ابن النهشلية، جاء إلى المختار يطلب منه الرشد فلم يصله فالتحق بمصعب وجاء معه حتى إذا كان «بالمذار» من سواد البصرة قتل ولم يعلم قاتله وقبره مشهور معروف يزار إلى اليوم، وممن نص بهذا ابن جرير في التأريخ: ج ٧، ص ١٥٣، وابن الأثير في الكامل: ج ٤، ص ١٠٦، وابن قتيبة في المعارف: ص ٩٦، وأبو الحسن الديار بكري في تاريخ الخميس: ج ٢، ص ٣١٧، والياضي في مرآة الجنان: ج ١، ص ١٤٣، وابن حجر في تهذيب التهذيب: ج ٧، ص ٤٨٥، وياقوت في معجم البلدان بمادة «المذار» والشبلنجي في نور الأبصار: ص ٩٣، وقال به من أصحابنا أبو الحسن العمري في المجدي وابن إدريس الحلبي في مزار السرائر وفي الخرائج في باب معجزات علي عليه السلام عن الباقر عليه السلام أنه خرج مع مصعب فوجد مذبحاً ولم يعلم ذابحه.

تغلب بنو الحسن عليه السلام بالقيام على الصدقات ولم يحظ بها من بني الحسين عليه السلام غير عبد الله الباهر^(١)، وأخيه عمر الأشرف وكان عمر فاضلاً سخياً، بلغ من سخائه أن يشترط على من يبتاع ثمرة الصدقات أن يبقى في الحائط كذا وكذا ثلثة ولا يمنع من يدخله ليأكل منه^(٢). ومن مدح الباقر عليه السلام لهما لا نرتاب في قيامهما على هذه الأوقاف، ولعله كان بإذن منه، حدث السيد المرتضى عن أبي الجارود أن أبا جعفر الباقر سئل عن أحب إخوته إليه فقال: أما عبد الله فيدي التي أبطش بها وعمر بصري الذي أبصر به وزيد لساني الذي أنطق به وأما الحسين فحليم يمشي على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً^(٣).

(١) إرشاد المفيد، ولقب بالباهر لحسنه وجمال منظره، فإنه ما جلس مجلساً إلا بهر من حضر بجماله. توفي وهو ابن سبع وخمسين سنة وكان فاضلاً شريفاً.

(٢) البحار في أحوال السجاد عليه السلام. قيل له الأشرف لجمعه بين طرفي الفضيلة من ولادة علي وفاطمة، بخلاف عمر الأطراف فإنه نال الفضيلة من طرف أبيه. قال في عمدة الطالب وعلى هذا تكون التسمية بالأطراف بعد ولادة الأشرف، وفي تهذيب التهذيب لابن حجر: ج ٧، ص ٤٨٥، كان كثير العبادة والاجتهاد، روى الحديث عن أبيه والصادق عليه السلام وروى عنه ابنه علي ومحمد.

(٣) ذكره في مقدمة الشرح للناصریات.

وممن تولى أمر الصدقات من بني الحسن الحسن المثنى ^(١) فنازعه عمه عمر الأطراف واستشفع عمر بالحجاج بن يوسف الثقفي في المشاركة معه في أمر الصدقات، فبينما الحسن المثنى يسار الحجاج ذات يوم إذ قال له: يا أبا محمد أشرك عمر بن علي معك في صدقات أبيه، فامتنع الحسن وقال له: لا والله لا أُغير ما اشترطه أبي، إنه اشترط ألا يدخل في الوقف غير أولاد فاطمة فقال الحجاج: أنا أدخله معك قهراً فخاف منه وذهب من

(١) ولد الحسن المثنى بالمدينة سنة أربع وأربعين وكني أبا محمد ولقب بالمثنى من جهة تسميته باسم أبيه ولم يسم به أحد قبله وله يوم وفاة أبيه ست سنين شهد يوم الطف وله سبعة عشر سنة وأبلى فيه بلاءً حسناً، قتل سبعة عشر رجلاً، وأصابته اثنتا عشرة جراحة وبعد أن سقط أسره القوم مقطوعة يده فأراد ابن سعد قتله غير أن أسماء بن خازجة الفزاري تشفع فيه وكان له جاه عند ابن زياد فعالجه بالكوفة حتى برئ ولحق بالمدينة وفي رسالة الزينبيات للعبيدلي أنه أخذ مع الأسرى إلى الشام. وبقي في المدينة يكتب له في البيعة ومن دعائه عبد الرحمن بن الأشعث، ولما قتل خاف الحسن سطوة بني أمية فأخفى نفسه وبقي مخفياً إلى أن دس إليه السم سليمان بن عبد الملك فمات سنة سبع وتسعين وله ثلاث وخمسون سنة، تزوج بفاطمة ابنة الحسين عليه السلام فولدت له عبد الله المحض والحسن المثلث وإبراهيم وزينب وكنيتهما أم كلثوم. وله من أم فارسية تدعى حبيبة داود وجعفر وفاطمة وملكية وأم القاسم وله من زوجة ثالثة ولد يسمى محمداً وزاد على ذلك سبط ابن الجوزي بتناً يقال لها: أم كلثوم من أم ولد. وكل أولاده أعقبوا.

فوره إلى الشام، وبقي شهراً يطلب الإذن على عبد الملك فلم يتيسر له، وفي بعض تلك الأيام شاهد يحيى بن أم الحكم خارجاً من دار خاله عبد الملك فحكى له الحسن وقوفه بالباب لا يؤذن له، فوعده الدخول ثم رجع إلى عبد الملك وسأله الإذن له وعرفه أن الإذن لمثله إسكات له مع ما له ولآبائه في قلوب أهل العراق من المحبة، وأنهم يموتون عن آخرهم ولا ينال أحد منهم ضرر، فأمر عبد الملك بإدخاله، ولما استقر به المجلس لطفه وضاحكه وفي ما قال له: أسرع الشيب إليك يا أبا محمد، فقال يحيى وما يمنعه ووفود أهل العراق ترد عليه يمنونه الخلافة، فغضب الحسن من كلامه وقال بئس الرفد رفدك ليس كما زعمت ولكننا قوم تقبل علينا نساؤنا فيسرع إلينا الشيب، ثم سأله عن مجيئه فذكر له ما جرى بينه وبين الحجاج، فكتب عبد الملك إلى الحجاج ألا يعارضه في صدقات جده ولا يدخل معه أحداً^(١)، وكتب عبد الملك في آخر الكتاب:

أنا إذا مالت دواعي الهوى	وأنصت السامع للقائل
وأضرب القوم بأحلامهم	نقضي بحكم فاصل عادل
لا نجعل الباطل حقاً ولا	نلفظ دون الحق بالباطل
نخاف أن تسفه أحلامنا	فيحمل الدهر مع الحامل

(١) عمدة الطالب، وتاريخ ابن عساكر: ج ٤، ص ١٦٤.

وختم الكتاب، وأمر له بجائزة، ثم إن يحيى بن أم الحكم اعتذر إلى الحسن بأنه ما تكلم بذلك إلا ليعظم في عينه فيكرمه ويحترمه ولولا هذا لما قضى حاجته^(١).

وقام على هذه الصدقات زيد بن الحسن عليه السلام فنازعه فيها أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية فوفد زيد على الوليد بن عبد الملك، وأعلمه بأن لعبد الله في العراق شيعة، وهو يدعو إلى نفسه، فكبر ذلك على الوليد فكتب إلى عامله أن يولي زيد بن الحسن ويرسل إليه عبد الله فلما وصل الشام حبسه الوليد وطال حبسه، فسعى علي بن الحسين عليه السلام في إطلاقه وعرف الوليد افتراء زيد عليه وأعلمه القصة فأطلقه^(٢). ثم خاصمه زيد بن علي عليه السلام عند قاضي المدينة، وجرى بينهما كلام أغلظ فيه زيد بن الحسن، فحلف زيد بن علي عليه السلام ألا يكلمه حتى يموت، وجاء إلى الباقر عليه السلام وقال له: حلفت ألا أكلم زيد بن الحسن ولا أخاصمه في أمر الصدقات وذكر ما جرى بينهما^(٣). وبقيت الصدقات في يده إلى أن عزله عنها سليمان بن عبد الملك، ولما ولي الخلافة عمر بن عبد العزيز كتب إلى عامله بالمدينة أن يرد عليه الصدقات فقبضها^(٤).

(١) عمدة الطالب.

(٢) تاريخ ابن عساكر: ج ٥، ص ٤٦٠.

(٣) الخرائج في باب أعلام الباقر عليه السلام.

(٤) نور الأبصار: ص ١١٢.

واختصم زيد مع جعفر بن الحسن المثنى، يقول جويرية بن أسماء شهدت زيد بن علي عليه السلام وجعفر بن الحسن بن الحسن يتنازعان في ولاية وقوف علي ويتبالغان كل غاية فلا يعيدان ما كان بينهما حرفاً، فلما مات جعفر قال عبد الله بن الحسن من يكفيننا زيداً قال الحسن المثلث: أنا أكفيكه، قال: كلا إنا نخاف لسانك ويدك ولكن أنا له قال: إذاً لا تبلغ حجتك ولا حاجتك، قال أما حاجتي فسابلغها^(١).

فاختصم عبد الله وزيد عند والي المدينة (خالد بن عبد الملك ابن الحارث بن الحكم) وجرى بينهما كلام شديد، وفي ما قال عبد الله لزيد: ما أنت والوقوف يا ابن السندية فضحك زيد وقال: كانت أم إسماعيل أمة ومع ذلك فقد صبرت بعد وفاة سيدها إذ لم يصبر غيرها^(٢)، فبلغ ذلك فاطمة بنت الحسين عليه السلام^(٣)، فقالت

(١) تاريخ الطبري: ج ٨، ص ٢٦٢.

(٢) الخطط المقرزية: ج ٤، ص ٣٠٨.

(٣) ولدت فاطمة بالمدينة وأما أم إسحق بنت طلحة بن عبد الله، وكانت أكبر من سكينه وأكثرها شبهاً بجدها فاطمة الزهراء عليها السلام حضرت يوم الطف مع زوجها الحسن المثنى وسبيت مع حرم النبي صلى الله عليه وآله إلى الكوفة والشام ولها خطبة بالكوفة أظهرت فيها فضل آل محمد صلى الله عليه وآله وأن ما جرى عليهم أمر محتم ولم ينقطع كلامها حتى ارتفعت الأصوات بالبكاء وأشاروا إليها بالانقطاع. وفي [أخبار الزينيات] للعبدي النسابة أنها خرجت وأختها =

لعبد الله: لأُم زيد قلت كذا وكذا قال: نعم، قالت: بئس والله ما صنعت أم والله نعم دخيلة القوم كانت^(١).

كان زيد في هذا النزاع منبعثاً عن الإمام الباقر (عليه السلام)، فهو كوكيل يطالب باستحقاقه القيام على تلك الصدقات، وكان ناصحاً لبني عمه ومعرّفاً لهم منزلة كبرائهم وذوي الرأي منهم وهم (الباقر والصادق (عليه السلام)) ويشهد له قوله للباقر: إني حلفت يميناً ثقة بك وعلمت أنك لا تكرهني ولا تخيني حلفت ألا أكلم زيد بن الحسن في أمر الصدقات. فإن هذا يرشدنا إلى اندفاعه عن أمر الباقر في ذلك الخصام، وليس الباعث له الرغبة في القيام عليها والطمع بما فيها من المال، كيف ونحن نقرأ قوله: لقد خلوت بالقرآن أقرأه فما وجدت فيه في طلب الرزق أفضل من العبادة والفقه^(٢).

= سكينه وبعض نساء بني هاشم مع زينب العقيلة إلى مصر، وذلك أن زينب لما رجعت من الشام أخذت تحرض الناس على يزيد بن معاوية فكتب إلى أمير المدينة بذلك فأمره يزيد أن يسيرها إلى أي بلاد شاءت فاختارت مصر وقدمتها لأيام بقيت من شعبان سنة ٦١، وبقيت فيها أحد عشر شهراً ونصفاً وللنصف من رجب عشية الأحد سنة ٦٢، توفيت وعمرها سبع وخمسون سنة ودفنت بمخدعها. ثم رجعت فاطمة إلى المدينة وبقيت حتى قاربت التسعين.

(١) تاريخ الطبري: ج ٨، ص ٢٦٢.

(٢) الخطط المقرزية: ج ٤، ص ٣٠٧.

فإن هذه الكلمة القيمة تعرفنا نفسيته وأن ذاته وقف على العبادة والفقه، أضف إلى هذه الكلمة كلمته الأخرى لعبد الله، وقد لمح من (الوالي) الشماتة والفرح بما دار بينهما من الكلام، فهناك يتجلى سر دقيق انطوت عليه أضلاعه، وهو الإباء والشهامة، قال ابن الأثير^(١): اجتمع عبد الله بن الحسن وزيد بن علي عليه السلام عند والي المدينة (خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم) للمطالبة بالوقوف، وكان يحب أن يتشامتا، فلما عرف زيد منه ذلك قال لعبد الله (أعتق زيد ما يملك إن خاصمك إلى خالد أبداً)، ثم أقبل على خالد وقال له: جمعت ذرية رسول الله ﷺ على أمر ما كان يجمعهما عليه أبو بكر وعمر، فقال: أما لهذا السفيه أحد فتكلم رجل من الأنصار من آل عمرو بن حزم فقال يابن أبي تراب وابن الحسين السفيه أما ترى للوالي عليك حقاً ولا طاعة، فقال له: اسكت أيها القحطاني فإننا لا نجيب مثلك، قال له: ولم ترغب عني فوالله إني لخير منك وأبي خير من أبيك وأمي خير من أمك، فضحك زيد وقال: يا معشر قريش هذا الدين قد ذهب فذهبت الأحساب فوالله ليذهب دين القوم وما تذهب أحسابهم، ولم ينصره أحد ممن حضر من أبناء المهاجرين والأنصار إلا عبد

(١) الكامل: ج ٥، ص ٨٤، وتاريخ الطبري: ج ٨، ص ٢٦٢، ومقاتل الطالبين.

الله بن واقد بن عمر بن الخطاب، فقال: كذبت أيها القحطاني فوالله إنه لخير منك نفساً وأباً ومحتدأً وتناوله بكلام كثير وأخذ كفاً من حصباء وضرب به الأرض وقال والله ما لنا على مثل هذا من صبر فلم يرضَ بذلك الوالي.

(زيد وخالد القسري)

لما ولي يوسف بن عمر الثقفي (العراق) لهشام بن عبد الملك أخذ يحاسب خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز البجلي ثم القسري على بيت المال، وكان قبله والياً على العراق فحبسه، وعذبه، فادعى خالد أنه اشترى أرضاً بالمدينة من زيد ابن علي عليه السلام بعشرة آلاف دينار، فكتب يوسف بن عمر إلى هشام بذلك فاستحضر زيداً وسأله عن الأرض فأنكر واستحلفه فحلف له فخلى سبيله^(١)، وكتب يوسف بن عمر كتاباً ثانياً، يقول فيه: إن خالداً ادعى أنه أودع مالاً جزيلاً عند زيد بن علي، ومحمد ابن عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وداود بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، وسعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، وأيوب بن سلمة بن عبد الله بن العباس بن الوليد المخزومي. فكتب هشام إلى عامله بالمدينة أن يحمل إليه

(١) تاريخ الطبري: ج ٨، ص ٢٦٠.

الجماعة فحملهم إليه مكرهين^(١) فقال بعض بني هاشم^(٢) :

يأمن الطير والظباء ولا يأمن آل النبي عند المقام
طبت بيتاً وطاب أهلك أهلاً أهل بيت النبي والإسلام
رحمة الله والسلام عليكم كلما قام قائم بسلام
حفظوا خاتماً وجروا رداءً وأضاعوا قرابة الأرحام
ولما اجتمعوا عند هشام سألهم عن المال فأنكروا
واستحلفهم فحلفوا وأقر بعضهم بأنه لم يستفد من خالد سوى
الجائزة. فقال لهم هشام: إنا باعثون بكم إلى يوسف بن عمر
ليجمعكم مع خالد، فقال زيد: نشدتك الله يا هشام والرحم ألا

(١) المقاتل لأبي الفرج وتاريخ الطبري: ج ٨، ص ٢٦١.

(٢) غاية الاختصار: ص ٨٥ وفي تاريخ ابن عساكر: ج ٦، ص ٢٠ قائلها كثير
بن كثير بن المطلب بن وداعة السهمي وفي البيان والتبيين للجاحظ: ج ٣،
ص ١٧٨ أن عبد الله بن كثير السهمي كان يتشيع لولادة نالته فسمع بعض
عمال خالد القسري يلعنون علياً والحسن والحسين على المنبر، فقال:

لعن الله من يسب علياً وحسيناً من سوقة وإمام
أيسب المطيبون جدوداً والكرم الأخوال والأعمام
يأمن الظبي والحمام ولا يأمن آل الرسول عند المقام
وعبد البيت الثاني والثالث. قال الجاحظ: وهو القائل حين تيب عليه
بذلك الرأي:

إن امرأ أمست معايبه حب النبي لغير ذي ذنب
وبني أبي حسن ووالدهم من طاب في الأرحام والصلب
أيعد ذنباً أن أحبه بل حبهم كفارة الذنب

تبعث بنا إليه فإننا نخاف أن يتعدى علينا، فقال: كلا أنا باعث معكم رجلاً من الحرس يأخذه بذلك، ثم كتب إلى يوسف بن عمر: أما بعد فإذا قدم عليك فلان وفلان فاجمع بينهم وبين خالد فإن أقروا بما ادعى عليهم فسرّح بهم إلي وإن أنكروا فاسأله البينة وإن لم يقمها فاستحلفهم بعد صلاة العصر، بالله الذي لا إله إلا هو ما استودعهم وديعة ولا له قبلهم شيء ثم خلّ سبيلهم^(١)، وبعث هشام بهم إلى العراق واجتنب أيوب بن سلمة لخؤولته فإن أم هشام بن عبد الملك ابنة هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد المخزومي وهو في أخواله^(٢)، فقدموا على يوسف بن عمر فسألهم عن المال فأنكروا ثم قال زيد كيف يودعني المال وهو يشتم آبائي على منبره^(٣)، فأخرج خالداً إليهم وقال له: هؤلاء

(١) مقاتل الطالبين .

(٢) تاريخ الطبري: ج ٨، ص ٢٦١ .

(٣) تاريخ الطبري: ج ٨، ص ٢٦٤، وفي الأغاني: ج ١٩، ص ٥٤ و ٥٩، كان خالد يسب علياً على المنبر ويتجاوز إلى ما ساء، دخل عليه فراس بن جعدة بن هبيرة وبيده بنق، فقال له: العن علياً ولك بكل بنقة دينار ومشى عماله على ذلك يقول الجاحظ في البيان والتبيين: ج ٣، ص ١٧٨، كان عمال خالد القسري يسبون علياً والحسن والحسين على المنابر. ولا يستغرب هذا منه وهو القائل بمكة: (لو أمرني أمير المؤمنين هشام بنقض الكعبة لنقضتها حجراً حجراً والله لأمرني المؤمنين أكرم على الله من أنبيائه)، وكيف يستغرب ذلك ممن تكوّن من نعم بني أمية وتربى في حجورهم وارتضع من ثدي العداء لعلي وولده عليه السلام، فهذا أبوه (عبد الله)=

الذين ادعيت عندهم، فاعترف بأنه لم يكن له عندهم شيء، فغضب يوسف وقال أفبي تهزأ أم بأمر المؤمنين وضربه حتى خشي عليه الهلاك، فقال زيد لخالد ما الذي دعاك إلى ذلك، قال: شدة العذاب ورجوت به الفرج.

ههنا يقع السؤال عن اجتناب هشام (أيوب بن سلمة) وهو من جملة المتهمين بوديعة مال المسلمين عندهم والحكم الجاري على أصحابه بالحلف عند الإنكار بعد الاجتماع بالمدعي وعدم قيامه البينة، جارٍ في حقه إلا أن يحصل الرافع لذلك الحكم، وليس هنا إلا عده في (أخواله)، وعليه فهل يسوغ لخليفة المسلمين العامل بالهدى ودين الحق أن يتخذ مثل ذلك وسيلة لاجتنابه دونهم، كلا (إن هذا لشيء عجاب)، ولا عجب من خلفاء بني أمية.

= كان على شرطة عمرو بن سعيد الأشدق أيام عبد الملك بن مروان، وقائداً على الجيش الذي بعثه معاوية إلى عثمان أيام الحصار وكان أربعة آلاف، وجده (يزيد) كان مع معاوية بصفين ولشهرته بالكذب عرف (بخطيب الشيطان)، وجده العالي (أسد) ولد من بغية يقال لها زينب، وجده الأعلى (كرز) كان عبداً لبني عبد القيس فأخذه عبد شمس بن غممة ووهبه لقوم من طهيه فهرب وأخذته بنو أسد بن خزيمة وجاء إلى الطائف في تجارة فنزل في بجيلة وأعجبته فادعى إليهم وهم ينفونه. وأما أمه فكانت من نصارى الروم، بنى لها خالد كنيسة في ظهر قبلة المسجد الأعظم في الكوفة فإذا أذن المؤذن ضرب لها بالناقوس، وماتت على ذلك. قتله يوسف بن عمر سنة ١٢٥ ودفن في ناحية الحيرة.

(استجارة أهل الكوفة)

أقام الشهيد زيد بالكوفة أياماً بعد أن وضع حاله للوالي وعرف براءته من تلك التهمة، ثم قفل راجعاً إلى المدينة وفي القادسية أو الثعلبية لحقه جماعة من أهل الكوفة واستجاروا به من جور الأمويين وظلمهم الفاحش وطلبوا منه المصير إلى بلادهم، وقالوا له نحن أربعون ألفاً نضرب بأسياقنا دونك، وليس عندنا من أهل الشام إلا عدة وبعض قبائلنا يكفيهم بإذن الله تعالى وأعطوه العهود والمواثيق ألا يخذلونه، فقال لهم: إني أخاف أن تفعلوا معي كفعلكم مع أبي وجدي فحلفوا له بالأيمان المغلظة على أن يجاهدوا بين يديه^(١)، فلما عزم على موافقتهم عرفه جماعة ممن يمحضه الود والنصيحة غدر أهل الكوفة وأنهم لا ثبات لهم في قول ولا عمل.

حسب هؤلاء الناصحون له أنه لم يصل إلى ما يعرفونه في أولئك الغدر المجهولين على نقض العهود والمواثيق فأشاروا

(١) الخطط المقرزية: ج ٤، ص ٣١٠، وتاريخ الطبري: ج ٨، ص ٢٦٤.

عليه بالإعراض عن الكوفة فإن نتيجة وفاقهم القتل، ولكنهم لم يقفوا على الغاية المقصودة له من تعريف الملاء البدع التي أحدثها الأمويون، وكادت لولا هذه النهضات المقدسة من العلويين تقضي على الدين بأسرع وقت.

كيف يجهل رضوان الله عليه قتله في هذا الوجه مع ما يشاهده من علامات القتل ودلائله، رأى قبل الخروج إلى الكوفة في منامه كأنه قائم يخطب فعبّرها بالصلب^(١) ورأى مرة ثانية كأنه أضرم ناراً في العراق ثم أطفأها ومات فقصّها على ابنه يحيى فعبرها بالخروج على هشام، ومن هنا كان يقول لهشام حين أمره بالخروج إلى الكوفة لموافقة يوسف بن عمر الثقفي: نشدتك بالله يا أمير المؤمنين ألا تبعثني إليه فوالله لا آمن إن بعثتني إليه ألا أجتمع أنا وأنت حين على ظهر الأرض بعدها، فقال له: الحق بيوسف كما تؤمر فقدم عليه^(٢)، وكان الأمر كما قال، وينضاف إلى ذلك ما تلقاه من آبائه عن النبي ﷺ الموحى إليه على لسان الأمين جبرائيل من القتل والصلب والحرق، وإليه يشير بقوله لجابر بن عبد الله: لو لم أكن إلا أنا وآخر لخرجت عليه، يريد أن الخروج على هشام والقتل في هذا السبيل أمر محتّم من الله لأن فيه أسراراً ومصالح أهمها إظهار مظلومية آبائه.

(١) المجدي لأبي الحسن العمري النسابة.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٨، ص ٢٦١.

تحذيره من أهل الكوفة

لما أجاب أهل الكوفة ورجع إليها عظم ذلك على صحبه وأهل بيته فبالغوا في تخويفه وعرفوه عواقب هذا الوفاق لما عليه أولئك الخونة من الشقاق والميل إلى الأطماع. وأول من حذره داود بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب^(١)، وكان مع زيد بالثعلبية قال له: لا يغروك هؤلاء من نفسك أليس قد خذلوا من كان أعز عليهم منك، جدك علي بن أبي طالب حتى قتل، والحسن من بعده بايعوه ثم وثبوا عليه فانتزعوا رداءه من عنقه وانتهبوا فسطاطه وجرحوه، أوليس قد أخرجوا جدك الحسين وحلفوا له بأوكد الأيمان ثم خذلوه وأسلموه ثم لم

(١) ولد داود سنة ٨١ من الهجرة وتوفي بالمدينة سنة ١٣٣ وعمره ٥٢ سنة، وكان جميلاً خطيباً ولي إمرة الكوفة في زمن ابن أخيه أبي العباس ثم ولاه مكة واليمن واليمامة والمدينة وأدرك من خلافتهم ٩ أشهر وله عقب منهم موسى كان والياً على المدينة بعده (تاريخ ابن عساكر: ج ٥، ص ٢٠٣، ومعارف ابن قتيبة: ص ١٦٣).

يرضوا بذلك حتى قتلوه، فلا ترجع معهم، فقال كل من حضر من أهل الكوفة: إن هذا لا يريد أن تظهر أنت ويزعم أنه وأهل بيته أحق بهذا الأمر منكم، فقال زيد لداود: إن معاوية كان يقاتل علياً بذهبه وإن الحسين قاتله يزيد والأمر عليهم مقبل، فقال له داود: إني لخائف إن رجعت إليهم ألا يكون أحد أشد عليك منهم ومضى داود إلى المدينة ورجع زيد إلى الكوفة^(١).

وكتب إليه عبد الله المحض: أما بعد يابن عم إن أهل الكوفة نفخ العلانية، خور السريرة هوج في الرخاء، جزع في اللقاء تقدمهم ألسنتهم ولا تشايهم قلوبهم لا يبيتون بعدة في الأحداث ولا ينوءون بدولة مرجوة ولقد تواترت إليّ كتبهم بدعوتهم فصممت عن ندائهم وألبست قلبي غشاء عن ذكرهم يأساً منهم واطّراحاً لهم وما لهم مثل إلا ما قال علي بن أبي طالب: إن أهملت خضتم وإن حوربتم خرتم وإن اجتمع الناس على إمام طعنتم وإن أجبتهم إلى مشاقة نكصتم^(٢).

وقال له محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام^(٣) وكان

(١) الخطط المقرزية: ج ٤، ص ٣١٠.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٨، ص ٢٦٥.

(٣) أمه أسماء بنت عقيل وكان قليل الحديث أدرك أول خلافة بني العباس وزوجه زين العابدين من ابنته خديجة فولدت له عبد الله وعبيد الله وعمر وله رابع اسمه جعفر أمه أم ولد وكلهم أعقبوا.

معه يوم حملوا إلى الكوفة: أذكرك يا زيد لما لحقت بأهلك ولم تقبل قول أحد من هؤلاء الذين يدعونك إلى ما يدعونك إليه فإنهم لا يفون لك فلم يقبل ذلك منه، ثم قال زيد: يا محمد أخرجنا هشام أسرى على غير ذنب من الحجاز ثم إلى الجزيرة ثم إلى العراق ثم إلى تيس ثقيف يلعب بنا وأنشد يقول^(١):

فإن أقتل فلست بذي خلود وإن أبقِ اشتفيت من العبيد
ثم تمثل بقول عنترة العبسي^(٢):

بكرت تخوفني المنون كأنني أصبحت عن عرض الحياة بمعزل
فأجبتها إن المنية منهل لا بد أن أسقى بكأس المنهل
إن المنية لو تمثل مثلت مثلي إذا نزلوا بضيق المنزل
فاقني حياءك لا أباً لك واعلمي أنني امرؤ سأموت إن لم أقتل

وجاء إليه سلمة بن كهيل الحضرمي، وكان من فقهاء الكوفة كثير الحديث توفي يوم مقتل زيد^(٣)، فاستأذن عليه فأذن له فذكر له زيد قرابته من رسول الله ﷺ وحقه، فقال له سلمة اجعل لي الأمان قال زيد: سبحان الله مثلك يسأل مثلي الأمان وإنما أراد سلمة أن يسمع أصحابه ذلك فأعطاه الأمان فقال: نشدتك الله كم

(١) الروض النضير: ج ١، ص ٧١.

(٢) كامل ابن الأثير: ج ٥، ص ٨٥، والأغاني: ج ٧، ص ١٤١.

(٣) طبقات ابن سعد: ج ٦، ص ٢٢١.

بايعك قال أربعون ألفاً، قال: فكم بايع جدك، قال: ثمانون ألفاً، قال: فكم حصل معه قال ثلاثمائة، قال: نشدتك بالله قرنك خير أم القرن الذي خرج فيه جدك، قال: بل القرن الذي خرج فيه جدي، قال أفتطمع أن يفي لك هؤلاء وقد غدر أولئك بجدك، قال: قد بايعوني ووجبت بيعتهم في عنقي وأعناقهم قال: أفتأذن لي أن أخرج من البلد، قال: ولم، قال: لا آمن أن يحدث في أمرك حدث فلا أملك نفسي فخرج إلى اليمامة^(١).

ودخل عليه زكريا بن أبي زائدة بالمدينة فسمعه يتمثل ويقول:

ومن يطلب المال الممنع بالقنا يعيش ماجداً أو تخترمه المخارم
متى تجمع القلب الذكي وصارماً وأنفاً حمياً تجتنبك المظالم
وكنت إذا قوم غزوني غزوتهم فهل أنا في ذا يال همدان ظالم
فعرف أنه خارج ولما قدم الكوفة دخل عليه وسلم عليه
وسأله عن قدومه فأخبره زيد بما كتب إليه أهل الكوفة وأنهم
يسألونه القدوم عليهم فأشار عليه بالانصراف وعرفه غدرهم
وخيانتهم^(٢).

لم يعزب عن علم زيد ما يصير إليه أمره من القتل والشهادة
ولا كان يخفى عليه غرائز الكوفيين الغدرة بسلفه الطاهر، فقد

(١) تاريخ الطبري: ج ٧، ص ٢٦٥.

(٢) تاريخ ابن عساكر: ج ٦، ص ٢١.

انتهى إليه العلم القطعي من آبائه الهداة عن جده النبي الأعظم ﷺ بما سوف ينتابه من المحن ويعانيه من السياسة القاسية من طاعة عصره، لكنه كغيره من قادة الإصلاح الناهضين لم يحصر أثر الوثبة في وجه داعية الفساد بخصوص الاستيلاء على قطر تنقلص عنه بقوة بأسه عوامل الفساد فيتخذها قاعدة سطوته وبعد يمد يد الإصلاح إلى غيره من الأقطار، وإنما هناك أسرار وفوائد تبرر للمتوثب عمله، وتحبذ له غايته المتوخاة له، ولو لم يكن فيه إلا اشتغال شطر من قوى العدو عن الاستزادة في العمل، أو لفت أنظار العامة إلى مجابهة تلك البيعة الفاجرة. على أن لأباة الضيم و [زيد الخير] في طليعتهم وراء ذلك كله خطة لا يعدونها وهو إثارة مودة العز على الحياة مع الضعة، والتوثب على كل حال متى شاكتهم شائكة الهوان. وبعد أن حظي [زيد المفاخر] بتلكم الغايات الكريمة جمعاء، لم يعبأ بكل إنذار وتخويف صدر من رجال لم يقفوا إلا على صور وعاديات ومجاري أمور ظاهرية عكفوا عليها من غير ما وقوف على ما [لشهود الإباء] من إحساسات معنوية، ونوايا مقدسة، وما كان يجسده من واجبه الديني بعهد من آبائه عن جده النبي ﷺ، غير أنه لم يجد لذلك العلم ظروفاً تسع الأمر المستصعب. لذلك كان يتحرى في جواب كل من أولئك ما تتحمله نفسه فتارة يقول: «شهدت هشاماً ورسول الله ﷺ يسب عنده فلم يغيره أحد فوالله لو لم يكن إلا أنا

وآخر لخرجت عليه»، وأخرى يقول: إن هشاماً أخرجنا أسرى على غير ذنب من الحجاز ثم إلى الجزيرة ثم إلى العراق ثم إلى تيس ثقيف يلعب بنا، وثالثة يقول: إن أهل الكوفة بايعوني وقد وجبت بيعتهم في عنقي، ورابعة يقول: إنهم كتبوا إليّ يسألوني القدوم عليهم، وفي ذلك كله دلالة على أن هناك علماً لا يستطيع بثه لعدم القابل لتحمله. وبالرغم من أي وهن صوري يجده في طرقة، وتخاذل يبلغه عن الكوفيين، مشى إلى مصرعه قدماً. وكان كلما اشتد عليه الأمر لم يزد إلا نشاطاً وفرحاً بقرب الغاية وبلوغ الأُمنية حتى لفظ آخر نفس منه بقلب مرتاح وبشاشة بادية.

(دخوله الكوفة)

دخل الكوفة في شهر شوال سنة مائة وعشرين وقليل تسع عشرة فأقام بالكوفة خمسة عشر شهراً وفي البصرة شهرين^(١)، فأخذت الشيعة وغيرهم من المحكّمة^(٢)، تختلف إليه يبايعونه فبلغ ديوانه خمسة وعشرين ألفاً وقليل أربعين ألفاً^(٣)، وقال أبو معمر بلغ ثمانين ألفاً^(٤)، كلهم من أهل الكوفة، وبايعه من أهل المدائن والبصرة وواسط والموصل والجزيرة والريّ وخراسان وجرجان^(٥)، خلق كثير، وفيمن بايعه من أهل الكوفة نصر بن خزيمة العبسي، ومعاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة الأنصاري، وحجّية الأجلح الكندي^(٦) وكان نصر على إحدى مجنبيه، وكان

(١) عمدة الطالب .

(٢) هم الخوارج سموا بذلك لقولهم لا حكم إلا لله .

(٣) الخطط المقرّية: ج ٤، ص ٣١٠ .

(٤) الروض النضير: ج ١، ص ٧٥ .

(٥) عمدة الطالب والفتحي: ص ٩٦، ط ١٣٤٥ هـ .

(٦) تاريخ الطبري: ج ٨، ص ٢٦٤ .

معمر بن خيثم وفضيل الرسان يدخلان الناس عليه وعليهم براقع لئلا يعرف موضع زيد^(١).

وبايعه من فقهاء الكوفة وقضاتها ومحدثيها عدد كثير نذكر بعضاً ممن وقفنا عليه كمثّل تتعرف منه القراء أن الشهيد زيدا لم يتبعه سواد الناس ومن لا معرفة له بمقاصد الرجال الناهضين، بل الذين اتبعوه مع هؤلاء خواص الناس ومن لهم المعرفة التامة بالسبب الدافع لزيد على هذه النهضة الهاشمية التي لم يقصد بها إلا إحياء السنة وإقامة العدل، وإليك أسماء من بايعه من الفقهاء:

١ - عبد الله بن شبرمة بن الطفيل من بني ضبة كان فقيهاً شاعراً تابعياً تقلد القضاء للمنصور على سواد الكوفة، توفي بالكوفة سنة مائة وأربع وأربعين.

٢ - الأعمش سليمان بن مهران أحد أعلام الشيعة بالكوفة روى في فضل علي بن أبي طالب عشرة آلاف حديث. دخل عليه أبو حنيفة في مرضه الذي توفي فيه، فقال له: اتق الله يا سليمان، واعلم بأنك في أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا، وقد كنت تروي أحاديث في فضل علي بن أبي طالب لو أمسكت عنها كان خيراً لك، فقال سليمان: أسندوني ألمثلي يقال هذا، ثم أقبل على أبي حنيفة وقال له:

(١) الروض النضير: ج ١، ص ٧٥.

يا أبا حنيفة حدثني أبو المتوكل الناجي عن أبي سعيد الخدري أنه سمع رسول الله يقول: إذا كان يوم القيامة يقول الله لي ولعلي بن أبي طالب أدخلا الجنة من أحبكما والنار من أبغضكما وهو قوله تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾. فقال أبو حنيفة: قوموا بنا لا يأتي بشيء أعظم منه^(١) ولد الأعمش سنة ستين وتوفي سنة مائة وثمان وأربعين.

٣ - مسعر بن كدام من بني صعصعة، من مشاهير رواة الحديث في الكوفة، كان يبسط له في المسجد الأعظم لبد يجلس عليه ويحدث طلبه المنصور للقضاء فأبى ومات سنة مائة واثنين وخمسين ولم يتول شيئاً من ذلك.

٤ - قيس بن الربيع الأسدي، كان من فقهاء الكوفة، ولكثرة أحاديثه وسماعه الحديث قيل له الحوال^(٢)، قال أبو الوليد: كتبت عن قيس ستة آلاف حديث. توفي بالكوفة سنة مائة وثمان وستين.

٥ - الحسن بن عمارة البجلي مولى لهم. تولى قضاء بغداد وتوفي سنة مائة وثلاث وخمسين.

٦ - أبو حصين عثمان بن عاصم بن حصين من بني جشم

(١) بشارة المصطفى لشيعه المرتضى: ص ٥٩. النجف.

(٢) الحوال: قناة صغيرة يجري فيها الماء من ناحية إلى أخرى.

كان من المحدثين بالكوفة، مات سنة مائة وثمانٍ وعشرين .
وهؤلاء الستة نص على بيعتهم لزيد وأخذهم برأيه وتنشيط
الناس على متابعتة أحمد بن حميد في الحداثق الوردية .

٧ - يزيد بن أبي زياد القرشي الهاشمي مولا هم، كان أحد
أعلام الشيعة بالكوفة مات سنة مائة وسبع وثلاثين .

٨ - هارون بن سعيد العجلي ويقال الجعفي الأعور الفقيه
كان من حملة الآثار في الكوفة عده ابن معين من غلاة
الشيعة .

٩ - حجاج بن دينار كان كثير الرواية أخذ عنه العلماء
والمحدثون .

١٠ - أبو هاشم الرماني اسمه يحيى بن دينار كان من الفقهاء
التابعين .

١١ - منصور بن المعتمر يكنى أبا عتاب، كان رفيعاً عالياً في
الشيعة كثير الحديث، توفي سنة ١٣٢، ولآه يزيد بن عمر القضاء
فجلس للناس وتقدموا إليه فجعل يقول لا أحسن حتى عزل .

١٢ - أبو اليقظان عثمان بن عمير الثقفي الكوفي البجلي قال
ابن معين: كان غالباً في التشيع مؤمناً بالرجعة يكتب حديثه،
مات ما بين العشرين والثلاثين بعد المئة .

١٣ - سفيان الثوري نسبة إلى ثور بن عبد مناة سمي بذلك

لأنه نزل جبل ثور الذي به (الغار)، كان من أعيان فقهاء الكوفة ورواة الحديث، استقضاه المهدي على الكوفة فامتنع وتولاه شريك بن عبد الله النخعي فقال الشاعر:

تحرز سفيان وفاز بدينه وأمسى شريك مرصداً للدرهم
مات في البصرة سنة ١٦١، وله ست وستون سنة وكان
مختفياً من السلطان، قال في الروض النضير: ج ١، ص ٥٥،
بايع زيدا على الخروج ولما بلغه قتل زيد قال: لقد بذل مهجته
لربه وقام بالحق لخالقه ولحق بالشهداء المرزوقين من آبائه.

١٤ - محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري، كان
من أصحاب الرأي، تولى قضاء الكوفة وأقام حاكماً ثلاثاً
وثلاثين سنة ولي لبني أمية ثم لبني العباس ومات على
القضاء في سنة ١٤٨، وله ٧٤ سنة.

١٥ - زبيد بن الحارث الياامي نسبة إلى يام بطن من همدان
كان من الشيعة المحدثين في الكوفة ومن التابعين.

١٦ - الحسن بن سعيد الفقيه كان راوية للحديث في الكوفة.

١٧ - هلال بن خباب كان عالماً فاضلاً راوياً، تولى قضاء
المدائن ومات بها سنة ١٤٤^(١).

(١) ذكر بيعة هؤلاء أبو الفرج في المقاتل.

١٨ - سليمان بن خالد بن دهقان بن نافلة مولى عفيف بن معدي كرب - عم الأشعث بن قيس لأبيه وأخوه لأمه - أبو الربيع الأقطع. كان سليمان من رجال الشيعة ومحدثيها روى الحديث عن أبي جعفر الباقر وأبي عبد الله عليه السلام، خرج مع زيد ولم يخرج من أصحاب أبي جعفر معه غيره، ولما أُسر أُتي به إلى يوسف بن عمر الثقفي فقطع يده، فقيل له الأقطع. مات في حياة (الصادق عليه السلام) فتوجع لفقده، ودعا لولده، وأوصى بهم أصحابه، وكان لسليمان كتاب رواه عنه عبد الله بن مسكان^(١).

هذا ما وقفنا عليه من موافقة فقهاء الكوفة على هذه النهضة التي ذكرت الناس جور الخلفاء، ثم إنه أخذ يرسل دعائه إلى من تخلف من الناس في الكوفة وسائر الأمصار، وكان من رسله الفضل بن الزبير بعثه إلى (أبي حنيفة) يدعوه إلى بيعته فأبلغه الفضل رسالة زيد فذكره أبو حنيفة بكل جميل وألزم الخروج معه وبعث إليه بثلاثين ألف درهم ويقال دينار معونة على جهاد عدوه

(١) انظر ما ذكرناه في ترجمة هؤلاء الفقهاء في طبقات ابن سعد: ج ٦، وتهذيب التهذيب لابن حجر، ووفيات الأعيان لابن خلكان، وميزان الاعتدال للذهبي، ومعارف ابن قتيبة، ولواقح الأنوار للشعراني، ومقاتل أبي الفرج، ورجال النجاشي، وخير الرجال لعبد الرزاق اللاهيجي مخطوط.

وذكر الخوارزمي أن أبا حنيفة قال: لو علمت أن الناس لا يخذلونه كما خذلوا أباه لجاهدت معه لأنه إمام بحق ولكن أُعِينَهُ بمالي ثم بعث إليه بالمال وقال للرسول ابسط عذري عنده، وسئل أبو حنيفة عن خروج زيد فقال: ضاهى خروج رسول الله ﷺ يوم بدر، ف قيل له: لم تخلفت عنه، فقال: حبستني عنه ودائع الناس عرضتها على ابن أبي ليلى فلم يقبل فخفت أن أموت مجهلاً، وكان كلما ذكر خروج زيد بكى^(١).

ومن دعائه يزيد بن أبي زياد الفقيه مولى بني هاشم وصاحب عبد الرحمن بن أبي ليلى بعثه إلى (الرقّة) فأجابه إلى بيعته عدد كثير من أهلها وفيهم عبدة بن كثير الجرمي، فكان هو والحسن بن سعيد الفقيه رسوليّه إلى خراسان. ومن دعائه أبو اليقظان عثمان ابن عمير الفقيه بعثه إلى الأعمش سليمان بن مهران. وبعث سالم ابن الجعد إلى زييد الفقيه، ومن دعائه منصور بن المعتمر السلمي المحدث، بعثه يدعو الناس إليه فقتل زيد وهو غائب، وخاف أن يكون مقصراً فصام سنة رجاء أن يكفر ذلك عنه ثم خرج بعد ذلك مع عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الطيار^(٢).

لم يمنع أولئك الفقهاء من الخروج معه إلا تخاذل الناس عنه

(١) مناقب أبي حنيفة: ج ١، ص ٢٥٥ ط سنة ١٣٢١ حيدر اباد الدكن.

(٢) مقاتل الطالبين ط. الأعلمي - بيروت.

وخوف السلطان. وكان الأعمش يقول لولا ضلالة بني لخرجت معه والله ليخذلنه أهل العراق وليسلمنه كما فعلوا بجده وعمه^(١). وفي الأغاني^(٢) عن أبي بكر الهذلي أن زيد بن علي كتب إلى الكميت بن زيد الأسدي أن اخرج معنا يا أعمش ألت القائل: ما أبالي إذا حفظت أبا القا سم فيكم ملامة اللوام فكتب إليه الكميت:

تجود لكم نفسي بما دون وثبة تظل لها الغربان حولي تحجل ولم يخرج معه. وهذه الرواية لا يمكن الاعتماد عليها لأن تشيع الكميت ومولاته لأهل البيت وقصائده العلويات في مدحهم معروف بين المؤرخين، ولقد روى أبو الفرج في الأغاني: ج ٦، ص ١٠٨، وج ١٥، ص ١١٠، أن هشاماً كتب إلى عامله بالكوفة أن يأخذ الكميت ويقطع لسانه لما بلغه من مدحه أهل البيت وراثته الشهيد زيدا، فمن البعيد جداً أن يستنهضه زيد وهو بتلك المكانة من الموالاة لهم فيتقاعد عن نصرته ويقول ذلك القول الشائن الذي يحط من مولاته. ويقوي في النفس كون الرواية من موضوعات عكرمة مولى ابن عباس أو قتادة فإنما وجدنا أبا بكر الهذلي يروي عنهما.

(١) الروض النضير: ج ١، ص ٥٥.

(٢) ج ١٥، ص ١٢١.

ما هي البيعة

كانت البيعة التي أخذ الناس عليها الدعوة إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وجهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين وإعطاء المحرومين وقسمة الفياء بين المسلمين بالسوية وردّ المظالم ونصرة أهل البيت على من نصب لهم العداوة وجهل حقهم فكان يقول للناس أتبايعوني على ذلك فإذا قالوا نعم وضع يده على يد من بايعه ثم يقول عليك عهد الله وميثاقه ودمته وذمة رسوله لتفريق بيعتي ولتقاتلن عدوي ولتنصحن لي في السر والعلانية فإذا قال: نعم مسح يده على يده ثم قال اشهدوا عليه^(١).

ولما تمت البيعة لزيد وخفقت الألوية على رأسه قال: الحمد لله الذي أكمل لي ديني والله إني كنت لأستحي من رسول الله ﷺ أن أرد عليه الحوض غداً ولم آمر في أمته بمعروف ولم أنه عن منكر^(٢)، والله ما أبالي إذا أقمت كتاب الله وسنة نبيه ﷺ إن

(١) تاريخ الطبري: ج ٨، ص ٢٦٧.

(٢) الفخري: ص ٩٦.

أَجَّجْتُ لِي نَارَ وَقَذَفْتُ فِيهَا ثُمَّ صَرْتُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَنْصُرُنِي أَحَدٌ إِلَّا كَانَ فِي الرَفِيقِ الْأَعْلَى مَعَ مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ . وَيَحْكُمُ أَمَّا تَرُونَ هَذَا الْقُرْآنَ بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ وَنَحْنُ بَنُوهُ، يَا مَعْشَرَ الْفُقَهَاءِ، يَا أَهْلَ الْحِجَازِ أَنَا حُجَّةُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَهَذِهِ يَدِي مَعَ أَيْدِيكُمْ عَلَى أَنْ نَقِيمَ حُدُودَ اللَّهِ وَنَعْمَلَ بِكِتَابِ اللَّهِ وَنَقْسِمَ فِيئَكُمْ بِالسُّوْيَةِ فَسَلُونِي عَنْ مَعَالِمِ دِينِكُمْ فَإِنْ لَمْ أُبَيِّنْكُمْ عَمَّا سَأَلْتُمْ فَوَلُّوا مِنْ شَيْءٍ مِمَّنْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ أَعْلَمَ مِنِّي وَاللَّهُ لَقَدْ عَلِمْتَ عِلْمَ أَبِي عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ وَعِلْمَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَصِيِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعِيَّةَ عِلْمِهِ وَاللَّهُ مَا كَذَبْتَ كَذِبَةً مِنْذُ عَرَفْتُ يَمِينِي مِنْ شِمَالِي وَلَا انْتَهَكْتَ مُحَرَّمًا لِلَّهِ يُوَاخِذُنِي بِهِ^(١) .

«منازله بالكوفة»

لم يكن له في الكوفة منزل خاص يأوي إليه وإنما كان يتحرى في ذلك مقتضيات الظروف والأحوال ومن هنا نشاهده ينزل تارة دار امرأته بالأزد، وأخرى في أصهاره السلميين، وثالثة في بني عبس عند نصر بن خزيمة العبسي، ورابعة في بني غبر، ثم تحول منهم إلى دار معاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة الأنصاري في أقصى جبانة سالم السلوي، ونزل في بني نهد، وبني تغلب عند مسجد بني هلال بن عامر^(١).

(١) تاريخ الطبري: ج ٨، ص ٢٦٧.

(الكتب من هشام إلى الوالي)

لم يزل هشام بن عبد الملك منذ عرف بقاء زيد في الكوفة يبعث إلى العامل - يوسف بن عمر الثقفي - الرسل والكتب يستحثه فيها على إخراج زيد من الكوفة لئلا يبايعه أهلها، فإنه الجذاب للقلوب بعلمه وورعه ولسانه ونسبه، وفي الكتاب الأول يقول: (أما بعد فإن رجلاً من بني أمية كتب إلي باجتماع أهل الكوفة على زيد ولقد تعجبت من غفلتك وجهلك وزيد غارز ذنبه بالكوفة يبايع له فإذا لم تستطع إخراجه منها فقاتله).

وفي الكتاب الثاني يقول: (أما بعد فقد علمت حال أهل الكوفة وحبهم أهل هذا البيت ووضعهم إياهم في غير مواضعهم، لأنهم افترضوا على أنفسهم طاعتهم، ووظفوا عليهم شرائع دينهم، ونحلوه علم ما هو كائن حتى حملوهم من تفريق الجماعة على حال استخفوهم فيها إلى الخروج وقد قدم زيد بن علي على أمير المؤمنين في خصومة عمر بن الوليد ففصل أمير المؤمنين بينهما، ورأى رجلاً جдалاً لسنّاً خليقاً لتمويه الكلام

وصوغه واجترار الرجال بحلاوة لسانه وكثرة مخارجه في حججه وما يدلي به عند لدد الخصام من السطوة بالقوة الحادة لنيل الفلج، فعجل إشخاصه إلى الحجاز ولا تخله والمقام قبلك، فإنه إن أعاره القوم أسماعهم فحشاها من لين لفظه وحلاوة منطقه مع ما يدلي به من القراية لرسول الله ﷺ، وجدهم ميلاً إليه غير متتدة قلوبهم ولا ساكنة أحلامهم ولا مصونة عندهم أديانهم، وبعض التحامل عليه فيه أذى له، وإخراجه وتركه مع السلامة للجميع والحقن للدماء والأمن للفرقة أحب إلي من أمر فيه سفك دمائهم وانتشار كلمتهم وقطع نسلهم، والجماعة حبل الله المتين ودين الله القويم وعروته الوثقى، فادعُ إليك أشراف أهل المصر وأوعدهم العقوبة في الأبخار واستصفاء الأموال، فإن من له عقد أو عهد منهم سيبطئ عنه ولا يخفّ معه إلا الرعاع وأهل السواد، ومن تنهضه الحاجة استلذاذاً للفتنة، وأولئك ممن يستعبدهم إبليس فبادرهم بالوعيد، وأعضضهم بسوطك، وجرد فيهم سيفك، وأخف الأشراف قبل الأوساط، والأوساط قبل السفلة واعلم أنك قائم على باب ألفة وداعٍ إلى طاعة وحاضٍ على جماعة ومشمرّ لدين الله فلا تستوحش لكثرتهم، واجعل معقلك الذي تأوي إليه، وصفوك الذي تخرج منه الثقة بربك والغضب لدينك والمحاماة عن الجماعة ومناصبه من أراد كسر هذا الباب الذي أمرهم الله بالدخول فيه والتشاح عليه، فإن أمير المؤمنين قد أعذر

إليه وقضى من ذمامه فليس له منزى إلا ادعاء حق هو له ظلمه من نصيبه نفسه أو فيء أو صلة لذي قربى إلا الذي خاف أمير المؤمنين من حمل بادرة السفلة على الذي عسى أن يكونوا به أشقى وأضل ولهم أمر ولا أمير المؤمنين أعز وأسهل إلى حياة الدين والذب عنه، فإنه لا يحب أن يرى في أمته حالاً متفاوتاً نكالا لهم مفنياً فهو يستديم النظرة ويتأتى للرشاد ويجتنبهم عن المخاوف ويستجرهم إلى المرشد ويعدل بهم عن المهالك فعل الوالد الشفيق على ولده والراعي الحذب على رعيته واعلم أن من حجتك عليهم في استحقاق نصر الله لك عند معاندتهم توفيتك أطماعهم وأعطية ذريتهم ونهيك جندك أن ينزلوا حريمهم ودورهم فانتهمز رضا الله في ما أنت بسبيله فإنه ليس ذنب أسرع تعجيل عقوبة من بغي وقد أوقعهم الشيطان فيه ودلهم عليه والعصمة بتارك البغي أولى فإن أمير المؤمنين يستعين الله عليهم وعلى غيرهم من رعيته ويسأل إلهه ومولاه ووليه أن يصلح ما كان فاسداً وأن يسرع بهم إلى النجاة والفوز إنه سميع قريب^(١).

وبعد أن وقف الوالي على الكتب وفهم رأي الخليفة طلب زيداً طلب الخريزة وكتب إلى عامله على الكوفة - الحكم بن الصلت من آل أبي عقيل - وهو يومئذ (بالحيرة) يأمره بطلب زيد

فخفي على الحكم موضعه فدس مملوكاً خراسانياً ألكن وأعطاه خمسة آلاف درهم وأمره أن يلطف لبعض الشيعة فيخبره أنه قدم من خراسان حباً لأهل البيت وأن معه مالا يريد أن يقويهم به، فلم يزل المملوك يلقي الشيعة ويخبرهم عن المال الذي معه حتى أدخلوه على زيد، فسلمه المال ثم خرج من عنده وأعلم يوسف ابن عمر بموضعه^(١).

وجاء سليمان بن سراقه البارقى إلى يوسف بن عمر ودله على رجلين يختلفان إلى زيد وقد بايعاه، يقال لأحدهما عامر وللآخر طعمة من بني تميم ابن أخت لبارق وأنّ زيدا نازل فيهم، فبعث يوسف عليهما فجيء بهما ولم يوجد زيد في منزلهما ولما كلمهما استبان له أمر زيد وأصحابه فأمر بالرجلين فضربت أعناقهما^(٢).

(١) تاريخ الطبري: ج ٨، ص ٢٧٧.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٨، ص ٢٧٢.

أهل الكوفة وزيد

«توطئة»

لم يسجل التاريخ لرجال الكوفة بالرغم من شهرة هذه المدينة العظيمة وموقعها التاريخي الكبير في بدء تمصيرها وكونها مرتكز الخلافة الكبرى ردحاً من الزمن ونبوغ رجال الأمة فيها، مآثر جديرة بالتقدير وكأنّ من انتحى نحوها يوم مصّرت إنما تبوأها ليبث فيها روح الشقاق، أو يزرع بأرجائها بذور النفاق ويخبئ بين فجاجها جراثيم الفساد. لذلك لما أئنت وبسقت أغصانها لم يشهد فيها غير الانشغال عن الحق وأهله، والميل إلى الجور، والإصاخة إلى داعية ضلال.

هذه نفسية القوم عرفوا بها منذ العهد العلوي، فيوم كان يستنصرهم علي عليه السلام في وقعة (الجمل) ويخذلهم عنه أبو موسى الأشعري، وما كان نفيرهم إليه إلاّ بعد هن وهن وقدوم (الأشتر) واستنفارهم بقوة بأسه ولا تنسَ يوم رفع المصاحف (بصفين)،

يوم جاءوا بالفاجعة الكبرى شوهاء شنعاء التقت بها حلقتا البطان، ثم ندموا على ما فرطوا في جنب وليّ الله فأثاروا فتنة (النهروان) غير متأثمين وألقوا المسؤولية فيها على عاتق (علي) بحجة داحضة، وبعد أن مسحهم السيف الإلهي وتطامنت النفوس على حرب معاوية، لم يبرح الإمام يستثيرهم الآونة بعد الآونة وهو لا يجد إلا متترساً بالأعذار، أو متسترأً بالفشل، أو مضمراً غدرأً، أو متحيزأً إلى فئة، فجرعوه الغصص حتى مجّهم وتمنى أن معاوية عوضه واحداً من الشام بعشرة منهم صرف الدينار بالدرهم. وقال فيهم: (قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحاً).

وتلت تلك الفظائع ما احتقبوه أمام (المجتبى سبط الرسول ﷺ) يوم سار إلى معاوية، فوافوا وحشو إهابهم عار وملء عيابهم عيوب ومخازٍ وخامرهم حب الشهوات فتركوا داعية الحق أمام معاوية فشلاً. ولم يقنعهم ذلك حتى انتهبوا ثقله، وهتكوا حرمة.

ومهما ننسى لأهل الكوفة كل كارثة فلا ننسى يومهم مع الحسين (عليه السلام) فلقد جاءوا بما هو أدهى وأنكى.

أتت كتبهم في طيهن كتائب وما رقت إلا بسم الأرقام تواردت عليه كتب القوم - اثنا عشر ألفاً - ينادون فيها بصوت واحد:

أن اقدم علينا يابن بنت محمد لك الدهر عبد والزمان غلام

فلما حل بين أظهرهم قلبوا له ظهر المجن وقابلوه بأسنة الرماح وشفار السيوف، فكانت هنالك مجزرة لآل رسول الله ﷺ وعصابة الإيمان، ومستأصل العترة الطاهرة، فخلدوها صحيفة سوداء إلى يوم يقوم الأشهاد، وما اكتفوا بكل ذلك حتى ارتكبوا ما تندى منه جبهة البشرية وتقلص جلدة وجه الإنسانية (سلب مخدرات النبوة) وسوقهن إلى الشام (أسرى عليهن ثوب الحزن سربال).

وقبل ذلك يوم مسلم بن عقيل فلقد بايعه اثنا عشر ألفاً أو يزيدون على النصر والهدى، فما أسرع من أن باؤا عنه يخذل بعضهم بعضاً حتى لم يبق معه أحد يدلّه على الطريق.

وبعده يوم المختار واجتماعهم عليه وثباتهم مع ابن مطيع وبعد خروج ابن الأشتر لمقابلة ابن سمية والتمثيل حول راية ابن الزبير، في كل ذلك لم تنقطع عنهم المخازي في الفتنة بعد الفتنة مع الهاشميين وغيرهم فكل يوم يغرون واحداً منهم بأعدائهم ثم يسلمونه إلى البلاء وحيداً، إلى غير هاتيك من جرائم لا مبرر لها وجرائم لا مبرر لمرتكبها مما أثبتها لهم التاريخ حديث خزية لا يدحرها عنهم أي تحوير في القول ولعذاب الآخرة أشد وأبقى.

غدر أهل الكوفة بزید

إذاً فليس غدرهم بالشهيد زيد باكورة نفاقهم ولا بدعاً من غرائزهم، جاء إليه جماعة من الرؤساء وذوي البصائر وأهل الحل والعقد فسألوه عما يراه في أبي بكر وعمر فتلكأ واحتبس وما يدري ماذا يجيب في ذلك الحال الرهيب حال التجمع والتحزب والتألف والتجمهر كله لمكافحة الباطل والضلال، وكيف لا يرتكب المجاز في القول وهو يقرأ على صفحات وجوههم الغدر والخذلان، فمن هنا نشاهده يقول لهم في الجواب (ما سمعت أحداً من آبائي تبرأ منهما ولا يقول فيهما إلا خيراً)^(١)، فلم يقتنع القوم منه بهذا بعد أن كان غرضهم حل عرى العهود والمواثيق الصادرة منهم فاتخذوا عدم التبري من الخلفاء ذنباً يستوجب به عدم النصرة والمحاماة، وصاحوا بأجمعهم إنك لم تطلب بدم أهل هذا البيت إلا أن وثبا على سلطانكم فانتزعاه من أيديكم.

(١) الفرق بين الفرق: ص ٣٤ وفي مرآة الجنان للياضي: ج ١، ص ٢٥٧، أتبرأ ممن يتبرأ منهما.

فقال زيد: إن أشد ما أقول في ما ذكرتم أنا كنا أحق بسلطان رسول الله ﷺ من الناس أجمعين، وإن القوم استأثروا علينا ودفعونا عنه ولم يبلغ ذلك عندنا بهم كفراً قد ولوا فعدلوا في الناس أجمعين، وعملوا بالكتاب والسنة، فقالوا له إذا لم يظلمك أولئك فلم يظلمك هؤلاء، فلم تدعو إلى قتال قوم ليسوا لك بظالمين، فقال: إن هؤلاء ظالمون لي ولكم ولأنفسهم، وإنما ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وإلى السنن أن تحيي وإلى البدع أن تطفأ فإن أنتم أحبتمونا سعدتم وإن أنتم أبيتم فلست عليكم بوكيل، ففارقوه ونكثوا بيعته^(١).

فتبرأ زيد منهم وصاح فعلوها حسينية. ولما بلغ الصادق عليه السلام حديثهم معه تبرأ منهم، وقال: برئ الله ممن تبرأ من عمي زيد. وقال لجماعة من أهل الكوفة سألوه عن زيد والدخول في طاعته: (هو والله سيدنا وخيرنا)^(٢) فكنتموا ما أمرهم به وتفرقوا عنه. وانقشعت سحابة الضلال عن عصابة طابت أصولهم وأنارت أحسابهم في سماء العز والإباء، فكانوا كثيرين على الأعداء وإن قلوا في العدد وفارقوا العدة نهضوا لحماية الدين الحنيف والذب عن ذرية سيد المرسلين وهم لا يزيدون على خمسمائة رجل منهم

(١) تاريخ الطبري: ج ٨، ص ٢٧٢.

(٢) الإضافة بمعنى من.

مائتان وعشرون رجل نشابة^(١).

ويحدث الداودي في (عمدة الطالب) أنهم ثلثمائة رجل وبيننا
زيد يفكر في حالة أهل الكوفة، ومرض قلوبهم وبعدهم عن رضا
الرحمن، جاء إليه كثير النوى يستقبله فأقاله^(٢) حيث رآه لا يدفع
عنه ضيماً ولا يأخذ له بكرة، ثم أنشد يقول:

للحرب أقوام لها خلقوا وللتجارة والسلطان أقوام
خير البرية من أمسى تجارته تقوى الإله وضرب يختلي الهام

(١) المقاتل لأبي الفرج.

(٢) البحار في أحوال السجاء.

وصف المحاربة

لما عرف زيد من يوسف بن عمر التطلب له والاستباحث عن أمره وتتبع شيعته، وبلغه خبر الرجلين اللذين أخذوا وقتلا، خاف على نفسه أن يؤخذ غيلة فتعجل الخروج قبل الأجل الذي كان بينه وبين الأمصار^(١) وأمر من ثبت معه بالتهيؤ والاستعداد^(٢). وكان ظهوره بالكوفة ليلة الأربعاء أول ليلة من صفر سنة مائة وإحدى وعشرين. ونص أبو الفرج في المقاتل أنه خرج ليلة الأربعاء لسبع بقين من المحرم، وإذا لاحظنا ما أثبتته من استدامة الحرب يومين فقط وأنه قتل يوم الجمعة من صفر، يتبين الخطأ في ذلك الحكم. ولأحمد بن حميد في الحقائق الوردية اشتباه

(١) المقاتل لأبي الفرج.

(٢) الخطط المقرزية: ج ٤، ص ٣١٠. كل ما ذكره في وصف القتال فهو منقول من تاريخ الطبري وكامل ابن الأثير وتاريخ ابن عساكر بترجمة زيد وروضة المناظر لابن الشحنة والخطط المقرزية ومروج الذهب وعمدة الطالب ومقاتل الطالبين في أحوال السجادة عليه السلام.

مثله نقصه في ما يأتي . وما أرسلناه هنا قرره الكثير من المؤرخين وأرباب التراجم .

قال ابن جرير جمع الحكم بن الصلت أهل الكوفة في المسجد الأعظم قبل خروج زيد، وبعث إلى العرفاء والشرط والمناكب والمقاتلة فحصرهم في المسجد، ومكث الناس ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ في المسجد الأعظم يؤتى إليهم بالطعام والشراب من منازلهم، ونادى مناديه ألا إن أمير المؤمنين يقول: من أدركنا زيدا في رحله فقد برئت منه الذمة . وكان يومئذ على ربع المدينة إبراهيم بن عبد الله بن جرير البجلي، وعلى ربع مذحج وأسد عمرو بن أبي بذر العبدى، وعلى ربع كندة وربيعة المنذر بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي، وعلى ربع تميم وهمدان محمد بن مالك الهمداني ثم الخيواني .

وفي يوم الثلاثاء قبل خروج زيد أمر الحكم بن الصلت بدروب السوق فغلقت وغلقت أبواب المسجد على أهل الكوفة وبعث إلى يوسف بن عمر وهو (بالحيرة) يعلمه الحال، فأمر يوسف مناديه فنادى في أصحابه من يأتي الكوفة ويقترب من هؤلاء القوم، فركب جعفر بن العباس الكندي في خمسين فارساً حتى انتهى إلى (جبانة سالم السلوي)^(١) فعرف موضعهم ورجع إليه .

(١) الجبانة إذا أطلقت يراد منها المقبرة وإذا أضيفت يراد منها المحلة . وفي =

وفي ليلة الأربعاء أول ليلة من صفر طلبوا زيداً في دار معاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة الأنصاري، فلم يجده لأنه خرج من دار معاوية وفي ليلة شديدة البرد والظلمة، وأصحابه يستضيئون بالهراوي يشعلون فيها النار، وما زالوا على هذا الحال

= الكوفة محال تسمى بالجبانة وموقعها وراء الشوارع العمومية في الكوفة وكان عددها خمسة عشر شارعاً خمسة في مؤخر المسجد الأعظم وأربعة في قبلته وثلاثة في شرقيه وثلاثة في غربيه، والأزقة شارعاً منها وكان عرض الجادة من الثلاثين إلى الأربعين وعرض الزقاق سبعة أذرع وأنزل سعد القبائل في هذه الجواد وأخلاق الناس في الأزقة وكان أسباب وضع الجبانات ضيق الجواد على الناس لنزول الروادف عليهم فاتخذوا محالاً أخرى للسعة سميت بالجبانات وأخرى بالصحراء فمن الجبانات جبانة السبيع، كان يسكنها الحجاج الثقفي نسبت إلى ولد السبيع بن سبع بن صعب الهمداني وهؤلاء رهط أبي إسحاق السبيعي «وجبانة سالم» بن عمار ابن عبد الحارث السلولي نسبة إلى أمهم سلول بنت ذهل بن شيبان و(جبانة) بشر بن ربيعة بن عمرو بن منارة بن قمير الخثعمي وهو القائل:

تحن بباب القادسية ناقتي وسعد بن وقاص علي أمير وجبانة ميمون مولى محمد بن علي بن عبد الله وهو أبو بشر صاحب الطاقات ببغداد بالقرب من باب الشام وجبانة عرزم نسبت إلى رجل اسمه عرزم من بني نهد يضرب بها اللبن ولبنه رديء لأن فيه قصباً وخرقاً فربما وقع الحريق بها، ولذلك أوصى إبراهيم النخعي ألا يجعل في قبره لبن عرزمي، وجبانة بني يشكر وجبانة أبي مخنف وجبانة كندة وجبانة الصائدين وجبانة مراد وجبانة الحشاشين.

طول ليلهم وشعارهم كأصحاب بدر (يا منصور أمت).

وفي صباح يوم الأربعاء خرج يوسف بن عمر إلى تل قريب من (الحيرة) فنزل عليه ومعه جماعة من كبار قريش وأشراف الناس، وبعث الريان بن سلمة الأراشي في ألفين وثلاثمائة من القيقانية معهم الشباب قوة لصاحب شرطته العباس بن سعيد المزني.

وفي هذا اليوم بعث (زيد) القاسم بن كثير بن يحيى بن صالح ابن يحيى بن عزيز بن عمرو بن مالك بن خزيمة التبعي^(١) ثم الحضرمي ورجلاً آخرًا يقال له: صدام يناديان بشعارهما يا منصور أمت فالتقيا مع جعفر بن العباس الكندي في (صحراء عبد القيس)^(٢) واقتتلا معهم فقتل صدام وارث القاسم فأسر وجيء به إلى ابن الصلت فكلمه فلم يرد عليه فأمر به فضربت عنقه على

(١) هكذا في مقاتل وفي الطبري: التنعي، بالنون بعد التاء.

(٢) هذه من محلات الكوفة المسماة بالصحراء وموقعها وراء الجواد العمومية ومنها صحراء شبت بن ربيعي الرياحي التميمي وصحراء البردخت الشاعر الضبي واسمه علي بن خالد، وصحراء أثير رجل من بني أسد، وكان طبيباً حاذقاً صاحب كرسي، وهو الذي جيء به إلى علي عليه السلام يوم ضربه ابن ملجم، وصحراء أم سلمة بنت عبد الله بن الوليد بن المغيرة المخزومي، وصحراء بني فزارة نسبت إلى بني فزارة بن ثعلبة بن مالك بن حرب بن طريف بن النمر بن يقدم بن عنزة بن ربيعة بن نزار، وصحراء عبد القيس وصحراء سالم.

باب القصر فقالت ابنته سكينه ترثيه :

عين جودي لقاسم بن كثير بدرور من الدموع غزير
أدركته سيوف قوم لئام من أولي الشرك والردى والشرور
سوف أبكيك ما تغنى حمام فوق غصن من الغصون نضير

لم يواف زيداً ممن بايعه في هذا اليوم غير مائتين وثمانية عشر رجلاً، فقال زيد سبحان الله أين الناس قيل إنهم محصورون في المسجد الأعظم قال: والله ما هذا لمن بايعنا بعذر. وسمع نصر بن خزيمة النداء فأقبل إليه ولقي عمرو بن عبد الرحمن صاحب شرطة الحكم بن الصلت في خيله من جهينة عند دار (الزبير بن حكيم) في الطريق الخارج إلى مسجد بني عدي فقال نصر بن خزيمة: [يا منصور أمت] فلم يرد عليه شيئاً فحمل عليه نصر وأصحابه فقتل عمرو بن عبد الرحمن، وانهزم من كان معه، وأقبل نصر إلى (زيد) فالتقى معه في (جبانة الصائدين)، وفيها خمسمائة من أهل الشام فحمل عليهم زيد فيمن معه فهزمهم، وتحت زيد برذون بهيم اشتراه رجل من بني نهد بن كهمس بن مروان النجاري بخمسة وعشرين ديناراً ثم صار بعد زيد إلى الحكم بن الصلت. وانتهى زيد إلى باب رجل من الأزدي قال له أنس بن عمرو وكان ممن بايعه، فناداه زيد يا أنس اخرج إليّ رحمك الله فقد جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً، فلم يخرج إليه، فقال زيد: ما أخلفكم قد فعلتموها الله حسيبكم.

ومضى زيد حتى انتهى إلى الكناسة وكان بها جماعة من أهل الشام فحمل عليهم وهزمهم، ثم خرج حتى أتى (الجبانة) وكانت فيما بين الحيرة والكوفة ويوسف بن عمر على تل قريب من الحيرة معه من قريش وأشرف الناس نحو مائتي رجل فيهم حزام بن مرة المزني، وزمزم بن سليم التغلبي ولو أقبل على يوسف لقتله وكان الريان بن سلمة يتبع أثر زيد في أهل الشام فمانعه عن التوجه نحو يوسف بن عمر فأخذ زيد على مصلى خالد بن عبد الله القسري حتى دخل الكوفة وقد انشعب أصحابه لما قصد الجبانة فذهب بعضهم نحو جبانة مخنف بن سليم، ثم تراجعوا إلى جبانة كندة، وبيننا هم يسيرون إذ طلعت عليهم خيل أصحاب يوسف بن عمر فلما رأوهم دخلوا زقاقاً ونجوا منهم إلا رجلاً دخل مسجداً يصلي فيه ركعتين وبعد أن فرغ خرج إلى أصحاب يوسف وقتلهم فتكاثروا عليه وصرعوه وحمل عليه رجل بعمود فقتله وخرج أولئك نفر الذين دخلوا الزقاق وقاتلوا أصحاب يوسف بن عمر، فاقتطع أهل الشام منهم رجلاً دخل دار عبد الله ابن عوف فهجموا عليه وأسروه وأتوا به إلى يوسف بن عمر فقتله.

ولما دخل زيد الكوفة أشار عليه نصر بن خزيمة بالتوجه نحو المسجد الأعظم لاجتماع الناس فيه، فقال له زيد، إنهم فعلوها حسينية، فقال نصر أمّا أنا فوالله لأضربنّ معك بسيفي هذا حتى أقتل. وبيننا يسير زيد نحو المسجد الأعظم إذ طلع عليه عبيد الله بن

العباس الكندي في أهل الشام والتقى معه على باب (عمر بن سعد بن أبي وقاص) فأراد الحملة عبيد الله وتكعكع مولاه سلمان وبيده اللواء فصاح به احمل يا بن الخبيثة فحمل عليهم ولم ينصرف حتى خضب اللواء بالدم وضرب واصل الحناط عبيد الله وقال خذها وأنا الغلام الحناط فلم تعمل فيه شيئاً، وقال عبيد الله: قطع الله يدي إن أكلت بقفيز أبداً ثم ضرب الحناط فلم يصنع شيئاً، واشتد القتال بينهم، ولكثرة من قتل من أصحاب عبيد الله فر بمن بقي معه وانتهى إلى دار (عمرو بن حريث) وكانت في (السبخة) قريبة من المسجد الأعظم^(١).

(١) في السبخة قبر ميثم التمار صاحب علي بن أبي طالب وكان من خواص أصحابه المودع عندهم علم المنيا والبلايا. وهو القائل لعمرو بن حريث سوف أجاورك فأحسن جواري فلم يفهم عمرو مراده حتى إذا صلبه ابن زياد على باب داره قبل مجيء الحسين عليه السلام إلى العراق بعشرة أيام، عرف المراد وقبره معروف مشهور يزار ويتبرك به.

وعمره هذا قرشي مخزومي له ولأبيه صحبة. وكانت ولادته قبل الهجرة بستين وجده لأمه هشام بن خلف الكناني له شرف في الجاهلية ولشرفه بال على رأس النعمان بن المنذر ملك الحيرة لما حج وراه هشام قال أهذا ملك العرب قالوا نعم فبال على رأسه ليزل فتحول النعمان عن دين العرب وتنصر، وكانت لعمرو دار بالمدينة وبعد أن انتقل إلى الكوفة اختط داراً بها وله زقاق يعرف بزقاق عمرو بن حريث؛ وداره قريبة من المسجد الأعظم. وكان ينوب في الكوفة عن زياد وابنه عبيد الله أيام استقامتهما بالبصرة. =

وأقبل زيد بأصحابه وانتهى إلى (باب الفيل)^(١) فأدخل

= وبسببه نهى عمر بن الخطاب عن المتعة، ففي صحيح مسلم في باب المتعة عن جابر بن عبد الله الأنصاري كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر حتى نهانا عنه عمر في شأن عمرو بن حريث. ولم يتعرض النووي للقصة في شرحه على صحيح مسلم، نعم تعرض لها الآبي في شرحه للصحيح قال في ج ٤، ص ١٥ بلغ عمر بن الخطاب أن عمرو بن حريث تمتع بامرأة فبعث عليها وسألها فاعترفت وطلب الشاهد فشهد لها أمها وأخوها فنهى بعد ذلك عن المتعة. ومن طريف عاقبته ما يحدث الصدوق في الخصال: ج ٢، ص ١٧٤ عن الأصبغ بن نباتة وفيه (أمرنا علي بالمسير إلى المدائن وخرج يوم الأحد، وتخلف عمرو بن حريث في سبعة نفر من أهل الكوفة فخرجوا يوماً إلى (الخورنق) يتنزهون فبينما هم جلوس إذ خرج عليهم ضب فصاده عمرو هذا ونصب كفه وقال لمن معه بايعوا هذا فهو أميركم فبايعوه وعمرو ثامنهم، ثم إنهم ساروا إلى المدائن يوم الأربعاء ووصلوا يوم الجمعة وعلي يخطب فلما نظر إليهم قال: إن الله يقول ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِهِمْ﴾ وإني أقسم بالله لبيعن يوم القيامة أناس وإمامهم ضب ولو شئت أن أسميهم لفعلت، قال الأصبغ والله لقد رأيت عمرو بن حريث قد سقط كما تسقط السعفة حياءً ولؤماً) مات في الكوفة سنة ٨٥.

(١) هذا الباب يدخل منه إلى المسجد اليوم، وكان يسمى باب الثعبان وللتسمية شأن ذكره علماء الحديث مسنداً عن الحارث الهمداني قال: كان علي بن أبي طالب يخطب في المسجد إذ أقبل أفعى من هذا الباب، واضطرب الناس وماجوا فصعد المنبر وسارَّ علياً ثم خرج من هذا الباب، فسئل علي عنه قال: إن الجن التبت عليهم مسألة فجاءني هذا يسأل عنها. =

أصحابه راياتهم من فوق الأبواب وهم يقولون يا أهل المسجد أخرجوا إلى العز أخرجوا إلى الدين والدنيا فإنكم لستم في دين ولا دنيا فأشرف عليهم أهل الشام يرمونهم بالحجارة من فوق المسجد.

وفي عشية الأربعاء انصرف الريان بن سلمة إلى الحيرة وخرج زيد فيمن معه ونزل (دار الرزق) فأتاه الريان بن سلمة وقاتله هناك قتالاً شديداً. فجرح بعض أصحاب الريان وقتل منهم كثير وفر الباقون، فتبعهم أصحاب زيد من دار الرزق حتى انتهوا إلى المسجد، ورجع أهل الكوفة عشية الأربعاء بأسوأ حال.

وفي صباح يوم الخميس الثاني من صفر بعث يوسف بن عمر

= واختلف أولياؤه وأعداؤه فمن مؤمن مصدق ومن منافق مرتاب، قال المجلسي في مزار البحار والسيد هاشم البحراني في مدينة المعاجز، كان هذا الباب يعرف بباب الثعبان، وبعده حدثت التسمية بباب الفيل ولزمته. وحدث البلاذري في (فتوح البلدان) ص ٢٩٦ في سبب ذلك قال: (لما فتح المسلمون المدائن اصابوا بها فيلاً اشتراه رجل من أهل الحيرة، فكان يطوف به القرى، فرغبت في النظر إليه أم أيوب بنت عمارة بن عقبة بن أبي معيط امرأة المغيرة بن شعبة، وخلف عليها من بعده زياد بن أبيه وكانت تنزل دار أبيها إلى جنب المسجد الأعظم فأتوا به إليها وربط بباب المسجد ووهبت لصاحبه شيئاً وصرفته فلم يخطئ إلا خطئاً سيرة ومات فاشتهر الباب بباب الفيل.

العباس بن سعيد المزني صاحب شرطه في جماعة من أصحابه فأتوا زيدا وهو في دار (الرزق) فاقتتلوا هناك والطريق متضايق بخشب كثير للنجار، وعلى ميمنة زيد وميسرته نصر بن خزيمة العبسي، ومعاوية بن إسحاق الأنصاري، فصاح العباس بأصحابه الأرض الأرض فنزلوا عن خيولهم واشتد القتال، فضرب نائل بن فروة نصر بن خزيمة على فخذه، وضربه نصر فقتله، ولم يلبث نصر أن مات، وقتل في هذه الصدمة من أصحاب العباس بن سعيد نحو من سبعين رجلاً وفرّ الباقيون.

وفي عشية الخميس عبأ يوسف بن عمر أصحابه وصيرهم إلى زيد فاقتتلوا ثم كشفهم زيد إلى (السبخة) واشتد القتال فيها، فكانت الدبرة على أصحاب يوسف بن عمر، وتبعهم زيد بمن معه حتى أخرجهم إلى بني سليم، وطاردتهم في خيله ورجاله فأخذوا طريق المسناة، ثم ظهر لهم فيما بين (بارق ورؤاس) فقاتلهم، وصاحب لوائه عبد الصمد بن أبي مالك بن مسروح من بني سعد بن زيد حليف العباس بن عبد المطلب، وكان مسروح السعدي متزوجاً صفية بنت العباس بن عبد المطلب، وتمثل زيد يوم السبخة بأبيات ضرار بن الخطاب الفهري التي قالها يوم الخندق^(١):

(١) تمثل بها عليّ يوم صفين، والحسين يوم الطف، ويحيى بن زيد يوم الجوزجان، وإبراهيم بن عبد الله المحض يوم (باخمري).

مهلاً بني عمنا ظلامتنا إن بنا سورة من القلق
لمثلكم تحمل السيوف ولا تغمز أحسابنا من الرق
إني لأنمي إذا انتميت إلى عز عزيز ومعشر صدق
بيض سباط كأن أعينهم تكحل يوم الهياج بالعلق

وفي حديث محمد بن فرات الكوفي كان الناس ينظرون إلى زيد
يقاتل يوم السبخة وعلى رأسه سحابة صفراء تدور معه حيثما دار .

وبينا زيد يقاتل أصحاب يوسف بن عمر إذ انفصل رجل من
كلب على فرس له رائع وصار بالقرب من زيد فشم الزهراء
فاطمة، فغضب زيد، وبكى حتى ابتلت لحيته، والتفت إلى من
معه وقال: أما أحد يغضب لفاطمة، أما أحد يغضب لرسول
الله ﷺ، أما أحد يغضب لله، قال سعيد بن خيثم: أتيت إلى
مولى لي كان معه مشمل^(١) فأخذته منه وتسترت خلف النظارة
والناس يومئذ فرقتان مقاتلة ونظارة ثم صرت وراء الكلبي وقد
تحول من فرسه وركب بغلة فضربته في عنقه فوقع رأسه بين يدي
البغلة، وشد أصحابه عليّ وكادوا يرهقوني، فلما رأى أصحابنا
ذلك كبروا وحملوا عليهم واستنقذوني، فركبت البغلة وأتيت زيدا
فقبل بين عيني وقال: أدركت والله ثأرنا، أدركت والله شرف
الدنيا والآخرة وذخرهما ثم أعطاني البغلة .

(١) المشمل كمنبر سيف قصير يغطي به تحت الثوب .

وسار زيد حتى انتهى إلى الجسر ونادى في أصحابه : والله لو كنت أعلم عملاً أَرْضَى الله من قتال هؤلاء لفعلته . وقد كنت نهيتكم ألا تتبعوا مدبراً ، ولا تجهزوا على جريح ؛ ولا تفتحوا باباً مغلقاً ، ولكني سمعتهم يسبون علياً عليه السلام فاقتلوهم من كل وجه ، فوالله لا ينصرني رجل عليهم اليوم إلا أخذت بيده وأدخلته الجنة .

واشتد القتال فكانت خيل أهل الكوفة لا تثبت لخيـل أصحاب زيد ، فبعث العباس بن سعيد المزني إلى يوسف بن عمر يستمده الرجال والخيـل فمده سليمان بن كيسان الكلبي في القيقانية والبخارية وهم نشابة ، وحرص زيد حين انتهوا إليه أن يصرفهم نحو السبخة فلم يتمكن ، وفي هذه الصدمة قاتل معاوية بن إسحاق حتى قتل ، وكان زيد يتمثل :

أذل الحياة وعز الممات وكلاً أراه طعاماً وبيلاً
فإن كان لا بد من واحد فسيري إلى الموت سيراً جميلاً
ولما جنح الليل من ليلة الجمعة الثالثة من صفر سنة ١٢١هـ رمي زيد بسهم غرب اصاب جبهته ووصل إلى الدماغ^(١) فرجع

(١) في الألفاظ الكتابية لعبد الرحمن بن عيسى الهمداني المتوفى سنة ٣٢٠ في باب الألفاظ التي ضد التعاون : لما أصيب زيد بالسهم صاح أين السائل عمن أوقفني هذا الموقف ، وذكر جواب زيد ، لاحظه .

زيد ورجع أصحابه ولم يظن أصحاب يوسف بن عمر إلا أنهم رجعوا للمساء والليل . وكان الرامي له مملوك ليوسف بن عمر اسمه راشد، ويقال من أصحابه اسمه داود بن كيسان .

وجاء بزيد أصحابه فأدخلوه بيت حران بن كريمة مولى لبعض العرب في (سكة البريد)^(١) في دور (أرحب وشاكر)، وجاءوا بطبيب يقال له شقير، وفي مقاتل أبي الفرج اسمه سفيان . فقال له الطبيب: إن نزعتك من رأسك مت، فقال الموت أهون علي مما أنا فيه، فأخذ الكلبتين فانتزعه فساعة انتزعه مات رضوان الله عليه، ولعن قاتله وخاذله .

وقال سلمة بن الحر بن الحكم في قتل زيد^(٢):

وأمتنا جحاجح من قریش فأمسى ذكرهم كحديث أمس
وكنّا أسّ ملكهم قديماً وما ملك يقوم بغير أسّ
ضمنا منهم نكلاً وحزناً ولكن لا محالة من تأسّ

(١) تقع هذه السكة بالقرب من المسجد الأعظم وفيها بنى خالد القسري لأمه بيعة وكانت نصرانية .

(٢) الصدر مختل الوزن ويستقيم إذا قيل «وأهلكنا جحاجح من قریش» .

زيد وتقدير عمره

يسأل هنا عن أربع: (أ) مقدار عمره (ب) سنة الشهادة (ج) شهر الشهادة (د) يوم الشهادة، وفي كل منها للمؤرخين خلاف. واتفق جمهورهم في الأول على أنه استشهد وله اثنتان وأربعون سنة^(١)، وحده ابن العماد في شذرات الذهب بثلاث وأربعين، وابن خرداذ بثمان وأربعين، وعلى تصحيحنا لتقدير الولادة يكون عمره ستاً وخمسين أو سبعاً وخمسين. وتقدم اختيار ما اتفق عليه في تحديد سنة شهادته بالواحدة والعشرين بعد المائة للشيخ الطوسي في المصباح، والمسعودي في مروج الذهب، وابن قتيبة في المعارف، واليافعي في مرآة الجنان: ج ١، ص ٢٥٧، وأبو

(١) نص على هذا ابن سعد في الطبقات: ج ٥، ص ٢٣٩ والمقرئزي في الخطط: ج ٤، ص ٣١٢، والبستاني في دائرة المعارف: ج ٢، في باب الكنى، ومن علمائنا الشيخ المفيد في الإرشاد، وابن داود في رجاله، والشيخ عبد اللطيف بن أبي جامع العاملي في رجاله، والسيد مصطفى التفرشي في رجاله، والسيد محمد كاظم اليماني في النفاة العنبرية.

الحسن الديار بكري في تأريخ الخميس: ج ٢، ص ٣٥٧، وابن العماد في شذرات الذهب: ج ١، ص ٥٨ وانفرد ابن سعد في الطبقات: ج ٦، ص ٢٢١، باختيار العشرين بعد المائة، ونص ابن جرير في باب مقتل زيد على الاثنتين والعشرين بعد المائة، ولم يخالف أحد في تعيين شهر الشهادة في (صفر) إلا الحافظ أبو نعيم، وأحمد بن حميد في الحداثق الوردية، فقد صح عندهما [المحرم]، وتواتر الحديث بقتله في الثالث من صفر إلا محمد ابن إسحاق خصه بالنصف منه. وفي نقل آخر أول يوم من صفر وخصه أبو نعيم بالعاشر من المحرم وأحمد بن حميد خصه بالخامس والعشرين من المحرم. وجاء المسعودي في إثبات الوصية بشيء غريب، قال: «قتل زيد بن علي يوم الأربعاء وهو يوم خروجه» فإن استدامة الحرب يومين لا خلاف فيه.

خطبة الوالي بعد قتله

لما بلغ يوسف بن عمر قتل زيد أقبل من الحيرة ودخل الكوفة ورقى المنبر، وقال: يا أهل الكوفة يا أهل المدرة الخبيثة إني والله ماتقرن بي الصعبة ولا يقعقع لي بالشنان ولا أخوّف بالذئب، وهيهات. حبيت بالساعد الأشد. أبشروا يا أهل الكوفة بالصغار والهوان لا عطاء لكم عندنا ولا رزق، ولقد هممت أن أخرب بلادكم ودوركم، وأحرمكم أموالكم، أم والله ما علوت منبري إلا أسمعتمكم ما تكرهون فإنكم أهل بغي وخلاف ما منكم إلا من حارب الله ورسوله، إلا حكيم بن شريك المحاربي ولقد سألت أمير المؤمنين أن يأذن لي فيكم ولو أذن لقتلت مقاتلكم وسبيت ذراريكم، ألا وإن يحيى بن زيد ينتقل في حجال نسائكُم كما كان يفعل أبوه والله لو أبدى صفحته لعرقت خصيه كما عرقت خصيي أبيه.

ثم نزل وبعث أصحابه يطوفون في دور الكوفة يلتمسون الجرحى فكانوا يخرجون النساء إلى صحن الدار ويفتشون

البيوت، ثم نادى مناديه ألا من جاء برأس فله خمسمائة درهم فجاءه محمد بن عباد برأس نصر بن خزيمة فأمر له بألف درهم وجاءه الأحول مولى الأشعريين برأس معاوية بن إسحاق فقال له أنت قتلته قال لا ولكنني رأيته فعرفته فأمر له بسبعمائة درهم ولم يمنعه من الألف إلا أنه لم يقتله^(١).

(١) تاريخ الطبري: ج ٨، ص ٢٧٦.

مؤارة الجسد الطاهر

لما قتل اختلف أصحابه في دفنه ومواراته بصورة تخفى عن الأعداء خوفاً من إخراجهم والتمثيل به، فقال بعضهم نلبسه درعه ونطرحه في الماء^(١)، وهذه الوسيلة تمنّاها الصادق عليه السلام، قال لسليمان بن خالد كم بين الموضوع الذي واروه فيه وبين الفرات، قال سليمان: قذفة حجر، فقال الصادق: سبحان الله أفلا كنتم أوقرتموه حديداً وقذفتموه في الفرات وكان أفضل^(٢).

ويمكن أن يدلنا الحديث على أن المكان المعروف له اليوم الذي يزار ويتبرك به لم يكن محل دفنه لبعده عن الفرات بنحو ست فراسخ فأين يقع منه قذفة الحجر.

وأشار بعض من حضر من أصحابه بدفنه في العباسية^(٣) وهي

(١) المصدر نفسه.

(٢) الوسائل للحر العاملي، كتاب الطهارة، في باب طرح الميت في الماء.

(٣) المقاتل لأبي الفرج.

النخيلة^(١) وارتأى آخرون حز رأسه وإلقاءه بين القتلى^(٢) حتى لا يعرف، فلم يوافق ابنه يحيى على هذا الرأي، وقال: لا والله لا تأكل لحم أبي الكلاب^(٣)، يشير إلى أن هذه الوسيلة لإخفاء الجسد الطاهر عن الأعداء لا يدفع محذور التمثيل به، فإن الكلاب لا تصل إليه وتتحاماه فيوجب ذلك اهتداء الأعداء إليه فيعود المحذور. قال سلمة بن ثابت لما كثر الخلاف بين أصحابه أشرت عليهم أن ننطلق به إلى نهر هناك وندفنه فيه فقبلوا الرأي وكان في النهر ماء كثير حتى إذا أمكنا له دفناه^(٤)، ووضعنا عليه الحشيش والتراب وأجري عليه الماء^(٥) وكان النهر في بستان رجل يقال له [زائدة]^(٦) وقيل يعقوب.^(٧)

(١) مثير الأحزان لابن نما.

(٢) الخطط المقرزية: ج ٤، ص ٣١٢.

(٣) المقاتل لأبي الفرج.

(٤) تاريخ الطبري: ج ٨، ص ٢٧٦.

(٥) مروج الذهب: ج ٢، ص ١٨٢.

(٦) أمالي الصدوق مجلس ٦٢.

(٧) تاريخ الطبري: ج ٨، ص ٢٧٧.

إخراجه بعد الدفن

دخل يوسف بن عمر الكوفة بعد قتل زيد وتطلب مكان دفنه، ونادى مناديه: ألا من أخبر بمكان دفنه فله الجائزة، فجاءه الطبيب الذي أخرج السهم وكان حاضراً دفنه فأعلمه بمكانه^(١) وكان مملوكاً لعبد الحميد الرؤاسي. وقيل إن مملوكاً سندياً لزيد ابن علي أخبر بمكان دفنه^(٢). وحدث أبو مخنف عن كهمس: أن نبطياً كان يسقي زرعاً له بتلك الناحية رآهم حين دفنوه فأخبر به^(٣). وبعد أن استبان للوالي موضع دفنه، بعث العباس بن سعيد المزني، وفي نقل آخر بعث الحجاج بن القاسم بن محمد بن أبي عقيل^(٤)، ويقال بعث خراش بن حوشب بن يزيد الشيباني وكان

(١) مروج الذهب: ج ٢، ص ١٨٢.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٨، ص ٢٧٦.

(٣) المقاتل لأبي الفرج.

(٤) المصدر نفسه.

على شرط يوسف بن عمر^(١)، وفيه يقول السيد الحميري هاجياً له: (٢)

بت ليلاً مسهدا	ساهر العين مقصدا
ولقد قلت قولة	وأطلت التبلدا
لعن الله حوشباً	وخراشاً ومزيدا
ألف ألف وألف	ألف من اللعن سرمدا
إنهم حاربوا الإلـ	هـ وأذوا محمدا
شركوا في دم الحسـ	ين وزيداً تعبدا
ثم عالوه فوق جذ	ع صريعاً مجردا
يا خراش بن حوشب	أنت أشقى الوري غدا

وحمل الجسد الطاهر على جمل وكان عليه قميص هروي، فألقي على باب القصر فخر كأنه جبل. فأمر يوسف بن عمر بقطع رأسه وفي حديث أبي مخنف قطع رأسه ابن الحكم بن الصلت، فإن الحكم ابن الصلت بعث ابنه وصاحب الشرطة العباس بن سعيد المزني لاستخراج زيد، فكره العباس أن يغلب ابن الحكم

(١) تاريخ الطبري: ج ٨، ص ٢٧٨.

(٢) رياض العلماء بترجمة زيد مخطوط. وهذه الأبيات نسبها ابن جرير إلى السيد ولم يعينه. وفي كامل ابن الأثير قائلها الحموي بالواو بعد الميم، ولعله من أغلاط المطبعة.

إخراجه بعد الدفن ٢٠٣

عليه فتركه وسرح الحجاج ابن القاسم بن محمد بن الحكم بن
أبي عقيل بشيراً إلى يوسف بن عمر. فقال أبو الجويرة مولى
جهينة:

قل للذين انتهكوا المحارم ورفعوا الشمع بصحرى سالم
كيف وجدتم وقعة الأكارم يا يوسف بن الحكم بن القاسم

صلبه

لما جيء بالجسد الطاهر وألقي أمام الوالي وكان هناك عدد كثير من جثث أصحابه، أمر بالجسد فصلب منكوساً^(١) بسوق الكناسة^(٢)، وصلب معه أصحابه^(٣)، وفيهم معاوية بن إسحاق، ونصر بن خزيمة العبسي وزياد الهندي^(٤) وأمر بحراسة زيد لئلا ينزل من الخشبة. وكان فيمن يحرسه زهير بن معاوية بن جديح ابن الرحيل^(٥) والرحيل هذا ممن خرج لحرب الحسين^(٦). فساء هذا الموقف رسول الله ﷺ وذريته المعصومين يقول جرير بن حازم رأيت النبي ﷺ في المنام متسانداً إلى جذع زيد بن علي

(١) كامل ابن الأثير.

(٢) العقد الفريد في باب مقتله.

(٣) كامل المبرد: ج ٣، ص ٢٤٧، والروض النضير: ج ١، ص ٦٠.

(٤) المقاتل لأبي الفرج.

(٥) تاريخ الطبري: ج ٨، ص ٢٧٧، وتهذيب التهذيب لابن حجر بترجمة زيد.

(٦) البحار في الفصل المتعلق بالسجاد.

وهو يقول للناس هكذا تفعلون بولدي^(١). ويحدث الموكل بخشبه: أنه رأى النبي ﷺ في النوم واقفاً على الخشبة ويقول: هكذا تصنعون بولدي من بعدي يا بني يا زيد قتلوك قتلهم الله، صلبوك صلبهم الله^(٢). ففشا الحديث بين الناس وظهر بذلك فضله ومظلوميته وعرف حتى حراس خشبه مكانته من الشرف وصدق دعواه وأنه محبو بجنان واسعة، ومن أجل هذا لم يمنعوا من يرغب من أهل الكوفة في زيارته والتمسك بجسده المقدس. حدث ابن تيمية في (منهاج السنة)^(٣): لما صلب زيد كان أهل الكوفة يأتون خشبه ليلاً ويتعبدون عندها.

(١) تهذيب التهذيب.

(٢) تاريخ ابن عساكر: ج ٦، ص ٢٣، والصواعق المحرقة: ص ١٠٠.

(٣) ج ١، ص ٨.

المرقد المطهر وموقع الكناسة

ليس بالهين معرفة هذين الموضعين على سبيل القطع خصوصاً موقع الكناسة، مع ما لها من الشهرة وتكرر ذكرها في صفحات التأريخ بمناسبة الحوادث الواقعة فيها، إذ لم تكن خارطة تخطط أرجاءها، ولا بقي من آثارها ما تتعرّف به الأحوال، إلا أعلام دارسة، وصور مجهولة كما هو الشأن في آثار الأمم البائدة، والديار الخاوية، فليس في وسع المنقب الجزم بشيء منها إلا بالتقريب بالوقوف على الرسوم والأطلال أو الحفريات أو الركون إلى كلمات مستطردة خلال السير؛ وحتى الآن لم يتسن لنا شيء من تلك القرائن سوى ما وجدناه في (فلك النجاة) للعلامة الحجة السيد مهدي القزويني قدس سره: (إن المشهد المعروف لزيد بن علي الذي يزار ويتبرك به محل صلبه وحرقه)، وهذه الكلمة من سيدنا الباحثة يجب الاحتفاظ بها لما هو المعهود من غزارة علمه وسعة إحاطته وقد وثق بها، وأرسلها إرسال المسلّمات آخذاً عن أوثق المصادر المتوفرة لديه، لذلك

لم تترك لنا منتدحاً عن الإذعان بها بأن هذا المشهد القائم في شرقي قرية «ذي الكفل» واقع في محل الكناسة.

ويشهد له أن الصلب وأشباهه مما يقصد فيه الإرهاب وتمثيل قوة البأس وشدة السلطان لا يكون إلا في المحتشدات العامة ومختلف زرافات الناس وهذا الموضع قريب من النخيلة، وهي العباسية في كلام ابن نما، والعباسيات اليوم، ولا شك أن النخيلة كانت باب الكوفة للخارج إلى الشام والمدائن وكربلاء، ومن هنا عسكر فيها (علي) لما خرج إلى صفين، وعسكر (الحسن) لما خرج إلى معاوية، وعسكر ابن زياد لما جهز الجيوش لحرب (الحسين)، فناسب أن يكون الصلب في الموضع العام أو بالقرب مِنْهُ على ألا يفوت الغرض المقصود من الإرهاب وإراءة الغلبة وقوة السلطان. وهذا الاعتبار يؤيد ما أرسله السيد المتتبع. وبقي تحديد الموضع الذي دفن فيه قبل النبش والإخراج على ذمة التأريخ وسعة المنقب.

زمان الصلب

لم يختلف المؤرخون في بقاءه مرفوعاً على الخشبة زمناً طويلاً حتى اتخذته الفاخنة وكرأ^(١) تنعى لرسول الله ﷺ العدل والإصلاح والمكارم والإباء وإنما كان الخلاف في تحديد تلك المدة، وكل يرتئي قدراً حسب القرائن المتوفرة لديه، والمتحصل من كلام المؤرخين آراء ستة (أ) ستة أشهر. (ب) سنتان. (ج) ثلاث سنين (د) أربع سنين (هـ) خمس سنين (و) ست سنين^(٢). ولعل السر في اختيار الأول والثاني الاعتماد على ما يحدث به بعض المؤرخين من أن هشاماً هو الذي أمر بإحراقه، كما يمكن أن يكون الوجه في اختيار الثالث والرابع مقايسة اختيار سنة

(١) منتخب الطريحي.

(٢) الأول والثاني حكاهما في الحقائق الوردية، والثالث يظهر من ابن جرير، والرابع رأي الشيخ المفيد، والمسعودي، وأبي الحسن الديار بكري، والخامس نص الصبان في إسعافه؛ والسادس أرسله النسابة العمري في المجدي.

الشهادة إلى تصحيح الحديث الحاكي أمر الوليد بن يزيد بن عبد الملك^(١) بإحراقه عند ظهور يحيى بن زيد سنة ١٢٥ :

(١) اشتهر الوليد هذا بالزنديق والفساق إذ لم يكن أحد أشد مجوناً واستخفافاً بأمر الأمة منه. وفي حديث النبي ﷺ دلالة عليه: «الوليد أشد على هذه الأمة من فرعون لقومه» بهذا يحدث أحمد في المسند: ج ١، ص ١٨. ولم يخرج عليه الناس إلا لاشتهاره بالمنكرات، وتظاهره بالكفر والزندقة، وليس كل هذا بعجيب مع ما هو عليه من انتهاك محارم الله وإقباله على اللهو والتلذذ مع المغنين، ولكن العجب من الحافظ ابن حجر حيث عده في (فتح الباري) من خلفاء النبي ﷺ الاثني عشر الذين يعملون بالهدى ودين الحق وبهم قام الدين، وما أدري كيف رآه صالحاً للقيام على الدين وتولي أمور المسلمين ونشر العدل وقمع الفساد وكل واحد يقرأ في الأغاني: ج ٦ ص ٩٩ بترجمته قوله لما أتمته الخلافة: والله لأتلقين هذه النعمة بسكرة قبل الظهر، ثم أنشأ:

طاب يومي ولذ شرب السلافه إذ أتاني نعي من بالرصافه
وأنا البريد ينعي هشاماً وأنا بخاتم للخلافه
فاضطبحنا من خمر عانة صرفاً ولهونا بقينة عزافه
ثم أخذ يشرب ويسكر. وأرسل الماوردي في أدب الدنيا والدين، والمسعودي في مروج الذهب، وأبو الفرج في الأغاني بترجمته، وابن عبد ربه في العقد الفريد، نصبه المصحف غرضاً للسهام لما تقال به وخرج قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ وقال:

أتوعد كل جبار عنيد أجل أنا ذاك جبار عنيد
إذا ما جئت ربك يوم حشر فقل يا رب مزقني الوليد
ويحدث في تاريخ الخميس: ج ٢، ص ٣٥٢: أنه دخل على ابنته فأعجبته=

كتب إلى يوسف بن عمر: إذا أتاك كتابي فأنزل عجل أهل العراق وأنسفه في اليم نسفاً، فلما وقف على الكتاب أمر خراش ابن حوشب فأنزله من جذعه وأحرقه بالنار وجعله في قواصر وحمله في سفينة وذراه في الفرات. وفي حديث أبي حمزة الشمالي بعد أن أحرقه دق عظمه بالهواوين وذراه بالعريض من أسفل العاقول، وإذا كان العاقول موضعاً قريباً من الفرات أمكن أن يتفق الحديثان بأن بعضه ذري في البر وبعضه في الفرات. ولعل ما في تذكرة الخواص من أن رماده ذروه في الماء والريح،

= فبرك عليها وأزال بكارتها فقالت له دادتها: هذا فعل المجوس فأنشد: من راقب الناس مات غمماً وفاز باللذة الجسور ويقول المسعودي، وأبو الفرج في الأغاني، والأندلسي في العقد الفريد؛ والدميري في حياة الحيوان بمادة (الأوز)، أنه نكح إحدى جواريه فجاء المؤذنون يؤذنون بالصلاة فحلف ألا تخرج إلا هذه الجارية فأخرجها متلثمة لابسة ثيابه وهي جنب فصلت بالمسلمين جماعة، ويزيد الأخير في حديثه أنه اصطنع بركة خمر فكان يلقي نفسه فيها، ويشرب منها. ويحكي المسعودي عن المبرد أنه ألحد في قوله:

تلعب في الخلافة هاشمي بلا وحي أتاه ولا كتاب
فقل لله يمنعني طعامي وقل لله يمنعني شرابي
ومخازيه أكثر من هذا يعرفها من له إمام بالسيرة ولم أقصد بهذا اليسير إلا
أن يعرف القراء موقف هذا المتهتك من شريعة محمد ﷺ وكيف ساغ لذلك
الحافظ عدّ الفاسق في خلفاء النبي ﷺ الذين أخبر عنهم بأنهم قوام الشريعة
وأن الدين لن يزال محفوظاً ما داموا قائمين عليه.

وقول ابن خلكان في ترجمة الهيثم بن عدي من (الوفيات) ذري
رماده في الرياح على شاطئ الفرات يشير إلى هذا المعنى . ولم
نعرف الوجه في تعيين القول الخامس والسادس .

زيد والكرامة

تمهيد

إن للنفس قوة فعالة تكون علاقتها بالجسم علاقة تصرف وتدبير وهي قبل التعلق بالجسم على شرع سواء في أفراد ما يمكن تعلقها به، وإذا اختصت بجسم شغلته تلك العلاقة عن غيره لما تكتسبه من شوائب جسمانية، وبعد ذلك فهي معترك القوتين العقلية والشهوية، فإذا نجحت الشهوية تدهورت بها إلى مهاوي الجهل ومساقط الشره، وإن سعدت بظفر العقلية تقدمت بقواها الخاصة لها من التصرف والتدبير وتدرجت في الرقي إلى ساحة التجرد المحض مهما أخذ صاحبها في الرياضة وتجريدها عن الممازج والخليط حتى تكاد تعود إلى سيرتها الأولى الملحقة لها بساحة القدس بحيث لم يبقَ لها غير الإشراق المفيض على صاحبها القوة والعمل الإرادي وهي في هذا الحال تجد العالم كجسم واحد مضاف إليها وتجد من نفسها مقدرة التصرف

والتدبير حسب حال صاحبها في الاجتهاد والرياضة . وهذه الحالة سواء في النفس في حالتي الموت والحياة فإن النفس بعد الموت لا تفنى ، بل هي في الحقيقة أولى بالقوة لانقطاع العلائق الجسمانية عنها بتاتاً .

هكذا كانت نفوس الأنبياء ، والأوصياء ، والأولياء حسب ما تسعه ظروفهم ، فبتلك القوة كانوا يخلعون عن الأشياء صوراً ويلبسونها أخرى فتسمى خارقة للعادة ، وهذه الخوارق إن صدرت من النبي والوصي برهاناً لدعواه وتثبيتاً لحجته فمعجزة وإلا فكرامة ومثلها ما يصدر من الولي .

ومن هذا الباب ما صدر من [زيد الفضائل] من الكرامات الباهرة والآيات البينة بالرغم من جد الأمويين إلى محق آثار العلويين حتى قيصوا لمكافحة أمرهم من العمال من كان معروفاً بالغلظة والشراسة إخفاءً للعدل ، وإطفاءً لنور الحق (ويأبى الله إلا أن يتم نوره) .

قصدوا بقتل زيد وصلبه إذلال العلويين حتى افتخر بذلك شاعرهم فقال :

صلبنا لكم زيدا على جذع نخلة ولم نر مهدياً على الجذع يصلب
وقد فاتهم أن كبراء الرجال ومصلحي الأمة شأنهم الشنق
والقتل والتبعيد والطرْد ولا يلحقهم من ذلك عار وهوان ، وأنَّ

القتل في سبيل إحياء دين النبي ﷺ وإصلاح أمته وإقامة العدل فيها من أرفع درجات الشهادة ولم يزد العلويين إلا نشاطاً على العمل وثباتاً في الدعوة ولو لم يكن [زيد الخير] بالمنزلة التي ذكرناها لما ظهرت منه آيات وكرامات لا تصدر إلا من أولياء مخلصين ورجال بذلوا أنفسهم في سبيل إظهار الحق وإعلاء كلمته ومن هذه الكرامات نستدل على إخلاصه في العمل وصدقه في النية وبعده فإن كان داعياً إلى نفسه ومعرفاً للملأ استحقاقه للإمامة فلا بد من مشايعته على ذلك والسكون إلى قوله، وإن شاهدناه ناطقاً بلا تورية ولا مجاز بأنه من عترة النبي ﷺ ومن أهل البيت فقط، وأن الأئمة الذين نص النبي ﷺ عليهم بالخلافة معروفة أسماؤهم وذكرها لولده يحيى فلا يوهمنا حينئذ شيء من هذه الكرامات في القول باستحقاقه الوظيفة التي لا يقوم بها إلا نبي أو وصي نبي.

ما هي الكرامات

أثبت حفاظ الآثار من كراماته عشراً:

(١) في تاريخ الشام: ج٦، ص٢٥، وتاريخ الخميس: ج٢، ص٣٥٧، والصواعق المحرقة: ص١٠١، وإسعاف الراغبين للصبان وعمدة الطالب وسبك الذهب لابن معية: كانت العنكبوت تنسج على عورته فتسترها، وفي الحقائق الوردية إذا أصبح أهل الكوفة ورأوا النسيج هتكوه بالرماح فإذا جاء الليل نسجت العنكبوت عليه.

(٢) في مقاتل أبي الفرج صلبوه عرياناً فارتخى بطنه من قدامه وظهره من خلفه حتى سترت عورته من القبل والدبر، ولعل هذا بعد أن صنعوا ذلك في نسج العنكبوت.

(٣) في تاريخ الشام: ج٦، ص٢٥، وحياة الحيوان للدميري بمادة [العنكبوت] لما صلبوه وجهوا وجهه إلى جهة الفرات فدارت خشبته إلى ناحية القبلة حتى فعلوا ذلك مراراً.

(٤) في أمالي الشيخ الطوسي قدم الكوفة رجل من بلنجر بعد قتل زيد فقال ألا ترون إلى هذا الفاسق ابن الفاسق كيف قتله الله فلم يلبث أن رماه الله بقرحتين في عينيه فطمس الله بهما بصره فقال أبو زط الكوفي احذروا أن تتعرضوا لأهل هذا البيت إلا بخير.

(٥) في الحقائق الوردية مرت على خشبته امرأة فرأته عرياناً فرمت عليه بخمارها فالتث بمشيئة الله تعالى وستره فصعدوا له وحلّوه.

(٦) فيها أقبل رجلان من بني ضبة ويد كل واحد منهما في يد صاحبه حتى قاما بحذاء الخشبة فضرب أحدهما بيده على الخشبة وهو يقول إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف فذهب لينحي يده فانتثرت فيها الآكلة ووقع على شقه فمات.

(٧) فيها يحدث شبيب بن غرقد قال قدمنا الكوفة من الحج فدخلنا الكناسة ليلاً فلما كنا بالقرب من خشبة زيد أضاء الليل، فلم نزل نسير نحوها فنفحت منها رائحة المسك، فقلت لأصحابي هكذا توجد رائحة المصلوبين، وإذا بهاتف يقول هكذا توجد رائحة أولاد النبيين، الذين يقضون بالحق وبه يعدلون.

(٨) فيها أن رجلاً مر على خشبته فوضع اصبعه عليها وقال هذا جزاء الفاسق ابن الفاسق فغاصت اصبعه في كفه .

(٩) فيها أن عرزمة أخت كنانة الأسدى جلس في مجمع الأسديين بالقرب من خشبة زيد، فكان يلتقط حصيات ويرمي بها زيدا يصنع ذلك كل يوم، يقول إسماعيل بن اليسع العامري: فوالله الذي لا إله غيره ما مات حتى رأيت عينيه مرقودتين كأنهما زجاجتان خضراوان .

(١٠) فيها لما ذري رماده في الفرات استدار كهالة القمر وضاء هذا ما حفظه أرباب الآثار في جوامعهم، ولا إخال كل من تتلى عليه إلا ويتجلى له عمود الحق وترتفع عنه غشاوة كل شبهة، فيحفظ لبطل النهضة الهاشمية، ومصلح الأمة الإسلامية مقامه الرفيع بين المستشهدين في سبيل قلع الفساد .

الرأس المقدس

لما قطع يوسف بن عمر رأسه بعث به وبرؤوس أصحابه إلى هشام بن عبد الملك مع زهرة بن سليم، وفي ضيعة أم الحكم ضربه الفالج فانصرف وأتته جائزته من هشام^(١)، ودفع هشام لمن أتاه بالرأس عشرة دراهم، ونصبه على باب دمشق^(٢) ويروى^(٣) أنه ألقى الرأس أمامه فأقبل الديك ينقر رأسه فقال بعض من حضر من الشاميين:

اطردوا الديك عن ذؤابة زيد فلقد كان لا يطاه الدجاج
وقال المبرد في الكامل^(٤) قائل هذا البيت بعض الشيعة فإنه رأى يوسف بن عمر الثقفي ألقى الرأس الطاهر إلى الديك ينقره.

(١) المقاتل لأبي الفرج.

(٢) الخطط المقرزية: ج ٤، ص ٣١٣.

(٣) الحقائق الوردية.

(٤) ج ٣، ص ٢٤٧.

بعث هشام بالرأس من الشام إلى مدينة الرسول ﷺ فنصب عند قبر النبي ﷺ يوماً وليلة^(١). وكان العامل على المدينة «محمد ابن إبراهيم بن هشام المخزومي»، فتكلم معه ناس من أهل المدينة أن ينزله فأبى ذلك، فضجت المدينة بالبكاء من دور بني هاشم وكان كيوم الحسين عليه السلام، ونظر إلى الرأس كثير بن المطلب السهمي فبكى وقال: نَصَّرَ الله وجهك أبا الحسين وقتل قاتليك، وكان كثير يميل إلى بني هاشم لأن أم أبيه المطلب، أروى بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، فقال له الوالي بلغني عنك كذا وكذا، قال هو كما بلغك، فحبسه وكتب إلى هشام بن عبد الملك يخبره فقال كثير وهو في الحبس^(٢):

إِنَّ امراً كانت مساويه حب النبي لغير ذي ذنب
وكذا بني حسن ووالدهم من طاب في الأرحام والصلب
ويرون ذنباً أن أحبكم بل حبكم كقارة الذنب

وحدث عيسى بن سودة قال: كنت بالمدينة لما جيء برأس زيد ونصب في مؤخر المسجد على رمح وأمر الوالي فنودي في المدينة برئت الذمة من رجل بلغ الحلم لم يحضر المسجد فحضر الناس الغرباء وغيرهم ولبثوا سبعة أيام كل يوم يخرج الوالي

(١) النفحة العنبرية مخطوط.

(٢) الحقائق الوردية، تقدمت رواية الجاحظ لها بتغيير يسير.

فيقوم الخطباء من الرؤساء فيلعنون علياً والحسين وزيداً وأشياعهم، فإذا فرغوا قام القبائل عربيههم وعجميههم، وكان بنو عثمان أول من قام إلى ذلك حتى إذا صلى الظهر انصرف وعاد بالغد مثلها سبعة أيام، وفي بعضها قام رجل من قریش يقال له محمد بن صفوان الجمحي فأمره الوالي بالجلوس ثم عاد من غير أن يدعى فقال له الوالي اقعد فقال إن هذا مقاماً لا يقدر عليه أحد فأذن له الوالي في الكلام فأخذ في خطبته ولعن علياً وأهل بيته والحسين وزيداً ومن يحبهم، فبينما هو كذلك إذ وضع يده على رأسه ووقع على الأرض فظننت أن خطبته انقضت فتبينته وإذا به يصيح من رأسه ولم يزل كذلك حتى ذهب بصره^(١).

وقام رجل من شعراء الأنصار بحيال رأس زيد وهو منصوب بالمدينة فقال^(٢):

ألا يا ناقض الميثا ق أبشر بالذي ساكا
نقضت العهد والميثا ق قدماً كان قدماكا^(٣)
لقد أخلف إبليس الذي قد كان مناكا
ف قيل له أتقول هذا لمثل زيد، فقال إن الأمير غضبان وأردت

(١) الحقائق الوردية .

(٢) تاريخ الطبري : ج ٨ ، ص ١٧٨ .

(٣) هكذا وجدته مثبتاً .

أن أرضيه، فرد عليه بعض شعراء المدينة:

ألا يا شاعر السوء لقد أصبحت أفاكا
تسبّ ابن رسول الله وترضي من تولاكا^(١)
ويوم الحشر لا شك بأن النار مثاكا

ثم سير الرأس الشريف إلى مصر، فنصب بالجامع فسرقه أهل مصر ودفنوه في مسجد محرس الخصي، قال الكندي في كتاب الأمراء: قدم إلى مصر سنة اثنتين وعشرين ومائة أبو الحكم ابن أبي الأبيض القيسي خطيباً برأس زيد بن علي يوم الأحد لعشر خلون من جمادى الآخرة واجتمع عليه الناس في المسجد. وذكر الشريف محمد بن أسعد الجواني في كتاب الجوهر المكنون في ذكر القبائل والبطون أن رأس زيد بن علي دفن بمصر بين الكومين بطريق جامع ابن طولون وبركة الفيل، وهذا المسجد يعرف بمسجد محرس الخصي وهو مشهد صحيح لأنه طيف به بمصر ثم نصب على المنبر بالجامع سنة اثنتين وعشرين ومائة. ويحدث ابن عبد الظاهر أن الأفضل أمير الجيوش لما بلغته حكاية رأس زيد بن علي أمر بكشف المسجد وكان وسط الأكوام ولم يبق من معالمه إلا محراب فوجد هذا العضو الشريف، وقال محمد بن منجب بن الصيرفي حدثني فخر الدين أبو الفتوح ناصر

(١) كان في البيت خروج عن الوزن فأصلحناه.

الزبيدي خطيب مصر وكان من جملة من حضر الكشف، أنه رأى في جبهة زيد أثراً في سعة الدرهم فضمخ وعطر وحمل إلى داره حتى عمر هذا المشهد، وكان كشفه يوم الأحد تاسع عشر ربيع الأول سنة خمسمائة وخمس وعشرين^(١) وفي (العدل الشاهد) لتحقيق المشاهد للسيد عثمان مدوخ الحسيني الشافعي^(٢) يزار مشهد زيد بمصر يوم الأحد من كل أسبوع يقصده عامة الناس ليلاً ونهاراً وله مولد في كل عام يحضره كل الناس.

(١) الخطط المقرية: ج ٤، ص ٣٠٦.

(٢) ص ٩١.

هشام وآل أبي طالب

لما قتل زيد نصب هشام بن عبد الملك العداوة لآل أبي طالب وشيعتهم وأمر عماله بالتضييق عليهم ومحق آثارهم بالحبس والتباعد عن الأوطان والفتك بهم وحرمانهم عطاءهم . كتب إلى عامله بالكوفة يوسف بن عمر الثقفي أن يأخذ الكميت بن زيد الأسدي ويقطع لسانه ويده لأنه رثى زيد بن علي بقصيدة وفيها يمدح بني هاشم^(١)

وزاد على ذلك أنه كلف آل أبي طالب البراءة من زيد فقام بذلك خطباؤهم مكرهين مقهورين ، وممن أقهر على ذلك عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الطيار ، وكان شاعراً لسنأ خطيباً ناسباً .

وقام عبد الله المحض^(٢) فأوجز في كلامه فانصرف الناس

(١) الأغاني : ج ٦ ، ص ١٠٨ ، وج ١٥ ، ص ١١٠ .

(٢) ولد عبد الله بن الحسن المثنى بالمدينة في بيت فاطمة الزهراء سنة ٧٠ ، وكنيته أبو محمد ، ولقبه المحض لأنه أول من جمعت له ولادة =

= (الحسين) فإن أباه الحسن بن الحسن السبط، وأمه فاطمة بنت الحسين السبط، ومن هنا كان يقول: ولدني رسول الله مرتين؛ وكان أكبر أخويه لأمه وأبيه الحسن المثلث وإبراهيم، تزوج من ثلاث (أ) قريبة بنت ذبيح بن أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قسي، ولدت يحيى صاحب الديلم وزاد سبط ابن الجوزي سليمان. (ب) عاتكة بنت عبد الملك بن الحارث الشاعر ابن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي، ولدت إدريس وعيسى وسليمان، أبدله ابن الجوزي بداود. (ج) هند عمة قريبة؛ ولدت محمداً قتيل أحجار الزيت، وإبراهيم قتيل (باخمري) وموسى الجون وزينب وزاد الواقدي إدريس وهارون وفاطمة ورقية وأم كلثوم. وعبد الله هذا شاعر خطيب قوي النفس شجاع له هبة ولسان فصيح. عده الشيخ الطوسي في رجاله من أصحاب الصادق (عليه السلام) وأضاف ابن داود في رجاله الباقر (عليه السلام) وتضارب الحديث في مدحه وذمه، وفي الفصل المتعلق بيوم عاشوراء من (الإقبال) رجح ابن طاووس أحاديث المدح، وحمل أحاديث مفارقتها للصادق على التقية، وأيده بما جاء في حديث فاطمة ابنة الحسين عن أبيها: يقتل منك نفر بشط الفرات ما سبقهم الأولون ولا يدركهم الآخرون ولم يبقَ من ولدها غيرهم.

وفي حديثها الآخر عن أبيها: يدفن من ولدك سبعة بشط الفرات لم يسبقهم الأولون ولا يدركهم الآخرون. ويؤيده حديث الصادق للحسن بن راشد وفيه أن فاطمة لعظمها على الله حرم ذريتها على النار، ولا يخرج أحدنا من الدنيا حتى يقر لكل ذي فضل فضله. وحدث أبو سعيد المكاربي عن الصادق، قال تناول بعض من حضر مجلسه عمه زيدا فأنتهره أبو عبد الله وقال: مهلاً ليس لكم أن تدخلوا فيما بيننا إلا بسبيل خير إنه لم تمت =

= نفس منا إلا وتدركه السعادة قبل أن تخرج نفسه ولو بفواق ناقة والفواق حلابها. وعلى هذا فلا يصح القدح والتعرض لأولاد الأئمة إلا من ثبت الحكم بكفرهم والتبري منهم.

لم يزل عبد الله هذا في ضيق وضنك أيام المنصور بسبب ابنيه محمد وإبراهيم حبسه بالمدينة في دار مروان، وبقي محبوساً ثلاث سنين، ولم يكتف به حتى حبس من بني الحسن ما يزيد على الخمسة عشر، ولم يزل بهذا إلى أن حج المنصور سنة ١٤٤، فأمر واليه على المدينة (رياح بن عثمان) أن يحملهم إلى (الربذة) مقيدين مغللين، فحملهم على غير وطاء ومعادل كل واحد منهم جندي قال ابن جرير مروا بهم على الصادق جعفر ابن محمد عليه السلام وهو ينظر إليهم من وراء ستر رقيق فجرت دموعه وقال: والله لا يحفظ الله حرمة بعد هؤلاء وجيء بهم إلى المنصور مكتفين عراة وأوقفوا في الشمس فقال له عبد الله هذا (ما هكذا فعلنا بأسراكم يوم بدر) فأطرق برأسه وثقل عليه هذا التلميح والإشارة وأمر بهم أن يحملوا إلى العراق فحبسوا (بالهاشمية) عند قنطرة الكوفة في سرداب ما كانوا يعرفون فيه الليل والنهار؛ ولم يكن عندهم ماء للطهور فكانوا يبولون ويتغوطون في مواضعهم حتى اشتدت عليهم الرائحة، وبعد أن مضى عليهم في الحبس ستون ليلة جاء أمر المنصور بقتلهم فدفن إبراهيم بن الحسن حياً ومحمد ابن إبراهيم بن الحسن بني عليه اسطوانة، وبعضهم سقي السم وفي تذكرة الخواص ردم عليهم الحبس فماتوا فيه. أما عبد الله المحض فمات مخوقاً، وفي مقاتل أبي الفرج طرح عليه بيت، وشهادته يوم عيد الأضحى سنة ١٤٥ هـ عن ٧٥ سنة. وقبره في موضع الحبس مع جماعة من بني الحسن تعرف قبورهم بالسبعة.

وهم يقولون ابن الطيار من أخطب الناس ، فقليل لعبد الله بن الحسن ذلك قال لو شئت أن أقول لقلت ولكن لم يكن مقام سرور وإنما كان مقام مصيبة بهذا يحدث الحصري في [زهر الآداب] وهو مِنْهُ غفلة فإن [المحض] لم يأت الكوفة بعد قتل زيد ، فالقهر على البراءة من زيد يصح من عامل المدينة حيث فيها المحض وابن الطيار .

وكتب هشام إلى عامل المدينة أن يمنع أهل مكة والمدينة عطاءهم سنة لأنه عرف منهم الميل إلى زيد وأظهروا الحزن يوم مجيء خبره . وكتب إلى عامل البصرة - القاسم بن محمد الثقفي - أن يشخص من كان هناك من بني هاشم إلى المدينة ، وكتب إلى عامله بالمدينة أن يحبس قوماً منهم ويعرضهم كل أسبوع مرة ويقيم لهم الكفلاء ألا يخرجوا . فقال الفضل بن عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب من قصيدة طويلة :

كلما أحدثوا بأرض نقيقاً	ضمنونا السجون أو سيرونا
أشخصونا إلى المدينة أسرى	لا كفاهم ربي الذي يحذرونا
خلفوا أحمد المطهر فينا	بالذي لا يحب واستضعفونا
قتلونا بغير ذنب اليهم	قاتل الله أمة قتلونا
ما رعوا حقنا ولا حفظوا	فينا وصاة الإله بالأقربينا
جعلونا أدنى عدو إليهم	فهم في دمائهم يسبحونا
أنكروا حقنا وجاروا علينا	وعلى غير إحنة أبغضونا

لم نزل في صلاتهم راغبينا
 نا وكانوا عن الهدى ناكثينا
 منا وردوا نصيحة الناصحين
 ي فلم يتبعهم الجاهلون
 من أناس فيصبحوا ظاهرينا
 قد أخافوا وقتلوا المؤمنين
 الخيل عليها الكماة مستلئمين
 ينصرون للإسلام مستنصرينا
 وكانوا لربهم ناصرينا
 بأكف المعاصر الثائرينا
 ثم قتلتموهم ظالمينا
 اليقظان وابن البديل في آخرينا
 أنتم في قتالهم فاجرونا
 لي رشيداً وميثماً والذين
 من بني هاشم وردوا حسينا
 معهم في العراء ما يدفنونا
 ثم عثمان فارجعوا عازمين
 كل من قد قتلتم أجمعينا
 منكم غير ذلكم قابلينا

غير أن النبي منا وأنا
 إن دعونا إلى الهدى لم يجيبوا
 وأمرنا بالعرف لم يسمعوا
 ولقدماً ما رُدَّ نصح ذوي الرؤ
 فعسى الله أن يديل أناساً
 فتقر العيون من قوم سوء
 ليت شعري هل ترجعن بي
 من بني هاشم ومن كل حي
 في أناس آباؤهم نصروا الدين
 تحكم المرهفات في الهام منهم
 أين قتلى منهم بغيتهم عليهم
 أرجعوا هاشماً وردّوا أبا
 وارجعوا ذا الشهادتين وقتلى
 ثم ردوا أبا عمير وردوا
 قتلوا بالطف يوم حسين
 أين عمرو وأين بشر وقتلى
 أرجعوا عامراً وردّوا زهيراً
 وارجعوا هانياً وردوا إلينا
 لن تردوهم إلينا ولسنا

زوجاته

تزوج ستاً من النساء أولهن ريطة بنت أبي هاشم عبد الله ابن محمد بن الحنفية، وأمها ريطة بنت الحارث بن نوفل بن الحارث ابن عبد المطلب، وأمها بنت المطلب بن وداعة السهمي، وكانت ريطة بنت أبي هاشم من سيدات نساء بني هاشم ومجيداتهن، روت الحديث عن أبيها وبعلمها^(١)، وهي التي عناها أبو ثميلة الأبار^(٢) بقوله^(٣):

فلعل راحم أم موسى والذي نجاه من لجج خضم مزبد
سيسر ريطة بعد حزن فؤادها يحيى ويحيى في الكتائب مرتدي
والثانية والثالثة من أهل الكوفة، تزوجهما أيام إقامته في

(١) المجدي في النسب.

(٢) مقاتل أبي الفرج في مقتل يحيى.

(٣) الروض النضير: ج ١، ص ٦٣، اسمه صالح بن ذبيان وكان ممن سمع الحديث من زيد ورواه عنه.

الكوفة ويظهر من ابن خلدون^(١) أنه تزوج في الكوفة بأكثر من اثنتين، والكوفيتان واحدة ابنة يعقوب بن عبد الله السلمي أحد بني فرق، والثانية ابنة عبد الله بن أبي العنس الأزدي، وهذه ولدت له بنتاً ماتت في أيامه^(٢). والثلاثة الأخر أمهات أولاد.

(١) العبر: ج ٣، ص ٩٩.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٨، ص ٢٦٧.

أولاده

اتفق أهل النسب وغيرهم على أنه لم يخلف إلا أربعة بنين وليس له أنثى، وهم يحيى أمه ريطة بنت أبي هاشم، وعيسى أمه أم ولد نوية اسمها سكن^(١)، والحسين ذو الدمعة أمه أم ولد^(٢)؛ ومحمد وهو أصغرهم أمه أم ولد من السند^(٣). وفي أمالي ابن الشيخ الطوسي ص ٢٢٣ حديث أسند إلى جعفر بن زيد بن علي ابن الحسين عليه السلام فهل لزيد ولد خامس، وقد يؤيده أن أبا الحسن العمري عد جعفرًا في أولاده ولكن المتأمل في كلمات أهل النسب والتراجم والرجال يعرف التغير العارض على سند هذا الحديث وهذا التغير إما بإسقاط رجلين بين جعفر وزيد، فيكون جعفر الموجود في سند الحديث ابن محمد بن محمد بن زيد وإما بإسقاط رجل واحد وهو محمد بن زيد وتقرير الداودي في [عمدة

(١) سر السلسلة العلوية.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) عمدة الطالب.

الطالب] يدلنا على إسقاط رجلين قال: وأعقب محمد من جعفر الشاعر وحده، وأعقب جعفر من ثلاثة أحدهم أحمد، وأعقب أحمد من أربعة أحدهم محمد الأصغر، ومن عقب محمد الأصغر حمزة، فتكون سلسلة النسب على تقدير الداودي بين حمزة وزيد هكذا [حمزة بن محمد بن أحمد بن جعفر بن محمد ابن محمد بن زيد بن علي بن الحسين] ونحن إذا قرأنا السند الموجود في [الأمالي] وجدنا السند كذلك سوى الاسمين الساقطين، وإليك السند بنصه ليتضح الحال:

«قال الشيخ أبو علي الحسن بن محمد بن الحسن الطوسي حدثني أبي عن أبي الفتح هلال بن محمد بن جعفر الحفار عن أبي سليمان محمد بن حمزة بن محمد بن أحمد بن جعفر بن زيد ابن علي بن الحسين بن أبي طالب (عليه السلام) وذكر الحديث.

ومن إهمال علماء الرجال لمحمد بن حمزة بن محمد بن أحمد الموجود في سند [الأمالي] ينكشف الخطأ مرة ثانية، فإن علماء الرجال ذكروا حمزة بن محمد بن أحمد بن جعفر فقط، وأثبوا عليه وأطروه بكل جميل، وفي تعليقه الأغا البهبهاني: غير خفي جلالته، وترضي الصدوق عنه وإكثاره الحديث عنه يعرفنا علو منزلته، وذكر نسبه في المجلس ٤٥ من [الأمالي]، قال: [حدثنا حمزة بن محمد بن أحمد بن جعفر بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)]. وحصر المجلسي

في البحار عند ذكر أولاد السجاد عليه السلام عقب محمد بن زيد في ابنه جعفر فعلى نصه وتقرير الأمالي يكون التغيير بإسقاط رجل واحد وهو محمد بن زيد وحيث انتهى السير بنا إلى هنا رأينا من المناسب جداً التعرض لسيرة أولاده الأربعة.

[١] يحيى بن زيد

ولادته، أولاده، صفته، شجاعته، عتابه بني هاشم

ولد سنة مائة وسبع من الهجرة وقتل سنة مائة وخمس وعشرين وعمره ثماني عشرة سنة^(١)، ولا عقب له، وعليه الكثير من علماء النسب. وفي أنساب الشيخ أبي الحسن الفتوني له ولد اسمه الحسين ولم يعقب، وفي ترجمته من [الحدائق الوردية] نقلاً عن سر السلسلة العلوية عن أبي طالب قال: الذي أجمع عليه أهل النسب من الطالبين أنه ولد ليحيى أم الحسن وهي حسيبة وأمها محنة بنت عمر بن علي بن الحسين، وقال غيرهم: له أحمد والحسن والحسين درجوا صغاراً وأم الحسين درجت صغيرة وأجمعوا على أنه لا عقب ليحيى.

بهذا يحدث في الحدائق الوردية، ولا يتفق مع تقدير عمره

(١) عمدة الطالب وشرح الصحيفة للسيد علي خان.

بثمانى عشرة سنة إلا أن يكون متزوجاً بنساء متعددة ولم يذكر أحد ذلك. وفي الروض النضير^(١) عن الهيثم لم يعقب يحيى بن زيد ولعله يريد لم يبق له عقب.

وكان حسن الوجه أبيض البشرة قشط الشعر قوي النفس شجاعاً مقداماً لا ترهبه الكثرة ولا تثنيه الوحدة. ومن كلامه في بعض مواقفه: عباد الله إن الأجل يحضره الموت والموت طالب حيث لا يفوته الهارب ولا يعجزه المقيم فاقدموا رحمكم الله إلى عدوكم والحقوا بسلفكم اقدموا إلى الجنة فإنه لا شرف أشرف من الشهادة فإن أشرف الموت قتل في سبيل الله. ومن شعره في عتاب بني هاشم لتخلفهم عن نصرته^(٢):

خليلي عنا بالمدينة بلغا بني هاشم أهل النهى والتجارب
فحتى م مروان يقتل بينكم سراتكم والدهر فيه العجائب^(٣)
لكل قتيل معشر يطلبونه وليس لزيد في العراقيين طالب

(١) الروض النضير: ج ١، ص ٦٨.

(٢) الحدائق الوردية.

(٣) اختلفت هذه القافية وما بعدها عن سابقتها بالرفع والجبر وهذا من الصرف غير الجائز إلا في شعر العرب.

موالاته للأئمة عليهم السلام

لم يذكر علماء الرجال ترجمته لنستفيد مقامه بينهم لعدم معروفة الرواية عنه وشأنهم التعرض لخصوص الرواة. ونحن مع فحصنا في كتب الحديث عن رواياته لم نعثر على أكثر من روايتين. وعلى كل حال فلا يرتاب في موالاته للأئمة الاثني عشر كل من يقرأ قوله المروي في سند الصحيفة السجادية الكاملة حين قال له المتوكل بن هارون البلخي «أهم أعلم [يعني الأئمة] أم أنتم؟ فأطرق - يحيى - إلى الأرض ملياً وقال: كلُّ له علم غير أنهم يعلمون كما نعلم ولا نعلم كما يعلمون» وقوله فيه: «والله يا متوكل لولا ما ذكرت من قول ابن عمي - جعفر - أنني أقتل وأصلب لما دفعتها - الصحيفة - إليك ولكنت بها ضنيناً ولكني أعلم أن قوله حق أخذه عن آبائه وسيصحّ» وقوله للمتوكل في حق الصادق: نعم هو أفقه بني هاشم، وهذه المصارحة تدلنا على اعترافه بإمامة الصادق عليه السلام وحسن عقيدته وتبصره بالأمر. ويؤيده بكاء الصادق عليه وشدة وجده وترحمه له، ولو لم يكن بالمنزلة العالية وكان عاصياً له في الخروج لما بكى عليه وترحم له.

أسباب الخروج إلى خراسان

لما دفن أباه رجع إلى جبانة السبيع وقد ضاقت عليه الكوفة برحبها لما يشاهد من غدر أولئك العتاة وتقاعدهم عن نصره أبيه

وخاف أن يؤخذ غيلة ويؤتى به إلى الوالي، فعزم على التوجه إلى خراسان لأن فيها شيعة وشيعة أبيه وأجداده بعد أن أشار عليه بعض من أصدقهم العهد والميثاق من [بني أسد] فأشار عليه بذلك، واختفى عنده ليلة، ثم خاف الرجل فأتى عبد الملك بن بشر بن مروان، وقال له: إن قرابة زيد بك قريبة وحقه عليك واجب قال أجل ولقد كان العفو أقرب للتقوى قال له: إن زيدا قد قتل وهذا ابنه غلام حدث لا ذنب له وإن علم يوسف بن عمر بمكانه قتله فهل لك أن تجيره فتواريه عندك قال نعم وكرامة فأتاه به وواراه عنده، وبلغ الخبر يوسف بن عمر فأرسل إلى عبد الملك: بلغني مكان هذا الغلام عندك وأعطي الله عهداً لئن لم تأتني به لأكتبن فيك إلى أمير المؤمنين، فقال له عبد الملك: أتاك الباطل والزور كيف أوارى من ينازعني سلطاني وما كنت أخشاك على قبول مثل هذا علي ولا لاستماع ذلك من صاحبه، فقال يوسف: صدق والله ابن بشر وكفّ عن طلبه فلما سكن الطلب خرج يحيى في نفر من أصحابه إلى خراسان.

بهذا يحدث أبو عبيدة معمر بن المثنى^(١) ولم نعرف منه الزمن الذي بقي فيه مختفياً بالكوفة بعد قتل أبيه غير التخمين بالشهر ونحوه ولكن حديث سلم الحذاء^(٢) يعرفنا عدم إقامته

(١) تاريخ الطبري: ج ٨، ص ٢٧٧.

(٢) مقاتل أبي الفرج.

بالكوفة غير تلك الليلة التي دفن فيها أباه وفي صبيحتها سار إلى خراسان. يقول: جاء إليه سلمة بن ثابت الليثي بعد دفن زيد فوجده في عشرة نفر من أصحابه نازلاً في [جبانة السبيع] فسأله عن مقصده قال أريد النهرين فظن أنه يريد نهر دجلة والفرات فقال إن كنت تريد النهرين قاتل ههنا حتى تقتل، فعرفه أنه يريد نهري كربلاء فأشار عليه بالنجاء قبل الصبح خوفاً من الطلب، يقول سلمة فخرجنا معه ولما جاوزنا الأبيات سمعنا الأذان فأسرعنا خوفاً من الطلب وكلما استقبلني قوم استطعمتهم فيطعموني الأرغفة فأطعمه إياها حتى أتينا «نينوى»^(١) فدعوت بسابق فخرج من منزله وأدخل «يحيى» وكان آخر عهدي به هناك.

وسار من كربلاء إلى المدائن وهي يومئذ طريق الناس إلى خراسان وبلغ الخبر يوسف بن عمر، فسرّح في طلبه «حريث بن أبي الجهم الكلبي» فلم يدركه ونزل في المدائن على دهقان من

(١) جاء في مجلة المقتبس: ج ١٠، من المجلد ٧، طبع شوال سنة ١٣٣٠ هـ، أنها إحدى القرى التي كانت بالطف من سواد الكوفة، وكانت عامرة زاهرة بالعلوم والآداب كسائر القرى الإسلامية وصادف عمرانها زمن الصادق عليه السلام «جعفر بن محمد عليه السلام»، ثم أخذت بالانحطاط رويداً رويداً حتى طمست معالمها واندرست آثارها ودخلت في خبر كان في أوائل القرن الثالث الهجري، وموقعها بحسب التحقيق شرقي بلدة كربلاء قريبة من الفرات وهي الآن روابٍ وتلال.

أهلها، ثم سار منها إلى «الري»، ومنها أتى «سرخس» فأقام عند يزيد بن عمر التميمي ستة أشهر، ثم خرج منها ونزل في «بلخ» على الجريش بن عبد الرحمن الشيباني، ولم يزل عنده حتى هلك هشام بن عبد الملك وولي الوليد بن يزيد بن عبد الملك، فكتب يوسف بن عمر إلى نصر بن سيار^(١)، وكان عامله على خراسان أن يأخذ «يحيى» فكتب نصر إلى عامله على «بلخ»، عقيل بن معقل الليثي، أن يأخذ الجريش أو يأتيه [يحيى بن زيد]، فدعا به عقيل وضربه ستمائة سوط وقال لأزهقن نفسك أو تأتيني به، فحلف الجريش ألا يأتيه به ولو كان تحت قدميه ما رفعهما عنه، فقال ابنه [قريش] خلّ عن أبي وأنا آتيك به فوجه معه جماعة إلى الدار التي كان فيها يحيى فوجدوه في بيت جوف بيت فقبضوا عليه ومعه يزيد بن عمرو بن الفضل، مولى لعبد القيس جاء معه من الكوفة، فبعث بهما عقيل إلى نصر بن سيار، فحبسه وقيده، وكتب إلى يوسف بن عمر بخبره، فقال رجل من بني ليث:

(١) هو نصر بن سيار بن رافع من بني جندع بن ليث بن كنانة وهم رهط عبيد بن عمير بن قتادة الليثي، وكان سيار بن رافع مع مصعب بن الزبير فسرقت عيبة له فقطع عبد الرحمن بن سمرة يده فقبل له الأقطع. ونصر هذا ولاه هشام بن عبد الملك خراسان فبقي والياً عليها عشر سنين، ولما وقعت الفتنة خرج يريد العراق فمات في الطريق بناحية ساوة وله عقب ذو عدد «معارف ابن قتيبة: ص ١٨٠».

أليس بعين الله ما تفعلونه عشية يحيى موثق بالسلاسل
 ألم تر ليثاً ما الذي حتمت به لها الويل في سلطانها المتزايل
 لقد كشفت للناس ليث عن استها أخيراً وصارت ضحكة للقبائل
 كلاب عوت لا قدس الله أمرها وجاءت بصيد لا يحل لآكل
 وكتب يوسف بن عمر إلى الوليد بن يزيد بن عبد الملك
 يخبره بأمر يحيى، فكتب إليه الوليد بإطلاقه ومن معه، وكتب
 يوسف إلى نصر بذلك، فأحضره نصر وحذره الفتنة، فقال يحيى:
 وهل في أمة محمد ﷺ فتنة أعظم مما أنتم عليه من سفك الدماء
 فلم يجبه نصر وأطلقه وأمر له بألفي درهم وبغليين.

وجاء جماعة من شيعة يحيى إلى الحداد الذي فك قيده
 وسألوه أن يبيعهم إياه وتنافسوا فيه حتى بلغ عشرين ألف درهم
 فأعطوه المال ودفع إليهم الحديد فاتخذوا منه فصوصاً للخواتيم
 يتبركون به^(١).

ثم إنه سار إلى (سرخس) فكتب نصر بن سيار إلى عاملها
 بإخراجه منها، وكتب إلى عامل (طوس) ألا يدعه يقيم ساعة
 فيها، فسار إلى (ابر شهر) والعامل عليها عمرو بن زرارة، فأعطاه
 ألف درهم وكسوة ومتاعاً، وأشخصه إلى (بيهق)، ولم يقم فيها
 إلا أياماً ورجع إلى «أبر شهر» في سبعين رجلاً وقد اشترى دواباً

(١) المقاتل لأبي الفرج.

حمل عليها أصحابه، وكتب عمرو بن زرارة إلى نصر بن سيار يخبره، فكتب نصر إلى عامل «سرخس» قيس بن عباد البكري، وعامل «طوس» الحسن بن يزيد، أن يمضيا إلى «ابر شهر» وعاملها أمير عليهم فيقاتلوا «يحيى» فاجتمعوا هناك وكان عددهم عشرة آلاف وليس مع يحيى إلا سبعون رجلاً، ويقال سبعمائة^(١)، فقاتلهم يحيى وهزم جندهم، وقتل عامل (ابر شهر) عمرو بن زرارة، واستباح معسكرهم وأصاب دواباً كثيرة وغنائم ثم خرج من ابر شهر ومر (بهرات) والعامل عليها المغلس بن زياد، فلم يتعرض أحدهما للآخر وجازها حتى نزل (الجوزجان)^(٢) فصرح إليه نصر بن سيار سلم بن أحوز^(٣) في ثمانية آلاف فارس من أهل

(١) تذكرة الخواص.

(٢) الجوزجان بالجيم المعجمة بعدها واو ثم زاء معجمة ثم جيم معجمة ثم ألف ونون، اسم كورة واسعة من كور بلخ واقعة بين مرو الروذ وبلخ، ويقال لقصبتها اليهودية.

(٣) ما أثبتناه رواية ابن جرير في تاريخه: ج ٨، ص ٣٠١، والمسعودي في مروج الذهب: ج ٢، ص ١٨٥. وأثبتته أبو الفرج في المقاتل بالراء المهملة بدل المعجمة. واثبتته سبط ابن الجوزي في تذكرته: ص ١٨٩ سالم بن أحرز بالألف بعد السين في سالم. وبالحاء المعجمة بعدها راء مهملة ثم زاء معجمة في أبيه؛ ورواية الشهرستاني في الملل والنحل «أحوز» بالحاء المهملة بعدها واو ثم الزاء المعجمة.

الشام وغيرهم فالتحقوا به في قرية تدعى (أرغوى)^(١) فقاتلوه ثلاثة أيام بلياليها واشتد القتال فقتل جميع من كان مع يحيى وأصيب يحيى بنشابة في جبهته، وقيل صدغيه^(٢)، رماه رجل من موالي (عنزة) يقال له عيسى، وكان مولى لعيسى بن سليمان العنزي^(٣)، فمات من وقته رضوان الله عليه ولعن قاتله وخاذله.

وكانت شهادته وقت العصر يوم الجمعة سنة ١٢٥هـ، وبعث برأسه إلى الوليد بن يزيد بن عبد الملك، فبعثه إلى المدينة وجيء به إلى أمه ريطة بنت أبي هاشم بن محمد بن الحنفية، فقالت حينما نظرت إليه: شردتموه عني طويلاً وأهديتموه إلي قتيلاً صلوات الله عليه وعلى آبائه بكرة وأصيلاً^(٤) والذي احتز رأسه سورة بن محمد الكندي وكان على ميمنة نصر بن سيار. وأخذ سلبه العنزي الذي رماه بالسهم. وصلب على باب مدينة الجوزجان. وبقي مصلوباً طرياً^(٥) إلى أن ظهر أبو مسلم صاحب الدعوة لبني العباس؛ فإنه أنزل جسده وصلى عليه ودفنه هناك

(١) هذه رواية أبي الفرج وفي مروج الذهب «أرعونة» بالألف بعدها راء ثم العين المهملة بعدها واو ثم نون ملحقة بهاء.

(٢) الروض النضير: ج ١، ص ٦٨.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٨، ص ٣٠١.

(٤) عمدة الطالب.

(٥) ينابيع المودة: ص ٣٨١.

وأظهر أهل خراسان النياحة على يحيى سبعة أيام حيث آمنوا على أنفسهم سلطان بني أمية، وفي هذه السنة لم يولد مولود بخراسان إلا سمي بيحيى أو زيد^(١).

(١) مروج الذهب في أخبار الوليد.

[٢] عيسى بن زيد

ولادته، مقدار عمره، سبب تسميته عيسى، كنيته، لقبه

قال أبو نصر البخاري في سر السلسلة كانت ولادة عيسى في المحرم سنة مائة وتسع، ومات بالكوفة سنة تسع وستين ومائة، وعمره ستون سنة، وعليه فيكون له يوم قتل أبيه سنة إحدى وعشرين ومائة، اثنتا عشرة سنة، ويحكي أبو الحسن العمري النسابة في المجدي عن شيخه أبي الحسن أن دينار بن عمران يقول كان لعيسى بن زيد يوم قتل أبيه سنة، ولحسن ذي الدمة أربع سنين، ولمحمد أربعون يوماً. وعليه تكون ولادته سنة عشرين ومائة وإذا كانت وفاته سنة تسع وستين يكون عمره ثمانياً وأربعين سنة. وكثرة الأولاد يصحح رواية البخاري. نعم يتم تقرير العمري إذا كانت وفاته في الثمانين أو التسعين.

ولتسميته بهذا الاسم شأن ذكره أبو الفرج في المقاتل قال:
لما حمل زيد إلى هشام بن عبد الملك كانت أم عيسى معه في

طريقه فنزل دير النصارى ليلاً وصادف نزوله ليلة ميلاد المسيح عليه السلام فضربها المخاض هناك فجاءت بعيسى تلك الليلة فسماه أبوه باسم المسيح.

قد يتخيل القارئ دلالة هذه الحكاية على تلك الدعوة المنسوبة إلى دينار بن عمران الناصة على مقدار عمره يوم شهادة أبيه، فيقال ورد الكوفة سنة حمله إلى هشام وقتل بعد وروده الكوفة بسنة، وإنما يتم هذا الخيال إذا ثبت حمله إلى هشام مرة واحدة، وقد صح حمله إليه مرات ولم نعرف في أيها ولد عيسى فإذا لا تدل الحكاية على ما يقوله دينار بن عمران.

وكني أبا يحيى وأبا الحسين. ولقب مؤتم الأشبال، فإنه لما انصرف من وقعة «باخمري» ومعه أصحابه خرجت عليهم لبوة ومعها أشبالها وتعرضت للطريق فقتلها عيسى فقبل له إنك أيتمت أشبالها، قال: أنا مؤتم الأشبال، فكان أصحابه بعد ذلك يلقبونه به.

فضله وموالاته للأئمة عليه السلام

كان أفضل من بقي من أهله ديناً وورعاً وزهداً مع علم كثير ورواية للحديث قال الحسين صاحب [فخ] لم يكن فينا خير من عيسى بن زيد فلقد كان كثير الذكر لله تعالى^(١)، وكان مقبول

(١) مقاتل أبي الفرج.

النقل عند علماء الرجال، يعرفه كل من يقرأ ترجمته في رجال الشيخ الطوسي، ومنهج المقال لأبي علي الحائري، وكان معدوداً من أصحاب الصادق عليه السلام، وفي وجيزة المجلسي والفائدة العاشرة من خاتمة المستدرک للمحدث النوري: أسند عنه، وقد اصطلح علماء الرجال في التعبير بهذه الكلمة عن جلالة الراوي ووثاقته وقبول قوله، وتزيد الأمر وضوحاً أحاديثه التي خرجها الشيخ الطوسي في [التهذيب]، في باب حكم أولاد المطلقات من الرضاع، وفي باب وصية الصبي، فإنها تشهد باعترافه استحقاق الإمام [الصادق] للإمامة، ولو لم يعرف له ذلك المنصب والوظيفة الإلهية لما أخذ عنه الأحكام الدينية مع ما هو عليه من العلم والعرفان.

ولقد أغرب الشيخ عبد الله المامقاني في رجاله حيث جزم بخبثه وسوء سيرته مستنداً على ما رواه الكليني في [أصول الكافي]، في باب ما يفصل بين دعوى المحقق والمبطل في أمر الإمامة، عن بعض أصحابنا عن محمد بن حسان عن محمد بن زنجويه عن عبد الله بن الحكم الأرمني، عن عبد الله بن إبراهيم الجعفري، عن خديجة بنت عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وذكرت حديثاً طويلاً في خروج ذي النفس الزكية، وفيه ما جرى بين عيسى بن زيد وبين الإمام (الصادق) وتهجم عيسى عليه بالقول الشائن. ولقد سبقه المحدث النوري

في الفائدة العاشرة من خاتمة المستدرک، ولكنه استدرک عليه باستظهار توبته. وليت الشيخ المامقاني سار على أثره ولم يشدد النكير عليه ويقذفه بما هو بريء منه براءة الذئب من ابن يعقوب. فإن تلك الرواية التي اعتمد عليها في الحط من مقام ابن النبي عليه السلام، واهية الدعام لاشتمالها على ثلاثة رجال لم يعتمد عليهم علماء الرجال [أ] محمد بن حسان الضعيف عند النجاشي، وابن الغضائري، وابن داود والعلامة الحلي، ووجيزة المجلسي، والحاوي. [ب] ابن زنجويه بالزاء المعجمة أو الراء المهملة بعدها نون ثم الجيم المعجمة بعدها واو وياء ملحقة بهاء، وهو أبو عمران موسى بن زنجويه، قال النجاشي هو ضعيف له كتاب أكثره عن عبد الله بن الحكم، وضعفه ابن الغضائري وابن داود والعلامة الحلي والمجلسي في الوجيزة، حتى إن الشيخ المامقاني قال بترجمته من رجاله: (وضعفه ظاهر بينهم)، ومن كلام علماء الرجال في حق موسى بن زنجويه، نعرف الخطأ في سند (الكافي) بإبدال موسى بمحمد، فإن محمد بن زنجويه لم يكن له ذكر في كتب الرجال، والموجود موسى بن زنجويه، يدلنا على ذلك روايته عن عبد الله بن الحكم الأرمني، ورواية محمد ابن حسان عنه. [ج] عبد الله بن الحكم الأرمني. قال النجاشي هو ضعيف، وزاد ابن الغضائري، وابن داود، والمجلسي، بأنه مرتفع القول لا يعبأ بما يرويه. هذا حال سند الحديث ومعه كيف يجوز العلم والعرفان

التهجم على أولاد النبي ﷺ بأخبار رجال السوء وحملة الأكاذيب .
غفرانك اللهم من هذه الزلة .

موقفه مع بني العباس

خروجه مع ذي النفس الزكية، وصيته عن قتيل باخمري،
طلب العباسيين له

لم يزل مؤتم الأشبال ناقماً على بني العباس ، لغضبهم
الخلافة من أهلها . وما برح مجاهراً بذلك في محافل العامة
ومختلف زرافات الناس ، مترقباً فرص الأيام في الوثبة على
المنصور حتى إذا أعلن الخروج ذو النفس الزكية^(١) عاضده
ووازره وكان على ميمنته . ولم يثنه ضعف الحق عن مدافعة
الباطل ؛ وتخاذل من بايعهم عن الإصهار بالحقيقة وتعريف الملاء
بأن الأيام دول ، ولدولة الباطل أمد ولما خرج إبراهيم بن عبد الله
المحض^(٢) للأخذ بثأر أخيه ، التحق به عيسى بن زيد ، وكانت

(١) ولد محمد بن عبد الله المحض سنة مائة وقتل للنصف من شهر رمضان سنة
مائة وخمس وأربعين ، بأحجار الزيت وهو موضع الاستسقاء بالمدينة
وبعث برأسه إلى المنصور . ودفن بالبقيع .

(٢) ولد إبراهيم بن عبد الله المحض ابن الحسن المثنى قبل ولادة أخيه محمد
بثلاث سنين . وقتل لخمس بقين من ذي القعدة أو ذي الحجة سنة ١٤٥ هـ
بباخمري موضع بين الكوفة وواسط يبعد عن الكوفة سبع عشرة فرسخاً
وقبره هناك . وكان له من العمر ثمانٍ وأربعون سنة .

راية إبراهيم معه، وأوصى إبراهيم بالأمر له من بعده. ولما قتل إبراهيم خاف عيسى سطوة المنصور، ولم يأمن أهل الكوفة أن يأخذوه غيلة ويسلموه إلى المنصور، فاستتر في الكوفة أيام المنصور والمهدي والهادي^(١) وفي سر السلسلة لأبي نصر البخاري استتر نصف عمره، وكان اختفائه في دار الحسن بن صالح بن حي^(٢). وكان الحسن من كبراء الشيعة الزيدية في الكوفة له معرفة في الفقه والكلام صنف كتاب التوحيد، وكتاب إمامة ولد علي من فاطمة، وكتاب الجامع في الفقه^(٣). وتزوج عيسى ابنته، وبقي موالياً لعيسى حتى مات بعد عيسى لسته أشهر^(٤) وله ثمان وستون سنة قال يوماً لعيسى: إلى متى تدفعنا الخروج وقد اشتمل ديوانك على عشرة آلاف رجل، فقال له ويحك يا حسن أتكثر عليّ العدد وأنا بهم عارف، أما والله لو وجدت ثلثمائة رجل أعلم أنهم يبذلون أنفسهم لله عز وجل ويصدقون في لقاء عدوهم لخرجت بهم قبل الصباح^(٥) ولكن أعلم ما في نفوس القوم من الغدر والمكر والميل إلى الشهوات.

(١) عمدة الطالب، والثبت أنه لم يبقَ إلى أيام الهادي.

(٢) المقاتل لأبي الفرج.

(٣) فهرست ابن النديم: ص ٢٥٣.

(٤) طبقات ابن سعد: ج ٦، ص ٢٦١، ومعارف ابن قتيبة: ص ٢٢٢.

(٥) مقاتل أبي الفرج.

لم يأمن المنصور وثبة عيسى بالكوفة فاتخذ الوسائل للقبض عليه فلم يتمكن حتى بذل له الأمان وأكّده، فلم تخدعه تلك المواعيد الخلاّبة ولم يطمئن بكل ما أظهره له من العهود والمواثيق. قيل له يوماً إن المنصور لم يزل خائفاً منك، فقال لأن يبيتن ليلة واحدة خائفاً مني أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس^(١). وبعد أن انتقل الأمر إلى المهدي جدّ في طلبه، وطلب الحسن بن إبراهيم قتيل باخمري بعد هرب الحسن من حبسه، وأخذ يسأل عمن له علم بهما فدل على يعقوب بن داود ابن طهمان، فأُتي به، فرأى منه رجلاً كاملاً عاقلاً ذا رأي وتجربة، فسأله عن عيسى بن زيد فأنكر أن يكون له علم به^(٢).

قال يعقوب بن داود دخلت مع المهدي قبة في بعض الخانات في طريق خراسان فإذا مكتوب على حائطها هذه الأبيات:

والله ما أطعم طعم الرقاد	خوفاً إذا نامت عيون العباد
شردني أهلي اعتداءً وما	أذنبت ذنباً غير ذكر المعاد
آمنت بالله ولم يؤمنوا	فكان زادي عندهم شر زاد
أقول قولاً قاله خائف	مطرد قلبي كثير السهاد
منخرق الكفين يشكو الوجى	تنكبه أطراف مرّ حداد

(١) عمدة الطالب.

(٢) تاريخ الطبري: ج ١٠، ص ٣.

قد كان في الموت له راحة والموت حتم في رقاب العباد فلما قرأها كتب تحت كل بيت لك الأمان من الله ومني فإظهر متى شئت ودموعه تجري على خديه، قلت من ترى قائل هذا الشعر يا أمير المؤمنين فقال: ألتجاهل عليّ، قائل هذا الشعر لم يكن غير عيسى بن زيد^(١) ويروى أن المهدي اجتاز [بحلوان] فرأى على حائط مكتوباً البيت الخامس وما بعده فكتب تحتها بالأمان^(٢). وبلغ المهدي خبر دعاة عيسى وهم ابن علاق الصيرفي، وحاضر مولى لهم، وصباح الزعفراني، فجد في طلبهم فظفر بحاضر، فحبسه وطلب منه أن يعرفه موضع عيسى فتجاهل وأبى إعلامه؛ ولما أيس منه أمر بقتله، وخفي عليه أمر ابن علاق وصباح، وبعد موت عيسى قال صباح للحسن بن صالح بن حي: أما ترى ما نحن فيه من الضنك والضر وقد مات الرجل الذي من أجله يطلبنا المهدي ولعله إذا مضينا إليه وأعلمناه بموت عيسى خلى سبيلنا، فقال الحسن: لا والله لأن أبيت ليلة خائفاً منه أحب إليّ من أن أبشر عدو الله بوفاة ابن نبي الله وأشمته، وبقي على هذا الحال حتى مات^(٣).

(١) مقاتل أبي الفرج.

(٢) عمدة الطالب.

(٣) مقاتل أبي الفرج في مقتل عيسى ص ٣٤٨ ط. الأعلمي.

عمله بالكوفة

كان مدة استتاره بالكوفة يسقي الماء على جمل، حدث يحيى ابن الحسين ذي الدمعة^(١) قال: سألت أبي عن عمي عيسى وقلت يقبح بمثلي أن لا يرى مثله، فقال إذا صرت إلى الكوفة فاسأل عن دور بني حي فإذا دلت عليها اقصد السكة الفلانية ووصفها له، ستري باباً صفتها كذا وكذا فاجلس أول السكة فإنه سيقبل عليك عند المغرب كهل طويل مسنون الوجه قد أثر السجود في جبهته عليه جبة صوف يسقي الماء على جمل وقد انصرف يسوقه لا يضع قدماً ولا يرفعها إلا ودموعه تنحدر، فقم وسلم عليه فإنه سيذعر منك، فانتسب له ليسكن إليك ويحدثك، ولا تطل معه وودعه، فإنه سيعفك من العود فافعل ما يأمر بك به، فإنك إن عدت إليه توارى عنك. قال يحيى ابن ذي الدمعة: لما وردت الكوفة قصدت سكة بني حي بعد العصر، حتى إذا غربت الشمس رأيت رجلاً يسوق جملاً على الصفة التي وصفها لي أبي، فسلمت عليه وانتسبت له فسألني عن أهلي واحداً واحداً وأنا أشرح أخبارهم.

ومما حدثني به أن قال: إني أسقي الماء على هذا الجمل

(١) في عمدة الطالب نسب الحديث إلى محمد بن محمد بن زيد الشهيد، وعند المؤرخين كما أثبتناه.

فأصرف نصف ما أكتسبه إلى صاحبه وأتقوت بالباقي ، وربما عاقني عائق فأخرج إلى البرية - ظهر الكوفة - فالتقط ما يرمي به الناس من البقول فأتقوت به . وتزوجت إلى هذا الرجل^(١) ابنته وهو لا يعلم من أنا إلى وقتي هذا وقد ولدت لي بنتاً لا تعرفني إلى هذا اليوم ، فقالت أمها : إن ابن فلان السقاء أيسر منا وقد خطب ابنتك فزوجها منه وألحت علي فلم أقدر على إخبارها بأن ذلك غير جائز ولا هو بكفء لها فيشيع خبري ، فزادت في الإلحاح ولم أزل أستكفي أمرها حتى ماتت البنت فما أحد أسي على شيء من الدنيا أساي على أنها ماتت ولم تعلم موضعها من رسول الله ﷺ ثم أقسم علي أن أنصرف ولا أعود وودعني ومضى وبعد ذلك صرت إلى الموضع فلم أره فيه^(٢) .

أولاده

قال أبو نصر في سر السلسلة ولد لعيسى الحسين^(٣) ومحمد ، أمهما عبدة بنت عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي

(١) هذا الرجل غير الحسن بن صالح بن حي .

(٢) مقاتل أبي الفرج ص ٣٤٥ . ط . الأعلمي .

(٣) كان الحسين متزوجاً بابنة الحسن بن صالح وكان له فضل وعلم وبعد وفاة أبيه جاء إليه أخواه أحمد وزيد فأجرى لهما أرزاقاً ومضيا بإذنه إلى المدينة .

طالب عليه السلام، وأحمد^(١) أمه عاتكة بنت الفضل بن عبد الرحمن بن العباس بن الحارث بن عبد المطلب، وزيد^(٢)، أمه أم ولد. وزاد أبو الحسن العمري، جعفرأ والحسن وعمر ويحيى وبنات أربعاً رقية الكبرى، ورقية الصغرى^(٣) وزينب، وفاطمة، وهي التي ماتت في حياة أبيها وكانت أمها من عامة أهل الكوفة.

والذي أعقب من أولاده كما في عمدة الطالب أحمد، وزيد، ومحمد، والحسين.

(١) كان أحمد عالماً فاضلاً زاهداً مقدماً في أهله معروفاً فضله ونبله، كتب الحديث، وكتب عنه. بقي في دار الخلافة منذ تسلمه المهدي أو الهادي بعد وفاة أبيه. وبعد وفاة الهادي كان عند الرشيد حتى كبر فأطلقه ولما بلغه أنه يدعو إلى نفسه أخذه وحبسه ثم خلص منه واختفى بالبصرة إلى أيام المتوكل فمات فيها بعد أن ذهب بصره وكانت ولادته في ثاني محرم ستة مائة وسبع وخمسين ووفاته سنة مائتين وسبع وأربعين.

(٢) مات زيد بالمدينة بعد قتل الأمين.

(٣) تزوج إحدى البنتين محمد بن جعفر بن الحسن بن عمر بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب عليه السلام فولدت له محمداً خرج بالري أيام المتوكل.

[٣] الحسين ذو الدمة

ولادته، كنيته، لقبه

ولد الحسين بالشام^(١) سنة مائة وأربع عشرة، وله يوم قتل أبيه سنة مائة وإحدى وعشرين، سبع سنين. هذا رأي الداودي، وأما على حكاية دينار بن عمران من أنه كان يوم قتل أبيه ابن أربع سنين، تكون ولادته سنة مائة وسبع عشرة. وكني أبا عبد الله وأبا عاتقة^(٢)، ولقب بذي الدمة والعبرة لكثرة بكائه، قال ابنه يحيى سألت أبي عن كثرة بكائه، فقال وهل ترك السهمان والنار سروراً يمنعني من البكاء؟ يريد بالسهمين اللذين قتل بهما أبوه وأخوه يحيى^(٣).

(١) خير الرجال مخطوط لعبد الرزاق اللاهيجي بترجمته.

(٢) خاتمة مستدرك الوسائل بترجمته.

(٣) ربيع الأبرار للزمخشري في باب الأسماء والكنى.

نشأته

نشأ في حجر الصادق جعفر بن محمد الباقر (عليه السلام) واستفاد منه علماً كثيراً وأدباً جمّاً ونال بسببه خيراً شاملاً؛ حدث السمهودي^(١) أن الصادق أمره بالسفر إلى معن بن زائدة وقال إذا كانت ليلة الخميس فادخل المسجد وسلم على جدك ونحن ننتظرك عند بئر زياد بن عبيد الله يقول ذو الدمعة أتته يوم الميعاد فأمر لي بثياب السفر وقال استشعر تقوى الله وأحدث لكل ذنب توبة، ثم أمرني بالمسير وقال: إني كتبت إلى معن بن زائدة وغيبتك ثلاثة أشهر إن شاء الله فإذا وصلت «صنعاء» فانزل منزلاً ثم ائت «معن بن زائدة» ففعلت ما أمرني به، دخلت على «معن» بإذن عام فرأيته جالساً والناس سماًطان قياماً فسلمت فرد علي وقال من أنت فأخبرته فصاح لا والله ما أريد أن تأتوني باب أمير المؤمنين أعود عليكم من بابي، فقلت أستغفر الله من حسن الظن بك وانصرفت فأدركني رجل وقال عوضك الله خيراً مما فاتك وأعطاني ثلاثة آلاف دينار وسألني عما أحتاج إليه من الكسوة فكتبته إليه فلما كان بعد العشاء دخل عليّ معن بن زائدة وأكب على رأسي ويدي وقال يا بن سيدي، وساداتي اعذرني فإني أعرف ما أداري به، فأعطيته كتاب «الصادق (عليه السلام)» فقبله وقرأه وأمر لي

(١) تاريخ المدينة: ج ٢، ص ٣٤٩.

بعشرة آلاف دينار ثم قال أيّ أقدمك فأخبرته بخبري فأمر لي بعشرة آلاف دينار أخرى وثلاث نجائب برحالها وكساني ثلاثين ثوباً وغيرها وودعني وقدمت مكة موافياً لعمرة شهر رمضان فلقيت أبا عبد الله الصادق في مكة فسلمت عليه ، فقال لي أصبت من معن بن زائدة بعدما جبهك عشرين ألف دينار سوى ما أصبت من غيره قلت نعم فقال إن معنا جماعة يدعون الله لك فمر لهم بشيء قلت ذاك إليك قال كم في نفسك أن تعطيتهم قلت ألف دينار قال إذاً تححف بنفسك ولكن فرق عليهم خمسمائة دينار وخمسمائة لمن يعتريك بالمدينة ففعلت وقدمت المدينة فاستخرجت عيناً بالمروة ، وعيناً بالمضيق ، وعيناً بالسقيا ، وبنيت منازل بالبقيع فتروني أؤدي شكر أبي عبد الله «الصادق» وولده أبداً .

وحدث النجاشي وابن داود بترجمته أن الصادق عليه السلام زوجه أم كلثوم بنت محمد بن عبد الله الأرقط وكانت ذات جمال ومال وخدم فحسنت حاله ببركة الإمام الصادق وصار معدوداً في أهل الثروة والمال .

موالاته للأئمة

من ذلك يمكننا أن نستفيد حسن مذهبه وموالاته للإمام الصادق وإذا قرأنا حديث عبد الله بن جعفر الحميري عن الحسن ابن ظريف عن أبيه ظريف بن ناصح ، انكشفت لنا موالاته للإمام

[الكاظم] قال ظريف بن ناصح كنت مع الحسين بن زيد ومعه ابنه علي إذ مر بنا أبو الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام) فسلم وجاز قلت جعلت فداك يعرف موسى بقائم آل محمد، فقال لي إن يكن أحد يعرفه فهو ثم قال وكيف لا يعرفه وعنده خطّ علي بن أبي طالب وإملاء رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقال ابنه عليّ: كيف لم يكن ذاك عند أبي زيد بن عليّ؟ فقال له يا بني إن علي بن الحسين ومحمد بن علي سيدا الناس وإماماهم فلزم يا بني أبوك زيد أخاه وتأدّب بأدبه، وتفقّه بفقهه فقال له يا أبة إن حدث بموسى حدث يوصي إلى أحد من إخوته قال لا والله ما يوصي إلا إلى ابنه^(١).

وهذا الحديث يدلنا على اعترافه بإمامة الكاظم بعد أبيه الصادق وأنه الحجة على الناس لا يضلّ من تبعه ولا يهتدي من خالفه ويرشدنا إلى عدم جهله بالمستحق للإمامة من بعد الكاظم، وكيف لا يعرف المستحق للإمامة من كان متربياً في حجر الصادق (عليه السلام) ومتخرجاً من مدرسته وقد استفاد من علومه ومعارفه.

الرواية عنه

ولفضله الجم وأدبه الكثار التف حوله جماعة من حملة الحديث وحفظة الآثار وأخذوا عنه مكارم الأخلاق ومحاسن الصفات وعلل الأحكام فهذا شعيب بن واقد روى عنه النهي عن

(١) قرب الإسناد مخطوط.

المبيت واليد غمرة بالدسم^(١). ومحمد بن عمير، ويونس بن عبد الرحمن حدثا عنه في باب وجوه النكاح من الكافي، وروى عنه أبان بن عثمان صوم كفارة اليمين؛ ولخلف بن حماد، وعلي بن أسباط وجماعة أخرى، أحاديث عنه في أبواب متفرقة من الفقه^(٢). وحكى عن الوحيد البهبهاني رواية صفوان بن يحيى عنه النص على الأئمة الاثني عشر. وفي ترجمة المختار بن أبي عبيد الثقفي من رجال الكشي رواية خالد بن يزيد العمري عن الحسين ابن زيد عن عمه عمر بن علي هديته إلى «زين العابدين» عشرين ألف دينار وقبوله إياها. وفي مستدرک الحاكم على صحيح البخاري ومسلم^(٣) رواية عبد الله بن محمد بن سالم عنه حديث أن الله يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها. وزاد ابن حجر في «تهذيب التهذيب» رواية ابنه يحيى وإسماعيل، وأبي غسان الكناني، وأبي مصعب، وعباد بن يعقوب الرواجني.

روايته الحديث

أما روايته للحديث فعن الصادق، وابنه الكاظم عليهما السلام^(٤) ولا

(١) دار السلام: ج ٢، ص ٣٥.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ٣، ص ٥٩٠. عن رياض العلماء.

(٣) ج ٣، ص ١٥٣.

(٤) رجال النجاشي وخير الرجال لعبد الرزاق اللاهيجي.

وقفة لعلماء الرجال في الأخذ بأحاديثه، وتصديقه في ما يحدث به، كيف لا وهذا المجلسي في الوجيزة، والبههاني في التعليقة جاهراً في مدحه والثناء عليه، وفي ترجمته من خاتمة المستدرک للمحدث النوري، لا مجال للتأمل في وثاقته. وصرح الدارقطني بأنه ثقة مقبول الحديث^(١)، ولذلك خرجوا أحاديثه في صحاحهم وأما كتابه، فمختلف في الرواية عنه، ففي فهرست الشيخ الطوسي يرويه إبراهيم بن سليمان. وفي ترجمته من رجال النجاشي يرويه عباد بن يعقوب. ولعله لهذا الاختلاف أو لخروجه مع ابني عبد الله المحض، أدرجه الشيخ عبد النبي الجزائري في قسم الضعفاء من «الحاوي» وكلاهما لا ينهضان بذلك، أما الاختلاف في راوي كتابه فلا يوجب طعناً بمن يروى عنه وأما الخروج مع ذي النفس الزكية، وقتيل باخمرى فلعله مأذون فيه.

أولاده

عد الشيخ أبو الحسن الفتوي في كتاب النسب له من الأولاد خمسة، وهم محمد، والقاسم، والحسين، وعلي وزيد الشبيه، ويحيى. وأبدل أبو نصر البخاري في «سر السلسلة» محمداً بعبد الله، وقال: عبد الله والقاسم ويحيى أمهم خديجة بنت عمر بن

(١) تهذيب التهذيب: ج ٢، ص ٢٧١.

علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب؛ وعلي الأصغر والحسين أمهم أم ولد.

وعد أبو الحسن العمري في «المجدي» ثمانية عشر من الذكور، وعشراً من الإناث، فالذكور: يحيى وعلي الأكبر^(١) وعلي والحسين وزيد وإبراهيم ومحمد وعقبة ويحيى الأصغر وأحمد وإسحاق والقاسم والحسن^(٢) ومحمد الأصغر وعبد الله وجعفر الأكبر وعمر وجعفر. والإناث: ميمونة وأم الحسن، وكلثم وفاطمة وسكينة وعليّة وخديجة وزينب وعاتكة.

وخص الداودي العقب في ثلاثة: يحيى^(٣) والحسين وعلي، وزاد المجلسي في البحار عند ذكر أولاد السجاد ثلاثة آخر وهم القاسم ومحمد وعبد الله.

سنة وفاته

في عمدة الطالب مات سنة مائة وخمس وثلاثين، أو أربعين واختار الأول المحدث النوري بترجمته من خاتمة المستدرک. ومن الغريب الالتزام بهذا التحديد، فإنّا سواء وافقنا الداودي في

(١) خرج مع أبي السرايا.

(٢) خرج مع أبي السرايا وقتل.

(٣) مات سنة سبع ومائتين ببغداد وصلى عليه المأمون.

تعيين عمره يوم شهادة أبيه بسبع سنين ، أو وافقنا دينار بن عمران من التحديد بأربع سنين فإنه على تحديد الداودي تكون ولادته سنة أربع عشرة ومائة ، فإذا توفي سنة خمس وثلاثين ومائة يكون عمره إحدى وعشرين سنة ، وإن توفي سنة أربعين يكون عمره ستاً وعشرين سنة . وعلى تحديد دينار بن عمران تكون ولادته سنة ثمانى عشرة ومائة وعمره على الخمس والثلاثين ثمانى عشرة سنة ، وعلى الأربعين يكون ثلاثاً وعشرين سنة ، وعلى كل لا تسعنا موافقتهم ، فإن أهل النسب ذكروا له أولاداً كثيرة ، خصوصاً ما أرسله «المجدي» من حصر الذكور والإناث في سبعة وعشرين نعم يمكن ذلك على دعوى تصحيف الثمانين بالثلاثين فيكون عمره إما ستاً وستين سنة إن فرضت ولادته سنة أربع عشرة ومائة ، وإما ثلاثاً وستين إن فرضت ولادته سنة ثمانى عشرة ومائة . أو كما يقول في المجدي من أنه مات عن سبع وستين سنة .

وأغرب من ذلك ما قاله ابن حجر في ترجمته من [تهذيب التهذيب] وتقريب التهذيب [مات الحسين في حدود التسعين وله ثمانون سنة] ولم يذكر المائة مع التسعين ، وتركها خطأً بين ، فإن أباه زيدا ولد سنة ثمانين بنص «التقريب» فكيف يكون لابنه الحسين المتوفى في حدود التسعين ، ثمانون سنة فإذا لا بد من إضافة المائة إلى التسعين ، وحينئذ ينحصر تقدير عمره بالثمانين في صورة فرض ولادته سنة مائة وعشرة . وهذا ظن ولا يغني من الحق شيئاً .

[٤] محمد بن زيد

أمه أم ولد من السند. وكنيته أبو جعفر، وأبو عبد الله. وعمره يوم قتل أبيه على حكاية دينار، أربعون يوماً. ولم يخرج مع ذي النفس الزكية وأخيه إبراهيم. وكان مع أبي جعفر المنصور مسوداً، فكان يكاتبه كل من يسكن منه. ثم ظهر ظهوراً تاماً بالمدينة إلا أنه لم يجالس أحداً ولا يدخل عليه إلا من يثق به^(١).

وله حكاية في الوفاء بالعهد تدل على علو همته وطهارة ذاته وطيب أصله كيف لا وقد تفرع من شجرة النبوة وتربى في حجور الطاهرين.

حدث السيد علي خان والداودي أن المنصور أخبر وهو بمكة عن جوهر لهشام بن عبد الملك كان عند ابنه محمد. ولم يبقَ منهم غيره. ففكر المنصور في الاحتيال على قبض محمد، واهتدى إلى غلق أبواب المسجد الحرام عند الصباح وحضر الناس في المسجد فأمر الربيع بذلك ووكل الحرس بالأبواب

(١) شرح الصحيفة وعمدة الطالب.

وَأَلَّا يَفْتَحَ إِلَّا بَاباً وَاحِداً، لِيَعْرِفَ كُلُّ مَنْ يَخْرُجُ مِنْهُ وَوَضَحَ
 لِمُحَمَّدِ بْنِ هِشَامٍ أَنَّهُ الْمَطْلُوبُ، فَتَحِيرَ فِي الْخُرُوجِ، وَبَصَرَ بِمُحَمَّدِ
 ابْنِ الشَّهِيدِ زَيْدٍ جَالِساً فِي الْمَسْجِدِ فَرَأَى رَجُلًا وَسِيمًا لَهُ هَيْبَةٌ
 وَوَقَارٌ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْهُ ابْنُ الشَّهِيدِ زَيْدٌ، فَاسْتَجَارَ بِهِ وَأَلْقَى بِنَفْسِهِ
 عَلَيْهِ وَ«مُحَمَّدٌ» لَا يَثْبُتُهُ مَعْرِفَةٌ، فَطَلَبَ مِنْهُ الْأَمَانُ إِنْ عَرَفَهُ بِنَسَبِهِ،
 قَالَ «ابْنُ زَيْدٍ» لَكَ الْأَمَانُ وَأَنْتَ فِي ذِمَّتِي حَتَّى أُخْلَصَكَ ثُمَّ
 اسْتَنْسَبَهُ ابْنُ هِشَامٍ فَانْتَسَبَ لَهُ فَأَيَسَ عِنْدَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَقَالَ بِقَلْبِ
 خَافِقٍ وَعَيْنِ دَامِعَةٍ عِنْدَ اللَّهِ أَحْتَسِبُ نَفْسِي وَخَافَ أَنْ يَطْلُبَهُ بَدَمُ
 الشَّهِيدِ زَيْدٍ. وَهِيَهَاتَ لِكِرَامِ النُّفُوسِ الطَّيِّبِينَ الْأَعْرَاقُ إِلَّا الْوَفَاءُ
 بِالذِّمِّ وَحِفْظُ الْعَهْدِ، وَقَالَ لَهُ لَا بَأْسَ عَلَيْكَ لَسْتُ قَاتِلَ زَيْدٍ،
 وَلَا فِي قَتْلِكَ دَرَكٌ ثَارُهُ، وَلَكِنْكَ اعْذِرْنِي فِي قَبِيحِ أَخَاطَبِكَ بِهِ
 يَكُونُ فِيهِ خِلَاصُكَ قَالَ أَنْتَ وَذَاكَ فَطَرَحَ رِدَاءَهُ عَلَى رَأْسِهِ وَوَجَّهَهُ
 وَأَقْبَلَ يَجْرُهُ وَلَمَّا قَرَبَ مِنَ الرِّبْعِ لَطَمَهُ لَطْمَاتٍ وَقَالَ يَا أَبَا الْفَضْلِ
 هَذَا الْخَبِيثُ جَمَّالٌ مِنَ الْكُوفَةِ كَرَانِي جَمَالُهُ ذَهَاباً وَإِيَاباً وَقَدْ هَرَبَ
 مِنِّي فِي هَذَا الْوَقْتِ وَأَكْرَى قَوَادِ الْخِرَاسَانِيَّةِ وَلِي عَلَيْهِ بَيْنَةٌ فَضَمَّ لِي
 حَارِسِينَ لَثَلَا يَفْلَتَ مِنِّي فَضَمَّ إِلَيْهِ حَارِسَيْنِ وَمَضِيَ مَعَهُ فَلَمَّا بَعْدَ
 مِنَ الْمَسْجِدِ قَالَ لَهُ يَا خَبِيثُ تَوْدِي إِلَيَّ حَقِّي قَالَ نَعَمْ يَا بَنَ رَسُولِ
 اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لِلْحَارِسَيْنِ انْطَلِقَا؛ ثُمَّ أَطْلَقَهُ؛ فَوَقَعَ مُحَمَّدٌ عَلَى يَدَيْهِ
 وَرَجَلَيْهِ يَقْبَلُهُمَا وَأَخْرَجَ جَوْهَرًا مَعَهُ وَتَوَسَّلَ إِلَيْهِ بِقَبُولِهِ فَانْتَهَرَهُ ابْنُ
 (زَيْدِ الْإِبَاءِ) وَقَالَ إِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ لَا نَقْبَلُ عَلَى الْمَعْرُوفِ ثَمَنًا، وَقَدْ
 تَرَكْتُ لَكَ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ دَمُ زَيْدٍ، انْصَرَفَ رَاشِدًا، وَوَارِ

شخصك حتى يرجع هذا الرجل فإنه مجدّ في طلبك، وإني
لأستطرف في المقام قول الحيص بيص:

ملكنا فكان العفو منا سجية ولما ملكتم سال بالدم أبطح
وحللتهم قتل الأسارى وطالما عدونا على الأسرى نعف ونصفح
فحسبكم هذا التفاوت بيننا وكل إناء بالذي فيه ينضح

ولاؤه للأئمة وقبول رواياته

أما الولاء للأئمة الأطهار والاعتراف باستحقاقهم للخلافة
دون سائر أهل البيت لا نرتاب فيه بعدما نقرأ في حديث حيدر بن
أيوب «كنا بالمدينة في موضع يعرف [بقبا] وفيه محمد بن زيد بن
علي بن الحسين عليه السلام، فجاء بعد الوقت الذي كان يجيئنا فيه،
فقلنا له جعلنا فداك ما حبسك قال دعانا أبو إبراهيم في هذا اليوم
سبعة عشر رجلاً من ولد علي وفاطمة فأشهدنا لعلي ابنه «يعني
الرضا» بالوصية والوكالة في حياته وبعد موته، وأمره جارٍ عليه
وله. ثم قال محمد بن زيد والله يا حيدر لقد عقد الإمامة اليوم
ولتقولن الشيعة به من بعده^(١) وهذا الحديث يدل بظاهره على
حسن اعتقاده بإمام الوقت وأنه ثقة مأمون على الدين؛ ولو لم
يكن ثقة عند الإمام [الكاظم] لما استشهده على إمامة ابنه
(الرضا) من بعده، ووكالته في حياته.

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام.

ومنه نستفيد صحة ما يحدث به من الحوادث والوقائع ، كيف لا وخبر سليمان بن جعفر يرشدنا إلى جلاله من كان متبصراً في مذهبه من ولد فاطمة ويطمئنا على الاعتماد بكل ما يحمله من حكم في الشريعة وغيره .

قال سليمان بن جعفر ذكر لي علي بن عبيد الله بن الحسين ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أنه يرغب في الدخول على «الرضا» ، قلت فما يمنعك من ذلك قال الإجلال والهيبة فصادف أن اعتل «أبو الحسن الرضا» علة خفيفة عادة الناس فيها ، فلقيت علي بن عبيد الله وأشارت عليه بالدخول على الرضا للعيادة ، فدخل عليه عائداً فلاقاه أبو الحسن الرضا عليه السلام بكل ما يجب له من التعظيم والإجلال ، ففرح علي بن عبيد الله فرحاً شديداً . ثم إن علي بن عبيد الله مرض مرضاً عادة فيه أبو الحسن وأنا معه وأطال الجلوس حتى خرج من كان في البيت ، ولما خرجنا من عنده حدثني مولاة لنا أن أم سلمة امرأة علي بن عبيد الله أقبلت إلى مكان أبي الحسن الرضا وانكبت عليه تقبله وتتمسح به ، فدخلت على أبي الحسن وأخبرته بذلك فقال يا سليمان إن علي بن عبيد الله وامراته وولده من أهل الجنة يا سليمان إن ولد علي وفاطمة عليهما السلام إذا عرفهم الله هذا الأمر لم يكونوا كالناس ^(١) .

(١) منتهى المقال بترجمة علي بن عبيد الله بن الحسين وذكر الكليني في باب =

فهذه الجملة الأخيرة من الحديث تدلنا على أن المتبصر
المعترف لإمام الوقت بما أهله الله سبحانه له، على مكانة سامية
من طهارة القلب وصدق الحديث والأخذ بما يحمله ويحدث به .
ومحمد بن زيد بن علي لما كان من هؤلاء الموصوفين بهذه
الصفة، فقد صح لنا الاعتماد على أقواله وأحاديثه .

أولاده

في أنساب الشيخ أبي الحسن الفتوني له ستة من الذكور
وثلاث من الإناث وهن فاطمة وكلثم وأم الحسن . والبنون
محمد، والقاسم، والحسن، والحسين، وعلي، ومحمد^(١)
والعقب من الأخير ووافقه الداودي في عمدة الطالب، وزاد أبو
الحسن العمري في المجدي، جعفرًا وزيدًا . وخص المجلسي في
البحار عند ذكر أولاد السجاد العقب في رجل واحد وهو جعفر .

فضل البكاء على زيد

لا يجازف مدعي رجحان البكاء على أهل بيت النبي ﷺ

= من عرف الحق من أهل البيت من (أصول الكافي) نحو الحديث .

(١) خرج محمد هذا مع أبي السرايا وأخذه الفضل بن سهل ودفعه إلى المأمون
فاعتقله في داره وبعد مضي أربعين يوماً سقاه شربة مسمومة فمات منها
ودفن بمرور (مقاتل أبي الفرج) .

بعدما يقرأ الأحاديث المتكررة، الباعثة على وجوب محبة الأئمة الاثني عشر، والموالاته لهم، ولا يشك المتأمل في كون البكاء على أولادهم، بل على شيعتهم، والتلطف لما أصابهم من القتل وضروب الأذى، من أجلى مظاهر الموالاته، وكيف يشك وجوامع الأحاديث تقرأ علينا قول الإمام الصادق عليه السلام: من دمعت عينه فينا دمعة لدم سفك منا، أو حق نقصناه أو عرض انتهك منا، أو لأحد من شيعتنا بوأه الله في الجنة حقبا^(١) وقوله في دعائه لشيعته الباكين على مصابهم وما نالهم من الأوصاب: اللهم ارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمة لنا، وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا، وارحم تلك الصرخة التي كانت لنا، اللهم إني أستودعك تلك الأنفس والأبدان حتى ترويهم من الحوض يوم العطش^(٢). وقول علي عليه السلام: إن الله اطلع إلى الأرض فاختارنا واختار لنا شيعة ينصروننا ويفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا ويبذلون أموالهم وأنفسهم فينا أولئك منا وإلينا^(٣). وقول الرضا عليه السلام: من تذكر مصابنا وبكى لما ارتكب منا كان معنا في درجاتنا يوم القيامة^(٤) إلى غير هذا مما يطول بذكره المقام.

(١) مجالس ابن الشيخ الطوسي، وبشارة المصطفى مخطوط.

(٢) مزار البحار في الفصل المتعلق بالحسين.

(٣) الخصال في حديث الأربعمائة.

(٤) أمالي الصدوق، مجلس ١٧٠.

من هذه الأحاديث مع ما نقرأه من بكاء الصادق على زيد حينما ورد عليه نعيه حتى بكى من كان خلف الستر من النساء. وبكاء السجاد والباقر، عندما شاهدوا بواسع علمهم ما يجري عليه من القتل والصلب والحرق، ينكشف لنا رجحان البكاء على زيد تحقيقاً للموالة وتأسياً بأهل البيت الذين أرخصوا غالي دموعهم لما أصاب فقيدهم من الظلم والعدوان.

ومما يؤيد هذه الشواهد ويطمئنا على الإتيان بذلك الأمر العظيم لنفعه الآثار الحاكية لنا بكاء النبي ﷺ على عمه حمزة^(١)، وعلى ابن عمه جعفر الطيار^(٢)، وعلى مسلم بن عقيل بن أبي طالب^(٣)، بل على جملة من أصحابه كزيد بن حارثة، وعبد الله ابن رواحة وأضرابهما، مضافاً إلى حثه ﷺ أصحابه في البكاء على جعفر حيث يقول: وعلى مثل جعفر فلتبك البواكي^(٤). وتحريضه الأنصار في البكاء على عمه حمزة يوم سمع نساء الأنصار يبكين قتلاهن فقال: «ولكن عمي حمزة لا بواكي له»^(٥).

(١) الاستيعاب بترجمته: ١٧٠.

(٢) الاستيعاب بترجمة زيد بن حارثة.

(٣) أمالي الصدوق مجلس ٢٧.

(٤) الإصابة بترجمته.

(٥) مسند أحمد بن حنبل: ج ٢، ص ٤٠، ومستدرک الحاكم: ج ١، ص ٣٨١، والاستيعاب وأسد الغابة بترجمته وتاريخ الطبري: ج ٣، ص ٢٧.

فإن التأمل في كل ذلك يفيدنا ألا سبب دافع له على ذلك الحث والتحريض إلا ما رآه من قيامهم بنصرة الدين وبذلهم أنفسهم في سبيل إحيائه وجهاد أعدائه، وأنا إذا نظرنا إلى «زيد الإصلاح» ذلك الذي يقول فيه الرضا عليه السلام: «إنه كان من علماء آل محمد غضب لله عز وجل فجاهد أعداءه حتى قتل في سبيله». نشاهد قيام ذلك السبب فيه بعينه، فإذا كيف نصبر عن البكاء عليه فلا تجري الدموع منا جزعاً، ولا تحترق القلوب بنار الحزن هلعاً، وهل بعد الوقوف على أمثال تلك الأحاديث يرتاب أحد في فضل البكاء عليه، ورجحان إظهار الحزن لمصيبته لنكون من أولئك الذين يحزنون لحزنهم ويروون من الحوض يوم العطش الأكبر.

ومن يطلب النص في فضل البكاء عليه بالخصوص، يكفيه قول الإمام الصادق عليه السلام: «أما الباكي عليه فمعه في الجنة وأما الشامت فشريك في دمه» فإنه دليل واضح على استحباب البكاء.

(زيد وتأبينه)

رثاه جماعة من الشعراء وأول من لبس السواد عليه شيخ بني هاشم والمتقدم فيهم .

(١) الفضل بن عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث ابن عبد المطلب^(١) ، ورثاه بهذه القصيدة :

ألا يا عين لا ترقى وجودي	بدمعك ليس ذا حين الجمود
غداة ابن النبي أبو حسين	صليب بالكناسة فوق عود
يظل على عمودهم ويمسي	بنفسي أعظماً فوق العمود
تعدى الكافر الجبار فيه	فأخرجه من القبر اللحد
فظلوا ينبشون أبا حسين	خضيباً بينهم بدم جسيد
فطال به تلعبهم عتواً	وما قدروا على الروح الصعيد
وجاور في الجنان بني أبيه	وأجداداً هم خير الجدود
فكم من والد لأبي حسين	من الشهداء أو عم شهيد

(١) الروض النضير: ج ١ ، ص ٨٧ ، توفي الفضل بن عبد الرحمن سنة ١٢٩ .

ومن أبناء أعمام سيلقى دعاه معشر نكثوا أباه فسار إليهم حتى أتاهاهم وكيف تضرّ بالعبرات عيني وكيف لها الرقاد ولم ترائي تجمع للقبائل من معد كتائب كلما أردت قتيلاً بأيديهم صفائح مرهفات بها نسقي النفوس إذا التقينا ونقضي حاجة من آل حرب ونحكم في بني الحكم العوالي وننزل بالمعيطيين حرباً وإن تمكن صروف الدهر منكم نجاريكم بما أوليتمونا ونترككم بأرض الشام صرعى تنوء بكم خوامعها وطلس ولست بآيس من أن تصيروا

هم أولى به عند الورد حسيناً بعد توكيد العهود فما أرعوا على تلك العقود وتطمع بعد (زيد) في الهجود جياذ الخيل تعدو بالأسود ومن قحطان في حلق الحديد تنادي أن إلى الأعداء عودي صوارم أخلصت من عهد هود ونقتل كل جبار عنيد ومروان اللعين بني العنيد ونجعلهم بها مثل الحصيد عمارة منهم وبنو الوليد وما يأتي من الأمر الجديد قصاصاً أو نزيد على المزيد وشتى من قتيل أو طريد وضاري الطير من بقع وسود خنازيراً وأشباه القروود

(٢) أبو ثميلة الأبار صالح بن ذبيان، عده في الروض النضير

ج ١، ص ٦٣ ممن روى عن زيد بن علي عليه السلام .

أبا الحسين أعار فقدك لوعة من يلق ما لاقيت منها يكمد

فعر السهاد ولو سواك زهت به
وتقول لا تبعء وبعءك ءاؤنا
كنت المؤمل للعضائم والنهى
فقتلت حين رضيت كل مناضل
فطلبت غاية سابقين فنلتها
وأبى إلهك أن تموت ولم تسر
والقتل في ذات الإله سجية
والناس قد آمنوا وآل محمد
نصب إذا ألقى الظلام ستوره
يا ليت شعري والخطوب كثيرة
ما حجة المستبشرين بقتله

الأقءار حيث رمت به لم يشهد
وكذاك من يلقى المنية يبعء
ترجى لأمر الأمة المتأوء
وصعءت في العلياء كل مصعء
بالله في سير كريم المورء
فيهم بسيرة صادق مستنجد
منكم وأحرى بالفعال الأمجد
من بين مقتول وبين مطرء
رقد الحمام وليلهم لم يرقد
أسباب مورءها وما لم يورء
بالأمس أو ما عذر أهل المسجد

(٣) الصاحب بن عباد

بءا من الشيب في رأسى تفاريق
هذا فلا لهو مع هم يعوقنى
لما رأى أن حق الدين مطرح
وإن أمر هشام في تفرعنه
قام الإمام بأمر الله ينهضه
يءعو إلى ما ءعا آباؤه زمناً
ابن النبى نعم وابن الوصى نعم
لم يشفهم قتله حتى تعاوره

وكان للهو تمحيق وتطليق
بيوم زىء وبعض الهم تعويق
وقء تقسمه نهب وتمحيق
يزءاء شراً وأن الرجس زنىء
مربة الدين إن الدين موموق
إليه وهو بعين الله مرموق
وابن الشهيد نعم والقول تحقيق
قتل وصلب وإحراق وتغريق

(٤) وقال العميدي في مشجرتة^(١) :

مصيبة زيد إنها لعظيمة إذا ذكرت يوماً نسيت المصائب
 قتيلاً نبشاً بارزاً فوق خدعه بوجنته يلقي القنا والقواضبا
 وفي كامل المبرد ج ٣ ص ٢٣٦ قال حبيب بن جدره في زيد
 ابن علي بن الحسين :

يا أبا حسين لو شراة عصابة صبحوك كان لوردهم اصدار
 يا أبا حسين والجديد إلى البلى أولاد درزة أسلموك وطاروا^(٢)

(٥) الشيخ صالح الكواز من قصيدة في رثاء الحسين عليه السلام

وزيد وقد كان الإباء سجية لأبائه الغر الكرام الأطايب
 كأن عليه ألقى الشبح الذي تشكل فيه شبه عيسى لصالب
 فقل للذي أخفى عن العين قبره متى خفيت شمس الضحى بالغياب
 ولو لم تنم القوم فيه إلى العدى لنمت عليه واضحات المناقب
 كأن السما والأرض فيه تنافسا فنال الفضا عفواً سنّي الرغائب
 عجبت وما إحدى العجائب فاجأت بمقتل زيد بل جميع العجائب

(١) صحاح الأخبار: ص ٣٤، في النسب تأليف الشريف عبدالله بن محمد
 سراج الدين بن السيد عبدالله الرفاعي .

(٢) في كامل المبرد ج ٣ ص ٢٣٦ يقال للسفلة أولاد درزة .

(٦) أحمد شوقي بك نقلته من كتابه دول العرب وعظماء

الإسلام طبع في مصر سنة ١٩٣٣ م

وثار للثارات زيد بن علي	بن الحسين بن الوصي المرتضى
يطلب بالحجة حق بيته	والحق لا يطلب إلا بالقنا
فتى بلا رأي ولا تجربة	جرى عليه من هشام ما جرى
اتخذ الكوفة درعاً وقناً	والأعزل الأكشف من فيها احتمى
من تكفه الكوفة يعلم أنها	لا نصر عند أهلها ولا غنى
سائل علياً فهو ذو علم بها	واستخبر الحسين تعلم النبا
فمات مقتولاً وطال صلبه	وأحرقت جثته بعد البلا

(٧) الشيخ يعقوب النجفي المتوفى سنة ١٣٢٩ هـ

يبكي الإمام لزيد حين يذكره	وإن زيدا بسهم واحد ضربا
فكيف حال علي بن الحسين وقد	رأى أباه لنبل القوم قد نصبا

(٨) الأستاذ العلامة الشيخ ميرزا محمد علي الأوردبادي

أبت علياؤه إلا الكرامه	فلم تقبر له نفس مضامه
ولم تركز مقاماً لابن طه	سوى الصهوات أو دار المقامه
فذرورة منبر أو صدر دست	وصهوة سابح وعقود لامه
فتى ملء الردى شرف ولكن	على شكل الهدى عقد العمامه
وإن درّت يداه ندى سجالات	فلا يدرى بأيهما الغمامه
لمثل أكفه تخذ المطايا	وفيها يوم ظعنك والإقامه

وحسب ابن النبي أثيل مجد
ومن خلف الحبا كرم وبأس
فإن أمّ المقانب منه أضحت
يوم الطرف بحرأً من نجيع
وأذكى بالمهند جمر حرب
لقد أربى به عن كل خسف
فلا تحسب هواناً فيه لما
فلم يعشق سوى العلياء حتى
قضى حق العلى فقضى كريماً
مضى مستمراً جرع المنايا
فإما أثخنوه ضحى جراحاً
وإن يقتل فكم للطهر طه
وسهم شكّ منه جبين قدس
ألا إن المشانق قد أقلّت
وحلق نفسه عن كل هون
ليبك دماً لفقد صريح فهرٍ
فقد بكت البلاد لفقد ندب
له الحرم المقدس ناح شجواً
فيا ابن العسكريّ إلى م تغضي

على هام السماء بنى خيامه
ويسري الرعب كيف سرى أمامه
كطير بين قادمتي نعامه
تضمن قعره جثثاً وهامه
أعاصير الردى أورت ضرامه
له شمم وليس به عرامه
رقى من غارب العليا سنامه
على أعوادها ألفى حمامه
عداه اللوم إذ قضت الشهامه
له شرف الإبا طوق الحمامه
فقد خدشوا النبوة والإمامه
دم في آل حرب أو ظلامه
عداه الرشد يوم عدا السلامه
صراح المجد مرتكز الزعامه
فظنوا أنه أذروا رمامه
مناط العز منبثق الكرامه
تذيل له الدموع ذرى تهامه
فأصبح حله يقفو حرامه
وفي الهامات تستسقيك هامه

(٩) الأديب السيد مهدي الأعرجي :

خليلي عوجا بي على ذلك الربع لأسقيه إن شحّ الحيا هاطل الدمع

وقفت به والدمع في معرك الأسي
 أسائل عن سكانه أين يمسوا
 سروا عن مغانيهم قتلك عراصهم
 وقد تركوني أرقب النجم بعدهم
 ولأئمة لم تدر ما الحزن والبكا
 تقول أتبكي للديار وأهلها
 فقلت دعيني فالأسي يجلب الأسي
 فلاني أورّي بالديار وإنما
 بنفسي قتيلاً خضّب السهم وجهه
 وأخفوا عن الأعداء خوفاً ضريحه
 فلهفي على مثواه ضيعة العدى
 فأخرجه الطاغى وأحرق جسمه
 بنفسى مرفوعاً على الجذع شخصه
 يخال وأفواج الورى حول جذعه
 تورث من آبائه ذلك الإبا
 وأظهر يوم السبط بالطف يومه
 فيا جذع زيد حلفةً بجلاله
 لسودت وجه النخل يا جذع صلبه

يحاربني صبري وما لي من ذرع
 وغير صداه لا يرد على سمعي
 خوالٍ وما فيها سوى جثم سفح
 فللشهد عيني والأنامل للقرع
 لها مهجة ما أمّها الوجد بالصدع
 وقد شحطوا عنها وتجزع للجزع
 ولا تعذّليني ليس ذلك في وسعي
 بكائي على (زيد) الصليب على الجذع
 ومذ نزعوه مات في ساعة النزع
 فواروه عن نبش بساقية الزرع
 كما ضاع قبلاً قبر مكسورة الضلع
 وذاك من الطاغين ما هو بالبدع
 كذا مفرد الأعلام يعرف بالرفع
 خطيباً على الأعواد يخطب في جمع
 وأشبههم نفساً عن الضيم بالدفع
 وما ينطوي بالأصل يظهر بالفرع
 وذلك أقصى منتهى الصدق والقطع
 فبعدك ود النخل يبقى بلا طلع

(١٠) العلامة السيد علي النقي النقي (لكنهو)

أبى الله للأشراف من آل هاشم سوى أن يموتوا في ظلال الصوارم

يرون المنايا الحمر غاية قصدهم
إذا ولدوا يبكون من خشية البقا
لهم وقفات في مجال حروبهم
فمن قاذف فوق الصعيد بروحه
ومن مرتقٍ فوق المشانق نعشه
كفاهم بيوم الطف كارثة لها
وقد ثنيت في (زيد) الطهر إذ غدا
غداة انبرى بالمشرفي مشمراً
دعا يا لثارات الحسين فأقبلت
فخاضوا غمار الموت دون رئيسهم
وأصبح زيد الخير في البيض والطبا
فجاهدتهم حق الجهاد بعزيمة
ويحمى وطيس الحرب فيهم بسطوة
إلى أن رموه بالسهام وأحدقوا
فأُتخن جرحاً وارتوت من دمائه
هوى فوق رمضاء الصعيد مرملاً
وقد وزعت أشلاءه البيض والقنا
ولم تكتفِ الأعداء حقداً بقتله
فجروا إلى نعش القتل جريرة
أيصلب زيد في البرية جهرة

وللبيض يعتمون خضر العمائم
ويقضون إذ يقضون في ثغر باسم
مضوا فقضوا فيها حقوق المكارم
برمح عدو أو صفيحة ظالم
تداوله أيدي الرياح النسائم
مدى الدهر نبكي بالدموع السواجم
درية طعن للرماح القواصم
وشدَّ على الهيجا حيازم حازم
مصاليت حرب كالأسود الضراغم
ولاقوا المواضي بالطلا والغلاصم
كمثل حسين في الطبا واللهازم
تشب لظى في الماقت المتلاحم
تنادي بأن الليث من ولد فاطم
به زمراً كالعارض المتراكم
صدور العوالي كالطيور الحوائم
فقل قد هوى ركن لأسرة هاشم
فكان لكلِّ حظه بالتساهم
ولم تأل جهداً باحتقاب المآثم
رمتهم بخزي في البرية دائم
وما أحد في المسلمين براحم

وما أصلّلت بيض الطُّبا عن غمودها ولا أذكيت للثّار نار العزائم

(١١) الأستاذ الشيخ جعفر النقدي :

يا منزلاً بالبلا غيَّبَن أرسمه
أهدي إليك سلاماً ملؤه شجن
هل من سبيل إلى يوم يساعدي
لله قلبي فكم خطب تحمله
جار الزمان على أهل الهدى وغدا
أعطى يداً لبني مروان فانقلبت
تحكمت فاستباحث ما يحلله
وقدمت بهواها من يؤخره
فأنهضت بالطُّبى (زيداً) حميته
وثار كالليث لا تلوى عزيمته
وشبّها للسما حمراء ساطعة
لكنّ صرف القضا أمضى مقدّره
أصابه السهم مسموماً بجبهته
هوى وقد نال منه السهم قل جبل
يا ميتاً ناح أصحاب الكساء له
ويا قتيلاً له عين الوجود همت
لم يرض بالأرض أن تغدو له سكناً
يبكيه شجواً على بُعد متيمه
نوحاً ملأت الفضا لو كنت تفهمه
دهري فأخضع في مغناك ألثمه
به الليالي وكم صعب تجشمه
من كان من شيعة الكرار يظلمه
عقول الشرك للتوحيد تهدمه
دين الهدى وأباحث ما يحرمه
وأخرت بأذاها من يقدمه
لرغم من بات للإسلام يرغمه
وقلبه الغيظ يذكيه ويضرمه
كادت لملك بني مروان تلهمه
وعاق مسعاه ما يقضي محتمه
فسال فوق الثرى من وجهه دمه
عالي الذرى طاح فوق الأرض معظمه
كما بكاه من التنزيل محكمه
دماً يخضب وجه الكون عنده
فراح ينحو السماء والجذع سلّمه

له الفضاء ارتدى بُرد الحداد وقد
أهانته آل مروان ببغيهمو
تظله الطير مصلوباً وقد بعثت
وتحمل الريح منه نشر غالية
يا جذعه طلّ على الأفلاك مفتخراً
(أبا الحسين) بكت عين السماء دماً
يا ليت من سهمه أرداك حين رمى
وليت رجساً عدا بالشتم يوم عدا
وليت من أضرموا تلك العظام بهم
إن تفد دين الهدى بالنفس لا عجب
أو خانك القوم غدراً بعدما نقضوا
(فجدك السبط) حلّوا عقد بيعته
حتى جرى ما جرى في كربلاء فسل
صلى عليك إله العرش ما برحت

أقيم في العالم العلويّ مأتمه
والدين للعلم والتقوى يعظمه
أشعة الشمس للأبصار أعظمه
من العبير على الدنيا تقسمه
بجسم من ودّت الأملاك تخدمه
عليك والأفق سوداً غبن أنجمه
يصيب قبلك منه القلب أسهمه
عليك دُقّ على أسنانه فمه
هوت من الله في الدنيا جهنمه
فالغاب يحميه حتى الموت ضيغمه
عهداً عليهم لك الباري يحتمه
من قبل والسبط لا ينحل مبرمه
ينبيك عما جرى فيه (محرمه)
عليك تترى بدار الخلد أنعمه

(١٢) الخطيب الشيخ حسن ابن المرحوم شيخ الخطباء

الشيخ كاظم سبتي :

أراك بكر تجوب السهوبا
انخها بوادي الحمى مصبحا
أبا حسن يا مبيد العدى

ترى في سراها البعيد قريبا
وناد علياً تجسده مجيبا
ومردى من قد أثار الشغوبا

ويا قالع الباب في خيبر
ومن كان في أحد ثابتا
فأنت بكل وغى معلم
كأنك لم تدر ما قد جرى
قعدت كأن لم تكن عالما
أبيدوا فلم يحوهم موطن
فهذا بسم ابن صخر قضى
قضى ظامياً وزعته الضبا
وبعض أسير بأيدي العدى
فسلباً وضباً وسباً له
قعدت وام الرزايا اتت
تقود جيوش خنى ساقها
فجالهم جولان الرحى
جواد إذا أمه قاصد
أبى وما مثله في الإبى
كي يروعههم إن سطا
فكسر بالضرب بيض للضبا
فجذ أكفاً وهاماً برى
وليس بمستغرب منه أن
ومن يوم بدر ملكت القليبا
عن المصطفى قد أزال الكروبا
تريهم لدى الروح يوماً عصيبا
بابناك طراً شباباً وشيبا
بما كابدوا من عداهم خطوبا
وكلا تراه طريداً غريبا
وذاك بسيف ابن هند اصيبا
ورهن الثرى ظل ملقى تريبا
رأى من مناويه شيئاً عجيبا
وهتك حريم ورحلاً نهيبا
لكوفان تدوى دويماً مريباً
هشام تسد الفضاء الرحيبا
سليلك زيد يشب الحروبا
يرى مربعاً للمريح خصيبا
عزيز أبا ذلة أن يجيبا
وإن ثبتوا زاد فيهم رسوبا
وللسمر حطم منها كعوبا
وبت رقاباً وشق قلوبا
أراهم بكوفان أمراً غريبا

أبوه علي فحق له
إلى أن أباد جموع الهدى
فشج محياً له طالما
فخر كبدر بدا لكنه
فشلت يد قد رمت رمت
فيالته قد رأى نجله
يرى جذعه منبراً عالياً
فلا أحرب النخل في طلعه
أيا نخل كوفان يبساً ترى
أيصلب فوقك جهراً أبو
أيا نهر زائدة لا جرى
فلم تحمي يا نهر جثمان من
فهلا حفظت به المصطفى
وهلا ضمنت احتراماً له
فتبت يد أوقدت نارها
وذرت من بعد ذا في الهوى
ألا فاندبوا ما نكرتموا
على مثل زيد حقيق بان
فمن فوقه العنكبوت اغتدى

لدى الدروع عن حيدر أن ينوبا
رمته يد الكفر سهماً مصيباً
يخر لباري السماء منيباً
بأفق الكناسة أبدى غروباً
عزيزاً لزين العباد حبيباً
على الجذع بين الأعادي صليباً
وقد قام زيد عليه خطيباً
وللصلب شالوا عليه نقيباً
ألا لا ترى لك جذعاً رطيباً
الحسين الأبى معرى سليباً
بأرضك ماء وغار نضوباً
على الدين صبراً حميداً أصيباً
فتستر زيد الشجاع المهيباً
من النش والحرق جسماً خضيباً
إلى حرقه سوف تصلي لهيباً
به الريح تغدوا دبوراً جنوباً
مصيبة زيد وزيدوا النحيباً
نشق القلوب أسى لا الجيوباً
له ناسجاً برد ستر قشيباً

وهل غيره أسلبت بطنه لتستر جنبه شلواً سليبا
فذب كمداً يا فؤادي لمن له قلب زين العباد اذيبا

هذا آخر ما وقفنا عليه من حياة الشهيد (زيد)، وأولاده
الأربعة، والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على خير خلقه
«محمد» ﷺ وأهل بيته الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً.

تنزيه
المختار بن أبي عبيد
ابن مسعود الثقفي

تأليف
السيد عبد الرزاق المقرم

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على خير خلقه نبينا الأكرم محمد ﷺ وآله المعصومين، وبعد فبما أن القارئ لكتاب «زيد» يقف في غضونه على ذكر المختار بن أبي عبيد الثقفي الذي أهدى أم زيد «الحوراء» إلى الإمام السجاد عليه السلام ولعله يتلجلج في صدره ما كثر من الجلبة واللغظ حول مقام المختار النزيه عن كل ما يشين موالاته لأهل البيت، وحيث إن جميعها من رواة الباطل وحملة الأكاذيب فقد حتم علينا العلم والعرفان إبداء الملاحظات عليها طلباً للحقيقة وخدمة لأهل البيت بالإحسان إلى تلك الذات التي تحملت القذف من أعداء آل محمد ﷺ، وكابدت الجهود في استئصال شأفة أتباع الأهواء وحلفاء المطامع وطهرت الأرض من أولئك الأرجاس قتلة أولاد النبيين.

وإليك كلمات ضافية تشف عن أن هذا البطل المحبوب لم

يندفع إلى ما عاناه من المشاق والغوص في أوساط المعامع والحروب الطاحنة والضرب في أعراض زبانية الفساد، إلا بدافع ديني، ألا وهو ولاؤه الخالص، وإيمانه المحض بأئمة أهل البيت عليهم السلام، فكان يرى من واجبه الديني اجتياح ما هناك من أصول الجور وجراثيم النفاق، فلا يذهب ثأر الله تعالى وترّاً موتوراً، وهنا نستطرد إلى شيء من سيرته مقدمة للبحث وإيقافاً للقارئ على حقائق راهنة:

تعريف المختار

هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو بن عوف بن عبدة بن عوف بن ثقيف الثقفي، ولد عام الهجرة، وأمه دومة بنت وهب بن عمرو بن معتب تزوجها أبو عبيد بعد امتناعه من التزويج بنساء قومه، لرؤياً رآها في المنام، كأن قائلاً يقول له: تزوج دومة فما تسمع للائم بها لومة، فأخبر أهله وتزوجها، فولدت له المختار وأنجبت به، وجبراً، وأسيداً وصفية^(١)، وأبا جبر، وأبا الحكم، وأبا أمية^(٢)، وكني المختار أبا إسحاق أحد أولاده وهو ومحمد أمهما أم ثابت بنت سمرة بن جندب الفزاري، وله عقب كثير بالكوفة من زوجاته الأخر^(٣). ويلقب كيسان، وسببه على ما

(١) معارف ابن قتيبة ص ١٣٨.

(٢) أخذ الثأر لابن نما.

(٣) المعارف: ص ١٣٨.

يحدث به الأصبع بن نباتة: أن أباه جاء به إلى علي عليه السلام وهو صغير فأجلسه على فخذه وقال له وهو يمسح على رأسه: «يا كيس، يا كيس»^(١).

إن هذه الكلمة من علي تملي علينا درساً بليغاً، ومعرفة تامة في نظراته البعيدة الصادقة ومغيباته الواقعة، في ما يظهر على يد المختار من مظاهر السداد، وأفعال ذوي الحجى من الأخذ بحقهم، وطلب ترتهم المشفوع ذلك بالحزم والكيس، فهو من أنباء الغيب ومخبات المستقبل، ونستنتج من تدوينها وتحمل روايتها والاهتمام بها، واشتقاق لقبه منها، أنها اكتنفت لما لفظها عليه السلام من فيه بما دل على أنها أشربت رمز مستقبله، وألمعت إلى الحوادث التي يقوم بها وكشفت حاشية من الستر المرخى على ذلك السر الإلهي، فهي إما نبوة، أو فراصة. ومن البعيد الغريب أنه عليه السلام يريد أن يصف ذلك الطفل الصغير الذي أجلسه في حجره ومسح على رأسه بمؤدى هذه الكلمة في عهد الطفولة، فإنه مما يأباه الوجدان وتحكم ببطلانه البدهة.

لقد كان المختار يحسب لهذه البشارة حساباً ويحدث نفسه بها، والأحاديث التي أوردها ابن نما تدلنا بكل وضوح على اعتقاد المختار بمغزى تلك الكلمة الذي حاوله الإمام «علي»، وإليك الأحاديث:

(١) رجال الكشي: بترجمة المختار.

«أ» إن المختار لقي معبداً الجدلي «جديلة قيس» فقال له : يا معبد إن أهل الكتب ذكروا أنهم يجدون رجلاً من ثقيف يقتل الجبارين وينصر المظلومين ويأخذ بثأر المستضعفين ووصفوا صفته فلم يذكروا صفة في الرجل إلا وهي في غير خصلتين : أنه شاب وقد جاوزت الستين ، وأنه رديء البصر وأنا أبصر من عقاب ، فقال معبد : أما السن فإن ابن الستين والسبعين عند أهل ذلك الزمان شاب ، وأما بصرك فما تدري ما يحدث الله فيه ولعله يكلّ قال عسى ذلك .

«ب» إن ابن زياد حبس المختار وميثماً التمار وعبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب الملقب «ببه» ، فطلب عبد الله حديدة يزيل بها شعر بدنه ، وقال لا آمن من ابن زياد القتل فأكون قد ألقيت ما على بدني من الشعر ، فقال المختار والله لا يقتلك ولا يقتلني ، ولا يأتي عليك إلا القليل فتلي البصرة ، وميثم التمار يسمعهما ، فقال للمختار : وأنت تخرج ثائراً بدم الحسين عليه السلام فتقتل هذا الذي يريد قتلنا ، وتطأ بقدميك على وجنتيه ، فكان الأمر كما قالوا . ولي عبد الله البصرة ، وخرج المختار طالباً بثأر الحسين عليه السلام .^(١)

(١) أخذ الثأر لابن نما ، وعبد الله هذا ابن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، يلقب ببه ببائين مفتوحتين مع تشديد الثانية ، وهو حكاية صوت صبي كانت امه هند بنت أبي سفيان ترقصه =

«ج» سائر المختار المغيرة بن شعبة أيام ولايته من قبل معاوية فمرّ بالسوق فالتفت المغيرة يخاطب المختار ويقول: يا لها غارة، ويا له جمعاً، إني لأعلم كلمة لو نعق لها - ولا ناعق لها - لا تبعوه ولا سيما الأعاجم الذين إذا أُلقي إليهم الشيء قبلوه، فقال له المختار: وما هي يا عم، قال: يستادون بآل محمد ﷺ فأغضى عليها المختار.

لم تزل هذه الكلمة تتردد في نفسه حتى أصاب لها موقعاً فإنه بعد قتل الحسين أخذ ينشر فضل آل محمد ﷺ، ويتوجع لما أصابهم، وكان على يقين من تحقق تلك البشائر معتقداً أن المولى سبحانه وتعالى سيوليه تلك المكربة مؤيداً بنصره عندما يرفرف على رأسه طائر الظفر ويخفق أمامه علم الفتح.

ومن هنا نشاهده يقول للصقعب بن زهير الأزدي وقد اجتمع به في «واقصة» بعد أن أطلقه ابن زياد وأمره بالخروج من الكوفة إلى

= بذلك الصوت. ولد في حياة النبي ﷺ وتوفي سنة ٧٩ هـ قتله السموم ودفن بالأبواء، وقيل توفي سنة ٨٤ بعمان عند انقضاء فتنة الأشعث خرج إليها هارباً من الحجاج، واستعمله عثمان بن عفان على مكة وبعد هلاك يزيد بن معاوية بايعه أهل البصرة وبقي أميراً عليهم سنة ثم عزل ولما تمت البيعة لابن الزبير صعد المنبر وبايع له ولم يزل كذلك حتى نعس فجعل يبايعهم وهو نائم ماداً يده فقال سحيم بن وثيل اليربوعي (بايعت أيقاظاً فأوفيت بيعتي، ويبة قد بايعته وهو نائم)، خلف من الولد ثلاثة، عبد الله وعبيد الله، وإسحاق.

الحجاز فقال له الصقعب ما لي أرى عينك على هذا الحال، قال فعل بي ذلك ابن زياد قتلني الله إن لم أقتله وأقطع أعضائه، ولأقتلن بالحسين عدد الذين قتلوا يحيى بن زكريا وهم سبعون ألفاً. ثم قال: والذي أنزل القرآن وبين الفرقان وشرع الأديان وكره العصيان لأقتلن العصاة من أزد عمان، ومذحج وهمدان، ونهد خولان، وبكر وهزان وثعل ونبهان، وعبس وذبيان، وقبائل قيس عيلان غضباً لابن بنت نبي الرحمن. وحق السميع العليم العظيم العدل الكريم الرحمن الرحيم لأعركن عرك الأديم بني كندة وسليم والأشراف من تميم.

نشأته

نشأ المختار شريفاً في نفسه عالي الهمة كريماً^(١) مقداماً شجاعاً مجرباً لا يتقي شيئاً ويتعاطى معالي الأمور، قوي النفس شديداً على الأعداء، وكان ذا عقل وافر ورأي مصيب خصوصاً بقواعد الحرب والغلبة على العدو كأنه مارس التجارب فحنكته أو لابس الخطوب فهذبته ممزوجاً بنباهة واستحضار للجواب وسخاء موفور، ولا بدع في كل ذلك لمن تفرع من تلك الشجرة «العظيمة في القريتين»^(٢) وتربى في حجر كبير من كبراء المسلمين وقائد

(١) الفخري: ص ٨٩.

(٢) في معارف ابن قتيبة: ص ١٧٥ كان جده مسعود هو المراد من قوله تعالى

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾

فاتك من قوادهم (أبي عبيد بن مسعود) المقتول يوم الجسر في جيش سيره بقيادته عمر بن الخطاب لمحاربة الفرس في السنة الثالثة عشرة من الهجرة، وكان اللواء بيده، ولما قتل أبو عبيد أخذ اللواء أخوه الحكم فقتل، فأخذه ابنه جبر فقتل^(١) وفي هذه الواقعة كان المختار يتفلى للقتال فيمنعه عمه سعد بن مسعود.

انقطاعه إلى بني هاشم

انقطع إلى بني هاشم ولازم أهل البيت فاستفاد منهم أدباً جمّاً وأخلاقاً فاضلة وناصح لهم في السر والعلانية ومن ذلك نزول «مسلم بن عقيل» في داره لما ورد الكوفة وبيعته له. ولم يمنعه من الخروج معه إلا تعجل مسلم الخروج قبل الأجل الذي كان بينه وبين أصحابه. وكان المختار آنئذ في قرية له تدعى «لقفا» فبلغه ما جرى على مسلم فجاء بمواليه إلى الكوفة يحمل راية خضراء ومعه عبد الله بن الحارث رافعاً لواءً أحمر فانتهى إلى باب «الفيل» ووضح لديهما قتل مسلم وهاني وأشير عليهما بالدخول تحت راية (عمرو بن حريث) ليأمنّا على دمهما ففعلاً وحفظ دمهما ابن حريث بشهادته عند ابن زياد باجتنابهما مسلم

(١) فتوح البلدان للبلاذري: ص ٢٦١. وفي تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٦٩،

تتابع على حمل اللواء بعد أبي عبيد سبعة من ثقيف كلهم ماتوا تحت اللواء ولم يسمّهم.

بن عقيل فقبل منه بعد أن شتم المختار واستعرض وجهه بالقضيب فشر عينه ثم أمر بهما فسجنا وبقياً في السجن إلى أن قتل الحسين عليه السلام فكتب المختار إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب وكان زوج أخته (صفية) أن يشفع له عند يزيد بن معاوية ففعل وشفعه يزيد وأمر ابن زياد بإطلاقه من السجن بعد أن أجله بالكوفة ثلاثاً ليخرج إلى الحجاز وإلا أعاده إلى السجن . وتشفعت هند بنت أبي سفيان بابنها عبد الله بن الحارث فأطلق من السجن .

اجتماعه بابن الزبير

لما أطلق المختار من سجن ابن زياد وعرف أن لا بقاء له في الكوفة لم يرَ بداً من الذهاب إلى الحجاز والاجتماع بابن الزبير لخروجه عن طاعة يزيد بن معاوية وإن لم يوافق في المبدأ، لأنه علوي الرأي وابن الزبير عثماني العقيدة، غير أن الظروف ألجأته إلى الإقامة معه خمسة أشهر، ولم تفته في هذه المدة محاربة أهل الشام وله في ذلك المقام المحمود .

عوده إلى الكوفة

وبعد موت يزيد فارق ابن الزبير ورجع إلى الكوفة للطلب بدم (شهيد الطف)، لأن هنالك مجتمع أعدائه عبدة الأهواء

والمطامع. وأول شيء أظهره بالكوفة حسن السيرة، والتأليف بين الناس كيلا تنذر به أعداؤه فيفوته المقصود من الأخذ بثأر الحسين. والتف حوله ممن لم يشاهد حرب الحسين عدد كثير لقبوا بالحسينية^(١). وبايعوه على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ والطلب بدم الحسين والدفع عن الضعفاء^(٢). ولما استتب له الأمر خطب أصحابه وفي ما قال لهم: ما من ديننا ترك قوم قتلوا الحسين يمشون أحياء في الدنيا اطلبوا لي قتلة الحسين فإنه لا يسوغ لي الطعام والشراب حتى أظهر الأرض وأنقي المصر منهم). هذه نفسية المختار التي اندفع إلى الهتاف بها بدافع الولاء الذي انطوت عليه أحشاؤه على حين أن الظروف لم تكن تساعد على هذه المصارحة لكون جملة من التف حوله لا يرى علياً أول الخلفاء، ومنه نعرف الأهمية في دعوة المختار التي اتخذها أمام الناس للاجتماع وإتمام البيعة.

نهضته بالكوفة

نهض المختار بالكوفة لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة ست وستين، وبقي إلى شهر رمضان من سنة سبع وستين، فكانت ولايته ما يقارب الثمانية عشر شهراً، فجدد في الأمر وبالع

(١) مروج الذهب: ج ٢، ص ١١٤.

(٢) أمالي الشيخ الطوسي وكامل ابن الأثير: ج ٤، ص ٨٨.

في النصره وتتبع أولئك الأرجاس، فقتل على ما يحدث «ابن نما» ثمانية عشر ألفاً ولكثرة الفتك والقتل هرب إلى البصرة من أشرف الكوفة زهاء عشرة آلاف رجل والتحقوا بمصعب^(١) وكان فيهم شيث بن ربعي جاء راكباً بغلة قد قطع ذنبها وقطع أطراف أذنها في قباء مشقوق وهو ينادي وا غوثاه فقال الأشرف لمصعب^(٢) سر بنا إلى محاربة هذا الفاسق الذي هدم دورنا وأخذوا يحرضونه على ذلك.

حصاره بقصر الإمارة

بالرغم من ذلك الجد والجهد شئت الأقدار أن يحاصره ابن الزبير بقصر الإمارة مع أربعمائة رجل من أصحابه ثلاثة أيام^(٣) وفي الأخبار الطوال أربعين يوماً حتى فني طعامهم وكان معه في القصر صاحب رسول الله ﷺ أبو الطفيل عامر بن واثلة ولما اشتد الأمر رمى بنفسه من القصر وأفلت فلم يقتل وقال^(٤)

لما رأيت الباب قد حيل دونه تكسرت باسم الله فيمن تكسّرا
ولأربع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان خرج المختار بمن

(١) الأخبار الطوال: ص ٢٩٥.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٧، ص ١٤٦.

(٣) الفرق بين الفرق: ص ٣٧.

(٤) الأغاني: ج ١٣، ص ١٦٠.

معه مستميتين فقتلوا وقتل المختار عند موضع (الزياتين) أخوان من بني حنيفة يقال لأحدهما طارف والآخر طريف ابنا عبد الله ابن دجاجة^(١)، وجاءا برأسه إلى مصعب بن الزبير فأجازهما بثلاثين ألف درهم. ثم قطع كفه وسمرها إلى جنب المسجد الأعظم بمسمار حديد، واستمرت على هذا الحال إلى أن استولى الحجاج فذكرت له فأنزلها وكفنها ودفنها معه، ثم بعث مصعب الرأس إلى أخيه عبد الله فلم يدفع لحامله شيئاً وقال له: خذ الرأس جائزتك.

مصعب وحرمة المختار

لما قتل المختار تتبع مصعب أصحابه بالكوفة فقتل من الناهضين معه سبعة آلاف رجل كلهم خرجوا للطلب بدم الحسين (عليه السلام). ثم بعث على حرم المختار ودعاهن إلى البراءة منه ففعلن إلا امرأتان له إحداهما أم ثابت بنت سمرة بن جندب الفزاري وثانيتها عمرة ابنة النعمان بن بشير الأنصاري، قالتا: كيف نتبرأ من رجل يقول ربي الله وكان صائماً نهاره قائماً ليله، قد بذل دمه لله ولرسوله ﷺ في طلب قتلة ابن بنت رسول الله وأهله وشيعته فأمكنه الله منهم حتى شفى النفوس، فكتب مصعب

(١) هذه رواية الدينوري وفي معارف ابن قتيبة: ص ١٧٦، قتله صراف بن يزيد الحنفي.

إلى أخيه عبد الله بخبرهما، فكتب إليه إن رجعتا عما هما عليه وتبرأتا منه وإلا فاقتلتهما فعرضهما مصعب على السيف فرجعت ابنة سمرة بن جندب ولعنته وتبرأت منه وقالت: لو دعوتني إلى الكفر مع السيف لأقررت أشهد أن المختار كافر، وأبت ابنة النعمان بن بشير وقالت: شهادة أرزقها ثم أتركها كلا إنها موة ثم الجنة والقُدوم على الرسول وأهل بيته، والله لا يكون آتي مع ابن هند فأتبعه وأترك ابن أبي طالب، اللهم اشهد أنني متبعة نبيك وابن بنته وأهل بيته وشيعته^(١)، فأمر بها مصعب فأخرجت إلى ما بين الحيرة والكوفة وقتلت صبراً وفي قتلها يقول عمر بن أبي ربيعة القرشي^(٢):

إن من أعجب العجائب عندي قتل بيضاء حرة عطبول
قتلت هكذا على غير جرم إن لله درها من قتل
كتب القتل والقتال علينا وعلى المحصنات جر الذبول

وقال سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت في ذلك:

(١) مروج الذهب: ج٣، ص ١١٤.

(٢) تاريخ الطبري: ج٧، ص ١٥٨، ويخالفه الدينوري في روايتها إلا في صدر البيت الثاني ففي روايته (قتلوهها بغير ذنب سفاهاً) وفي رواية المسعودي (قتلوهها ظلماً على غير جرم) وأبدل في عجز البيت الثالث المحصنات بالغانيات. وللعقد الفريد: ج٣، ص ٣٢٥، خلاف في الأبيات.

أتى راكب بالأمر ذي النبأ العجب
 بقتل فتاة ذات دل ستيرة
 مطهرة من نسل قوم أكارم
 خليل النبي المصطفى ونصيره
 أتاني بأن الملحدين توافقوا
 فلا هنأت آل الزبير معيشة
 كأنهم إذ أبرزوها وقطعت
 ألم تعجب الأقسام من قتل حرة
 من الغافلات المؤمنات بريئة
 علينا كتاب القتل والبأس واجب
 على دين أجداد لها وأبوة
 من الخفريات لا خروج بذية
 ولا الجار ذي القربى ولم تدرِ ما الخنا
 عجبت لها إذ كفت وهي حية

بقتل ابنة النعمان ذي الدين والحسب
 مهذبة الأخلاق والخيم والنسب
 من المؤثرين الخير في سالف الحقب
 وصاحبه في الحرب والنكب والكرب
 على قتلها لا جنبوا القتل والسلب
 وذاقوا لباس الذل والخوف والحرب
 بأسيا فهم فازوا بمملكة العرب
 من المحصنات الدين محمودة الأدب
 من الذم والبهتان والشك والكذب
 وهن العفاف في الحجال وفي الحجب
 كرام مضت لم تخن أهلاً ولم ترب
 ملائمة تبغي على جارها الجنب
 ولم تزدلف يوماً بسوء ولم تخب
 ألا إن هذا الخطب من أعجب العجب

موضع دفنه

بقي المرقد المطهر حقباً من الزمن مندرس الآثار عبث به
 أيدي رجال ما زالوا ولن يزال أعقابهم يهتفون بالقدح في نفسه
 الزاكية ويضعون الحديث أثر الحديث في الحط من كرامته
 وتلويث ذاته الطاهرة. وبالرغم من كل دعاية باطلة قيص الله

سبحانه وتعالى لبعض أوليائه الصالحين البحث والتفتيش عن ذلك المرقد المقدس وهدهد بنور لطفه إلى موضع جسده الزاكي . لقد شاعت الآثار وتواتر النقل بين ذوي الفضل ومن لهم الوقوف والخبرة بمساعي العلماء المشكورة ، أن العلامة الشيخ عبد الحسين الطهراني لما تشرف بزيارة الأعتاب المقدسة بالعراق ، ونهض بعمارتها أخذ يفحص عن مرقد المختار في مناحي مسجد الكوفة لتجديد عمارته ، وكانت علامة قبره في صحن «مسلم بن عقيل» الملاصق «للجامع الأعظم» فوق الدكة أمام حرم «هاني بن عروة» وبعد أن حفر الموضع ظهرت فيه آثار تدل على أنه كان حماماً ، فعفى الأثر وأخذ في الفحص والتفتيش وبيننا هو بهذا الحال أفاده العلامة السيد رضا ابن آية الله السيد محمد مهدي بحر العلوم قدس سره : أن أباه أخبره بأن مرقد المختار في الزاوية الشرقية بجانب الحائط القبلي من مسجد الكوفة «حيث يعرف قبره الآن» ، وكان السيد بحر العلوم يأمر من حضر معه في المسجد بقراءة الفاتحة للمختار ويقف في هذا الموضع فأمر الشيخ عبد الحسين بحفر الموضع فظهرت فيه صخرة مكتوب عليها هذا قبر المختار بن أبي عبيد الثقفي فعلم المكان وأظهر القبر وعمره ، وقد نقش على جبهة الباب الذي ينتهي منه إلى قبره «قد أمر السيد مهدي بحر العلوم والشيخ جعفر كاشف الغطاء بأن يشيد هذا ضريحاً للمختار وعينا هذا الموضع قبراً له» .

عقيدة المختار

من الحقائق الراهنة التي يجب على العاقل الإذعان بها بمجرد اعتبار نهضته المقدسة التي كان فيها رضا الأئمة وبها استحق المدح والإطراء منهم كما ستعرف في أحاديث المدح والثناء عليه ومنه يتجلى بوضوح كونه راسخ الولاء لأهل البيت صلب الإيمان بهم حسن العقيدة طاهر الضمير في محبتهم وليس في دعوته لابن الحنفية اعتراف بإمامته وإنما هو لضرب من التدبير وتمويه في السياسة يقصد به تنزيه مقام «السجاد عليه السلام» عن كل ثورة أقيمت ضد سلطان الضلال وحفظاً لشخص الإمامة عن أن تناله يد السوء والبغضاء. كما أن موافقة ابن الحنفية لم تكن منبعثة عن الرغبة في الخلافة لأن إطاعته وتسليمه الأمر «للسجاد» لا يختلف فيه اثنان. واستدعاؤه الإمام للمحاكمة عند الحجر الأسود من أكبر الشواهد على نزاهته وتفننه في تنبيه الناس لمن يجب عليهم الانقياد له وإنما لم نشاهده غير مكذب لما نسب إليه المختار من الإمامة لأنه أراد من جهة ذلك اغتنام الفرصة لأخذ ثأره من أولئك الطغاة عبدة المطامع حيث عرف أن هذا الأمر لا يتم له إلا من هذا الطريق، فمن هنا لم يكذب المختار في هذه الدعوة بل أيده بتحريض الشيعة على اتباعه ومساعدته على الطلب بدم (شهيد الطف). ويشهد له قوله: (يزعم المختار لنا شيعة وقتلة

الحسين جلساؤه على الكراسي يحدثونه^(١). ومما تقدم ويأتي نعرف الزور في ما نسبته الشهرستاني في (الملل والنحل) إلى ابن الحنفية من تكذيبه المختار والطعن عليه وحث الشيعة على الإعراض عنه زعماً منه تلويث ساحة المختار بتلك المفتريات وقد غفل عن أن ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾.

المختار في نظر أهل البيت عليهم السلام

تعرفنا أحاديث أهل البيت منزلته العالية عندهم وتكشف عن ولائه الصريح لهم، فمن تلك الأحاديث ما يحدث به الحافظ الثبت أحمد بن محمد المعروف بابن عقدة من ترحم الصادق عليه. ويزيد الكشي عليه نهى الإمام الباقر عن سبه ولعنه فيحدث عند ترجمة المختار في رجاله أنه عليه السلام قال: لا تسبوا المختار فإنه قتل قتلنا وزوج أرامنا وقسم فينا المال على العسرة.

فإن النهي عن سبه دليل الرضا بفعله وحسن سريرته ولو كان الإمام يعلم منه ما يوجب الطعن لما نهى عن سبه، كما أنه لم ينه عن سب المضلين. وتعليقه بأنه قتل قتلنا دالاً على أن ما فعله المختار ودعا إليه كان عن حق مبين ونية خالصة. وعلى مثل هذا جرى آباؤه الهداة مع أهل الضلال فلم يصادقوهم على مفترياتهم

(١) تاريخ الطبري: ج ٧، ص ١٢٧.

ولم يؤازروهم على مبتدعاتهم في حين لا تقية ولا خوف ولم يعملوا والحال هذه إلا الإصحار بالحقيقة من دون تورية أو إغماض. فهذا رسول الله ﷺ لم يصانع مسيلمة فلم يقره على دعوى النبوة في حين أنه لو صانعه لكفاه بعض المؤن. وهذا علي عليه السلام لم يسالم ابن سبأ ولم يجب طلحة والزبير إلى الباطل. وهذا الحسن عليه السلام لم يمكن معاوية من أمور المسلمين إلا بعد أن ظهر له عجز المسلمين عن مقاومته. وهذا أبي الضيم شهيد الطف لم يسالم يزيد.

وآثر أن يسعى على جمرة الوغى برجل ولا يعطي المقادة عن يد ومن هذا كله نعرف مقام المختار عند أئمة الهدى وأنه لو كان مدعيًا لباطل من نبوة أو إمامة لما تركوا عليه السلام بيان عثرته، ولما استثاروا بإطرائه والنهي عن سبه وإسداء الشكر على عمله والتأبين له والترحم عليه بباعث نفسي من دون ضرورة ولا تلجئة. حدث عبد الله بن شريك عن الباقر وفيه أن الحكم بن المختار سأله عن أبيه المختار وأن الناس طعنوا فيه، فقال الباقر: «سبحان الله أخبرني أبي والله أن مهر أُمِّي كان مما بعث به المختار أولم يبين دورنا وقاتل قتلنا وطلب بدمائنا فرحمه الله إلى أن قال مخاطبًا لابن المختار رحم الله أباك رحم الله أباك رحم الله أباك.

فإنه لو لم يكن من شيعته المقربين عنده المخلصين له في

الولاء لما ترحم عليه فإن صدور الترحم منه دليل استصواب نهضته بالكوفة ورضاه بتلك الدعوة التي اتخذها أمام العامة كمقدمة تمهيدية لمطاردة أشياع آل أمية وزياد، ولو لم يعرفه الإمام أنه طاهر الذيل نزيه النفس عما يشين موالاته لهم، لما صدر منه ذلك الترحم المتكرر ثلاثاً في حين يمكنه الإهمال والإجمال في جواب (الحكم) فيقتصر على خصوص قوله «أولم يبين دورنا وقتل قتلتنا»، ولم يعقبه بالترحم غير اللائق إلا لمن اغتتم حب أهل البيت. وحمل كلام الإمام على التقية في غير محله لأن (الحكم) لم يكن مالكاً من الأرض إلا موضع قدمه فأى بأس على الإمام لو أصرح بالحقيقة حينما جاءه رجل مسلم لا يريد إلا تحري واقع الحال لو كانت حقيقة غير ما أبداه الإمام.

المختار في نظر العلماء

من هذه الأحاديث الدالة على ترحم الإمام عليه ودعائه له بالخير المشفوع بالنهي عن سبه ولعنه، تجلّى للعلماء الأعلام صدق المختار في النية وإخلاصه في الموالاتة والدعوة لأهل البيت، فحكموا ببراءته من تلك السيئات التي قذفه بها أعداء آل محمد ﷺ، وممن جاهر بذلك ابن داود في رجاله، وابن طاووس في التحرير الطاووسي، والعلامة الحلي في الخلاصة،

والاسترابادي في حاشيته على منهج المقال^(١)، والفاضل الحائري في منتهى المقال، والسيد مصطفى في نقد الرجال، والمحقق الأردبيلي في حديقة الشيعة، والسيد يوسف بن محمد ابن محمد بن زين الدين في الجامع للأقوال، والحاج إبراهيم الخوئي في ملخص المقال، والسيد حسن البروجردي في منظومته الرجالية - زبدة المقال -، والحاج ملا علي ياري التبريزي في شرح هذه المنظومة - بهجة الآمال - والحاج ميرزا حبيب الله الخوئي في شرحه على النهج ج ٢ ص ٧٤^(٢) فإنهم اتفقوا على نزاهته من كل دنية وهتفوا بصوت واحد أنه من السابقين الأخيار.

وعلى هذا الرأي الكثير من الأصحاب، يحدثنا عنهم المجلسي في عاشر البحار وقد أطال ابن نما الحلبي في مقدمة كتابه أخذ الثأر الكلام في ذكر فضله وعرض بمن أعرض عن زيارة قبره مع قربته من الله تعالى وإخلاصه لأهل البيت فكأنهم

(١) رأيتها منسوبة إليه في نسخة مخطوطة من منهج المقال.

(٢) اعتمدنا في حكاية كلام المحقق الأردبيلي وما بعده من العلماء على رسالة كتبها في حياة المختار العلامة الباحثة الأستاذ ميرزا محمد علي الأردبادي الغروي ولقد أجاد فيها غاية الجودة والانتقان وأودع في صحائفها درراً تشف عن حياة شيخ الثأر وما له في نهضته الكريمة عند أهل البيت وشيعتهم من اليد البيضاء والذكر الخالد. ولا غرو فلأستاذ الأردبادي رسائل ممتعة ومقالات شتى منشورة وغير منشورة وكتابه (الإمام المنتظر) يمثل فضله الباهر ومكانته من الأدب والعرفان.

عدلوا من العلم إلى التقليد ونسوا ما فعله بأعداء فلذة كبد الزهراء
وبه خبت نار وجد النبي الرسول ﷺ .

الأحاديث الدامة

بعد أن عرفنا مما تقدم مقدار مولاته للأئمة الأطهار ومنزلته
عند أهل بيت الحق ارتفعت عنا كل حيرة وشبهة في ما حملة إلينا
رواة السوء من الأحاديث الدامة، فإننا لو صادقنا على سلامة
رجالها من كل خدشة لكنا في فسحة من تخريجها مخرج التقية
والخوف من السلطان وإليك الأحاديث بنصها :

(أ) مستطرفات السرائر عن كتاب أبان بن تغلب عن جعفر
ابن إبراهيم عن زرعة عن سماعة عن أبي عبد الله ﷺ قال إذا كان
يوم القيامة مر رسول الله ﷺ بشفير النار وأمير المؤمنين والحسن
والحسين فيصيح صائح من النار: يا رسول الله أغثني ثلاثاً فلم
يجبه وينادي يا حسين ثلاثاً أغثني أنا قاتل أعدائك فيقول له
رسول الله ﷺ قد احتج عليك فينقض عليه كأنه عقاب كاسر فيخرجه
من النار. قلت لأبي عبد الله الصادق من هذا جعلت فداك فقال
المختار قلت له ولم عذب بالنار وقد فعل ما فعل قال إنه كان في
قلبه شيء منهما والذي بعث محمداً بالحق لو أن جبرئيل
وميكائيل كان في قلبهما شيء لأكبهما الله في النار على
وجوههما .

(ب) تهذيب الشيخ الطوسي عن محمد بن علي بن محبوب عن محمد بن أحمد بن أبي قتادة عن أحمد بن هلال عن أمية بن علي القيسي عن بعض من رواه عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: قال لي يجوز على الصراط النبي ويتلوه علي والحسن والحسين فإذا توسطوه نادى المختار يا حسين يا أبا عبد الله إني طلبت بئارك فيقول النبي ﷺ أجبه فينقض الحسين في النار كأنه عقاب كاسر فيخرج المختار حممة ولو شق عن قلبه لوجد جبهما في قلبه .

(ج) رجال الكشي عند ترجمة المغيرة بن سعيد عن محمد بن الحسين عن عثمان بن حامد عن محمد بن الحسين عن عبد الله ابن محمد الأسدي المعروف بالمزخرف عن حبيب الخثعمي عن أبي عبد الله عليه السلام قال كان للحسن كذاب يكذب عليه ولم يسمه وكان للحسين كذاب يكذب عليه ولم يسمه وكان المختار يكذب على علي بن الحسين وكان المغيرة بن سعيد يكذب على أبي .

(د) أسرار الشهادة للدربندي عند ذكر المختار عن سعد بن عبد الله عن محمد بن خالد الطيالسي عن عبد الله بن أبي نجران عن ابن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال إنا أهل بيت صادقون لا نخلو من كذاب يكذب علينا فيسقط صدقنا بكذبه علينا عند الناس إلى أن قال وكان أبو عبد الله الحسين قد ابتلي بالمختار .

بهذه الأحاديث صال من أراد التشنيع والطعن على المختار ولو عرفها من مبتدعات رواة السوء وحملة الكذب لضرب بها عرض الجدار، كيف لا وفي طريق المستطرفات زرعة وهو من الواقفة المعدودين في خلاصة العلامة الحلي من قسم الضعفاء غير المعتنى برواياتهم. وفي طريق التهذيب رجلان أحمد بن هلال فإن الإمام العسكري عليه السلام تبرأ منه لغلوه ونصبه، وأمية بن علي القيسي فإنه معدود عند علماء الرجال في قسم الضعفاء، على أن من تلقى الحديث عنه أمية بن علي القيسي لم يعرف لينظر في حاله، وفي طريق الكشي حبيب الخثعمي ولم يتضح المراد منه أهو الأحول المجهول أو المعلل المقبول وما ذكر للتمييز بينهما لا يوجد ههنا. وفي طريق كتاب الأسرار محمد بن خالد الطيالسي وهو معدود من الضعفاء عند النجاشي وأما ابن الغضائري فشدد النكير على الأخذ بروايته لاعتماده على المراسيل وروايته عن الضعفاء كثيراً فحديثه يعرف وينكر.

هذا حال السند في الأحاديث الأربعة ومعه فهل تثق النفس بواحد منه فيعتمد عليه في المس بكرامة شيخ الثار والخط من مولاته لأهل البيت؟!

وهناك حديثان آخران أثبتهما الكشي في رجاله عند ترجمة المختار قد يستفيد منهما غير المتأمل الطعن بالمختار، ولكن التأمل الصادق يعرفنا غرض الإمام بكل ما يوهم الطعن، فالأول

مسند عن عمر بن علي بن الحسين وفيه أن المختار أرسل إلى علي بن الحسين أربعين ألف دينار فقبلها وبني بها دار عقيل بن أبي طالب ودارهم التي هدمت، ولما أظهر الكلام الذي أظهره بعث إليه أربعين ألف دينار فردها ولم يقبلها.

والثاني عن جبرئيل بن أحمد عن العبيدي عن محمد بن عمر عن يونس بن يعقوب عن أبي جعفر عليه السلام قال كتب المختار بن أبي عبيدة إلى علي بن الحسين بهدايا من العراق فلما وقفوا على الباب دخل الآذن يستأذن لهم فخرج إليهم رسوله فقال أमितوا عن بابي إني لا أقبل هدايا الكذابين ولا أقرأ كتبهم فمحووا العنوان وكتبوا للمهدي محمد بن علي.

فإننا لو لم نناقش في سند الثاني بالعبيدي الضعيف عند السيد جمال الدين بن طاووس، والمستثنى من كتاب نوادر الحكمة لابن بابويه، والمرمي بالغلو في حكاية الشيخ الطوسي، لأمكننا معرفة السر في امتناع الإمام من قراءة الكتب وقبول الهدايا فإنه لم يمنعه إلا الخوف من السلطان. ويشهد له قبوله الهدية قبل إظهار الدعوة وإتمام الأمر، لأنه لم يكن في هذا الحال خوف ولا تقية. ولو لم يحمل على هذا لزم التناقض في فعل الإمام وحوشي مثله ارتكاب هذه المناقضات.

كيف يكذبه السجاد عليه السلام وهو يدعو له كما في حديث عمر بن

علي بن الحسين قال لما أُتي برأس عبيد الله بن زياد وعمر بن سعد خراً أبي ساجداً وقال الحمد لله الذي أدرك لي ثأري وجزى الله المختار خيراً، فإن السجاد لو كان ناقماً على المختار مكذباً لدعوته لما دعا له وكان دعاؤه عبثاً وهو منزّه عن ذلك.

وأما ما في كتاب المحتضر من أن المختار بعث إلى علي بن الحسين مائة ألف درهم فكره أن يقبلها منه وخاف أن يردها فتركها في بيت فلما قتل كتب إلى عبد الملك يخبره بها فكتب إليه خذها طيبة هنيئة.

فبعيد عن الصواب من وجوه ثلاثة «أ» لم نعرف رجال الحديث لننظر حالهم في كتب الرجال «ب» لم تكن لعبد الملك يوم قتل المختار سلطة يخافها الإمام السجاد وإنما الحكومة لابن الزبير فالخوف منه ومكاتبته أنسب بالمقام من مكاتبة عبد الملك (ج) لم تكن كراهية الإمام لقبول الهدية نقمة منه على المختار وإنما هو خوف السلطة الغاشمة المتحكمة في الحجاز، فأراد الإمام أن ينبه بذلك على عدم الرابطة بينه وبين المختار، وأنه خارج عن طاعته في نهضته بالكوفة. ولو كان الإمام ناقماً عليه في الواقع لكان اللازم قبوله الهدية من باب استنقاذه الحق من أيدي المتغلبين عليه، كما كان يفعل آباؤه مع من ملك في أيامهم لأنهم يرون أن ذلك المال المتغلب عليه حقهم المدفوعين عنه فإذا رفع الحجز عنه فلا موجب لرده في حين لم يكن الأخذ ترويحاً

لمذهب الباطل ، لإمكان تنبيه الملاء سراً بفساد نية ذلك المتغلب ، فكان على السجاد في هذا الحال قبول المال وتعليم الناس سراً بخبث سريرة المختار إن كان يخاف من سلطته على أنه لا يشك كل أحد في عدم خوفه من سلطة المختار لانحيازه عن العراق ولم يكن المختار قادراً على أن يصيب المدينة وأهلها بسوء .

ومن هنا يتجلى المراد من خوفه من ردها ، فإن السجاد لم يخف بوادر المختار وأذاياه فلا تقية أصلاً نعم السر فيه هو اتقاء الفت في عضد المختار وعدول الناس عنه من دون تبصر ووقوف على الحقيقة فكان أخذه عليه السلام المال تنشيطاً لعزيمة المختار وإخباره سلطان الوقت للأمن من بواده وتفهيماً له بانحيازه عن كل ثورة وهياج .

ابن حجر في الإصابة

اندفع ابن حجر واندلع لسان غضبه ورام الحط من مقام المختار بشواهد أقامها هي أو هن من بيت العنكبوت في مقام العرفان والتمحيص ، فحدث في «الإصابة» عند ترجمة المختار عن موسى بن إسماعيل عن أبي عوانة عن المغيرة بن ثابت بن هرمز قال حمل المختار ما لا من المدائن من عند عمه إلى «علي» فأخرج كيساً فيه خمسة عشر درهماً فقال هذا من أجور المومسات . فقال له علي : ويلك ما لي وللمومسات ثم قام وعليه

مقطعة حمراء فلما سلم قال علي ما له قاتله الله لو شق عن قلبه لوجد ملآن من حب اللات والعزى .

بهذا يحدث عن موسى بن إسماعيل الذي يقول فيه ابن خراش كما في تهذيب التهذيب ، وميزان الاعتدال ، تكلم الناس فيه فهو من المتروكين ومثله ثابت بن هرمرز قال في ميزان الاعتدال عده ابن الجوزي من المجهولين . ومما يؤيد كذب الحديث حكاية حمل أجور المومسات من عند سعد بن مسعود ذلك الذي اتفق علماء الرجال على نزاهته عن كل سيئة ودنية فكيف يليق بمثله حمل أجور المومسات إلى علي عليه السلام في حين يعلم حرمتها .

ولم يكتفِ ابن حجر بذلك حتى نقل عن صحيح مسلم عن أسماء بنت أبي بكر عن رسول الله ﷺ أنه قال يكون في ثقيف كذاب ومبير وشهدت أسماء بأن الكذاب هو المختار . هذا كلامه في الإصابة ، ولقد أوقفني موقف الحيرة في عقيدة المختار عندما أراه الأول في صف العلماء والمؤرخين المؤتمنين على إيداع الأحاديث في جوامعهم كما جاءت بلا تصرف وتذليل حسب الميول والشهوات ، وإن توقفت في الاعتماد على شهادة تلك الصحابة لأنها لم تكن مستندة على سماع من النبي ﷺ ، ولكن بعد أن راجعت صحيح مسلم وقرأت الحديث إلى آخره عرفت خيانتة في النقل وتصرفه في الأحاديث كما يقتضيه هواه .

وانكشف لي كيف يذهب البغض والعداء بالأكابر إلى حيث اختلاق الباطل والبهتان فيشوهون تلك الكتب العالية الشأن بالخرافات والأضاليل ، وإليك الحديث بنصه ومنه تعرف الزور في نسبة الشهادة إلى الصحابة بأن الكذاب هو المختار: حدث مسلم في باب ذكر كذاب ثقيف من «الصحيح» ج ٢، ص ٢٧٤ عن عقبة بن مكرم العمي عن يعقوب بن إسحاق الحضرمي عن الأسود بن شيبان عن أبي نوفل قال: رأيت عبد الله بن الزبير على عقبة المدينة - مصلوباً - فجعلت قريش تمر عليه حتى مر عليه عبد الله بن عمر بن الخطاب وقال السلام عليك يا حبيب السلام عليك يا حبيب السلام عليك يا حبيب أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا أما والله إن كنت ما علمت صواماً قواماً وصولاً للرحم أما والله لأُمة أنت شرُّها لأُمة خير ثم نفذ عبد الله بن عمر فلما بلغ الحجاج موقف عبد الله وقوله أرسل إليه فأنزله عن جذعه فألقي في قبور اليهود ثم أرسل إلى أمه أسماء بنت أبي بكر فأبت أن تأتيه فأعاد عليها الرسول لتأتينني أو لأبعثن عليك من يسحبك بقرونك فأبت وقالت والله لا آتيك حتى تبعث إلي من يسحبني بقروني فقال أروني سبتي فأخذ نعليه ثم انطلق حتى دخل عليها فقال كيف رأيته صنعت بعدو الله قالت أفسدت عليه دنياه وأفسد عليك آخرتك ، بلغني أنك تقول له يابن ذات النطاقين أنا والله

ذات النطاقين أما أحدهما فكنت أرفع به طعام رسول الله وطعام أبي بكر عن الدواب وأما الآخر فنطاق المرأة التي لا تستغني عنه أما إن رسول الله ﷺ حدثنا أن في ثقيف كذاباً ومبيراً أما الكذاب فرأيناه وأما المبير فلا أخالك إلا إياه فقام منها ولم يرجع، اهـ.

هذا لفظ الحديث بنصه وأنت إذا تأملته لا تجد فيه شهادة بأن الكذاب هو المختار أفلا يحتمل أنها كانت تعني الحجاج ولكنها أبهمت خوفاً منه، أو أنها تعني غيرهما من رجال ثقيف. ألم يكن فيهم المغيرة بن شعبة ذلك الخداع الذي يقول لو خرج الناس من باب لخرجت من ألف باب. أليس فيهم الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب بن علاج بن أبي سلمة الثقفي الملعون على لسان «علي». أليس فيهم المغيرة بن الأخنس بن شريق القائل لعثمان أنا أكفيك علماً، فقال له علي «يا بن اللعين الأبتري، والشجرة التي لا أصل لها ولا فرع، أنت تكفيني فوالله ما أعز الله من أنت ناصره، ولا قام من أنت منهضه، اخرج عنا أخرج الله نواك ثم أبلغ جهدك فلا أبقى الله عليك إن بقيت». أليس فيهم أخوه أبو الحكم بن الأخنس بن شريق الذي قتله علي يوم أحد كافراً^(١)، وحينئذ من أين نعرف أنها كانت تعني بتلك العبارة المبهمة خصوص المختار الثقفي، وكيف ساغ لذلك الأمين على الآثار

(١) شرح النهج الحديدي: ج ٢، ص ٣٩١.

الافتراء على الصحابة بتلك النسبة الكاذبة نعم لها وللمختار معه موقف أمام محكمة الجزاء «فينظر يومئذ لمن الفلج».

ومن الغريب العجيب أن ابن أبي الحديد لم يتروّ في الحديث فيعرف مغزاه وغرته طنطنة الرجل وأمثاله فسار على أثره وجزم بأن المراد من الكذاب هو المختار والمبير هو الحجاج^(١)، ونحن بعد أن قرأنا نص الحديث فما وجدنا فيه تصريحاً ولا قرينة تفيدنا بالمراد من الكذاب فإذا لا نستطيع أن ننسب الكذاب فيه إلى المختار.

من هذا الزور والبهتان المودع في تلك الجوامع المنفردة في بابها ارتفعت الثقة عن كل كتاب تحفظ لصاحبه الحق على شيعة أهل البيت المنتصرين لهم في السر والعلانية ولم تبق لها أهمية النظر والاعتماد لذلك كان الإعراض عما فيها أحرى وأنسب بشأن العرفان النزيه عن مثل تلك الزخارف والسفسطة، ولكن حيث سلكت في هذه الترجمة ملاحظة الشبهات والطعون التي تمسك بها المخالفون واتخذوها وسيلة للحط من مقام أولئك المتقين حلفاء الحق والرشاد أحببت أن أقدم أمام القراء ما وصل إلينا من المطاعن وأعقبه بما هنالك من الملاحظات. فمن ذلك ما ذكره ابن حجر عند ترجمة المختار في «الإصابة» من أنه كان في أول أمره خارجياً ثم صار زيدياً ثم صار رافضياً.

(١) المصدر نفسه.

هلموا بنا أيها القراء الكرام لتأمل في هذه الجملة الواقعة في خلال هذا الحكم غير المستند على أساس وثيق ونعرف آنذ كيف ضاعت الحقائق الراهنة وتكثرت المجازات ولنصرخ بصوت واحد أمام محكمة الوجدان من أين صار المختار زيدياً وهذه النسبة بنص المؤرخين إنما حدثت بعد ظهور «زيد بن علي» وقد ولد زيد في سنة قتل المختار، نعم الأساس الوثيق في هذا الحكم قربه من أهل البيت وإيادته أعداءهم فإنهما شاهدا عدل على ذلك الحكم الغريب والغريب جداً.

مسند أحمد بن حنبل

وعلى هذا الوتر أخذ أحمد بن حنبل يضرب ويترنم في «المسند» بأحاديث اشتملت على رجال الباطل وحفاظ الأكاذيب. قال في ج ٥ ص ٢٢٣ حدثنا بهز بن أسد عن حماد بن سلمة عن عبد الملك بن عمير عن رفاعه بن شداد قال كنت أقوم على رأس المختار فلما تبينت كذابته هممت وأيم الله أن أسل سيفي فأضرب عنقه حتى ذكرت حديثاً حدثنيه أخي عمرو بن الحمق قال سمعت رسول الله ﷺ يقول من آمن رجلاً على نفسه فقتله أُعطي لواء الغدر.

وحدث عن ابن نمير عن عيسى القاري أبو عمر بن عمر عن السدي عن رفاعه قال دخلت على المختار فألقى إليّ وسادة وقال

لولا أن أخي جبرئيل قام من هذه وأشار إلى الأخرى لألقيتها لك
قال فأردت أن أضرب عنقه فذكرت حديثاً حدثني عمرو بن
الحق قال: قال رسول الله ﷺ أيما مؤمن آمن مؤمناً على دمه
فأنا من القاتل بريء.

هذا ما زين به «المسند» من الطعن بالمختار، ولا يسع كل
أحد المصادقة على واحد منهما، فإن في الأول حماد بن سلمة،
وعبد الملك بن عمير، ومن يقرأ ترجمتهما في تهذيب التهذيب
لابن حجر وميزان الاعتدال للذهبي يعرف إعراض علماء الرجال
عن الأخذ بأحاديثهما، ويقولون في الثاني سيئ الحفظ وقد انفرد
بأحاديث متناً وإسناداً وربما يحدث بالحديث المنكر وفي الثاني
السدي وقد حكم عليه بالكذب والتفسير بالرأي والضعف
بالحديث جماعة كثيرة من علماء الرجال والحديث كابن معين
والعقيلي وأبي حاتم والطبري والشعبي وليث يحدث عنهم ابن
حجر في تهذيب التهذيب والذهبي في ميزان الاعتدال. فهل
يمكن الاعتماد على أحاديثه. وكيف تحصل الثقة بذلك
الكذاب.

على أن الحديث الثاني مضطرب الأول والآخر، فإن الصدر
يفيدنا كون المختار شريكاً «لمسيلمة وسجاح» لادعائه النبوة
بدعوى نزول الأمين جبرئيل عليه، ذلك الذي لا يهبط إلا على
نبي مرسل، وأما الذيل فيثبت له الإيمان. فالحديث يحتاج أن

يعمل السدي فيه آراءه الفاسدة ويخلطه بمنكراته ليتفق صدره وذيله، وإلا فكيف يثبت الإيمان لرجل يدعي النبوة.

ومما يزيد في كذب هذا الحديث، أن رفاعه بن شداد قاتل مع المختار حتى قتل وكان يقول^(١):

أنا ابن شداد على دين علي لست لعثمان بن أروى بولي
لأصلين اليوم فيمن يصطلي بحر نار الحرب غير مؤتلي
فإنه لو لم ير المختار صادقاً في دعواه لما وطن نفسه على
الموت دونه.

لقد شاعت هذه النسبة بين المؤرخين من دون روية وتفكير في مغزى تلك الكلمة لو صحت منه. وبعد أن نعرف أنه بصدد اجتذاب القلوب والتأليف بين الناس على طبقاتهم ومقادير عقولهم^(٢) فمنهم من يخاطبه بأن الملك يأتيه بالوحي ومنهم من يسترضيه بذكر فضائل أهل البيت والتوجع لما أصابهم يوم الطف حتى استأجر نوائحاً يجلسن على باب عمر بن سعد يبكين الحسين عليه السلام فجاء إلى المختار حفص بن عمر بن سعد وقال ما بال النوائح يبكين على باب أبي فقال إن الحسين أهل للبكاء عليه قال له أصلحك الله انههنّ عن ذلك قال نعم ثم بعث أبا عمرة

(١) تاريخ الطبري: ج ٧، ص ١٢٠.

(٢) مروج الذهب: ج ٢، ص ٩٩.

وجاءه برأس عمر وحفص واقف أمامه^(١)، من كل ذلك نعرف نزاهته عما يمس بكرامته ويحط من شأنه، على أن المرزباني يحدث في كتاب «الشعراء» بأن للمختار غلاماً اسمه جبرئيل فكان كثيراً ما يقول قام من عندي جبرئيل وجاءني جبرئيل فحسبه العامة ومن لا بصيرة له بالتورية ومقاصد الرجال أنه يعني «الروح الأمين» فشاع بينهم ذلك وتشبت به من يريد الطعن عليه.

حديث الكرسي

من هذا القبيل حديث الكرسي والطيور، يقول ابن جرير خطب المختار أصحابه فقال: لم يكن في الأمم الخالية أمر إلا وهو كائن في هذه الأمة مثله وإنه كان في بني إسرائيل التابوت فيه بقية مما ترك آل موسى وآل هارون وإن هذا فينا مثل التابوت^(٢) الذي في بني إسرائيل فضعوه في حومة الحرب فإنه من ذخائر علي بن أبي طالب^(٣) فأخرج وغشي بالحرير والديباج وسدنه موسى بن أبي موسى الأشعري من شيعة المختار وكان من الناقمين على أهل الكوفة فعلهم بابن بنت رسول الله ﷺ، فإن أمه أم كلثوم بنت الفضل بن العباس بن عبد المطلب ولما عتب عليه

(١) العقد الفريد: ج ٢، ص ٣٢٤ عند ذكر المختار.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٧، ص ١٤٠.

(٣) كامل المبرد: ج ٣، ص ١٥١.

وكثر اللوم والكلام ترك سدانة الكرسي وتولاها حوشب البرسمي
حتى قتل المختار وفي هذا الكرسي يقول أعشى همدان :

شهدت عليكم أنكم سبئية وإني بكم يا شرطة الشرك عارف
وأقسم ما كرساكم بسكينة وإن كان قد لفت عليه اللفاف
وأن ليس كالتابوت فينا وإن سعت شبام حواليه ونهد وخارف
وإني امرؤ أحببت آل محمد وتابعت وحيأ ضمنته المصاحف
وتابعت عبد الله لما تابعت عليه قریش شمطها والغطارف
وقال المتوكل الليثي :

أبلغ أبا إسحق إن جئته أني بكرسيكم كافر
تنزو شبام حول أعواده وتحمل الوحي له شاکر
محمرة أعينهم حوله كأنهن الحمص الحاردر

حديث الطيور

يقول الزمخشري في ربيع الأبرار في باب الاحتيال والمكيدة
والمبرد في الكامل: ج ٣، ص ١٥٠ لما توجه إبراهيم الأشر إلى
حرب ابن زياد دفع إلى خاصته حماماً أبيض وقال إذا رأيت الأمر
عليكم أرسلوها ثم خطب الناس فقال: إني أجد في محكم
الكتاب وفي اليقين والصواب أن الله ممدكم بملائكة غضاب تأتي
في صورة الحمام تحت السحاب، فلما تقابل الفريقان واشتد
القتال وكادت الدبرة أن تكون على أصحاب إبراهيم أرسلوا

الحمام فتصايح الناس الملائكة الملائكة فكروا عليهم وأكثروا القتل في أصحاب ابن زياد حتى قتل ابن زياد.

هذا حديث الطيور والكرسي أيها القارئ النبيه الذي ملأ سمعك لغط المتهوسين به للتنديد بمقام شيخ الثار الذي لم يقترب ذنباً غير تطهيره الأرض من أولئك الأرجاس قتلة أولاد النبيين، وأي نقص يلحق المختار من ذلك بعد أن كان بصدد الغلبة على جمعية السوء والضلال ولا يمنع العقل ولا الشرع أن يتخذ الرجل الوسائل والتدابير اللازمة للغلبة على أعدائه وتقوية عزيمة أصحابه ليكونوا متكاتفين كالجبال الشم أمام العدو فينال بذلك غرضه المقصود له خصوصاً في مثل هذا الموقف الذي حصل به استئصال شأفة أولئك الطغاة، وبه ارتفع الحداد عن مخدرات الرسالة، ففي حديث فاطمة ابنة علي ما تحنت امرأة منا ولا أجالت في عينها مروداً ولا امتشطت حتى بعث المختار برأس ابن زياد. ويقول الصادق عليه السلام: ما اكتحلت هاشمية ولا رئي الدخان في بيت هاشمي خمس حجج حتى قتل ابن زياد. وفي حديثه الآخر حتى بعث المختار برؤوس الذين قتلوا الحسين.

وناهيك رفعة شأن ومزيد شرف بمن يعتذر عنه الإمام «الباقر» عند قتله عمر بن سعد^(١) بعد أن طمنه بالأمان أن لا يمسه بسوء

(١) قال ابن سيرين كان علي يقول لعمر بن سعد كيف بك إذا قمت مقاماً تخير =

ما لم يحدث حدثاً، فيقول: أراد إذا دخل الخلاء فأحدث^(١).

نسبة الكذب إليه

لقد جد أهل الكوفة واجتهدوا في وضع المثالب والطعون في مقام المختار وأكثروا من قولهم: مفتعل كذاب، ولا غرابة بعد أن أيتّم أطفالهم وأرمل أزواجهم وقتل الرؤساء والصناديد وهدم الدور وخرب الضياع كل ذلك في من شرك في دم الحسين، حتى إنه أمر صاحب شرطته «أبا عمرة» أن يجمع له ألفاً من العملة لهدم دور من خرج لحرب الحسين، وكان بهم عارفاً^(٢) ففعل ذلك فكل دار خراب بالكوفة فهي مما هدمها أبو عمرة وكان أهل الكوفة بعد ذلك يضربون المثل بفقر الرجل فيقولون «دخل بيتك أبو عمرة»، وكانت العبيد تقتل مواليتهم ويأتون إليه فيعتقهم بعد أن يدفع له مال مولاه.

لقد أوجبت تلك النسبة الكاذبة توقف بعض المؤرخين فيه من

= فيه بين الجنة والنار. وقال عبد الله بن شريك أدركت أصحاب الأردية المعلمة وأصحاب البرانس السود من أصحاب السواري إذا مر بهم عمر بن سعد قالوا هذا قاتل الحسين وذلك قبل أن يقتله (كامل ابن الأثير: ج ٤، ص ٩٤).

(١) تاريخ الطبري: ج ٧، ص ١٢٦.

(٢) الأخبار الطوال: ص ١٨٦.

دون اعتماد على أصل صحيح من تأريخ وثيق، أو حديث معتبر، سوى أنباء روائية بقيت في الأساطير مثالب لأناس طيبين فاغترّ بها بعض المحدثين حينما وقف عليها إما غفلة منه عن كونها من وضع الكذابين أو غرة وتوسعاً منه حسبه إفاضة في العلم أو سذاجة يذعن معها لكل ما يقال فيه .

كتاب تنزيه الأنبياء وتاريخ الطبري

من هنا يمكننا أن نعرف السر في ما أرسله علم الهدى السيد المرتضى في كتابه «تنزيه الأنبياء» وحدث به ابن جرير في التأريخ: ج ٦، ص ٩١، عن عثمان بن عبد الحميد أو عبد الرحمن المجازي الخزاعي أو عبد الرحمن عن إسماعيل بن راشد: أن المختار أشار على عمه سعد بن مسعود وكان عامل علي عليه السلام على المدائن وقد نزل الحسن هنالك باستيثاق الحسن عليه السلام وتسليمه إلى معاوية ليحظى بالشرف والغنى فانتهره عمه وقال له قبحك الله من شاب تريد أن أوثق ابن بنت رسول الله ﷺ .

فإن السر فيه ليس إلا أقوال هؤلاء المؤرخين وتلك الأحاديث المشتملة على مجهول الحال أو كذاب مفترٍ، وأما حديث الطبري ففيه إسماعيل بن راشد وعبد الرحمن المجازي ولم يتعرض لهما علماء الرجال فهما من المجاهيل ولا يعتمد على حديثهما في شيء من المدح والذم .

ولو سلمنا صحة النقل فلماذا لا يحتمل فيه أنه أراد اختبار عمه في نفسيته بذلك القول وخشي أن يجره الهوى ويغويه حب المال حينما سادت الأهواء والمطامع وخارت العزائم عن نصر الهدى، فلقي شريكاً الأعور، وكان من كبار الشيعة له رأي وسداد فقص عليه الرأي وسأله وجه الحيلة إن بدرت من عمه بادرة فأشار عليه شريك بأن يسرّ إلى عمه ما يوافق تلك الهاجسة من الغدر بالحسن عليه السلام طلباً لمرضاة معاوية فإن وافق على ذلك عملوا عندها التدابير وأخرجوا الإمام إلى جهة من الجهات فلما أسرّ المختار ذلك إلى عمه شاهد منه ما تقادم فيه من الولاء الخالص لآل محمد عليه السلام فحصلت بذلك أمنيته واطمأن قلبه بسلامة عمه من هذا الداء^(١).

ولو تنازلنا إلى الموافقة على تلك المقالة لعمّه وحكمنا بخروجه عن الولاء لأهل البيت فلا يسعنا المجاراة على إبقاء الرجل عليه إلى آخر نفس لفظه. فإن قضية نصوص أئمة الدين من أهل البيت، ومصارحات العلماء الأعلام حسن حاله وجلالته ورفعة مقامه فلا بد على فرض نقصه في البدء من القول بكماله في الأخير. يدلنا على ذلك أعماله الناصعة وأقواله المقرونة

(١) حكاه العلامة ميرزا محمد علي الأردبادي في رسالة المختار عن مجالس المؤمنين عن الشيخ عبد الرزاق الرازي في كتاب نقض الفضائح.

بقرائن الصدق ونهضته الكريمة ودعاء أئمة الهدى له بالخير والنهي عن سبه ولعنه ومدافعة علماء الدين عنه . ولم يستنكر المتعنت هداية المختار في سنين متطاولة بعد أن ثبت في التاريخ الصحيح هداية جماعة ناقصين أكملتهم المقادير وحدهم التوفيق إلى التسليم بالموالاة لأهل البيت عليهم السلام .

لا بدع في كل ما قيل في المختار من المفتريات بعد أن نشاهد هفوات القلة وتوسع المكثرين في جماعة من رجالات الشيعة وزعماء الأمة كزرارة بن أعين الأمين على الدين والدنيا، ويونس بن عبد الرحمن القمي، ومؤمن الطاق، وهشام بن الحكم، إلى كثير من نظرائهم، فالمختار كواحد من هؤلاء الأعيان ثقات الأئمة وأكابر الأمة .

نسبة الفرقة الكيسانية إليه

إني لا أخالك أيها القارئ الكريم بعد الوقوف على ما ذكرناه ترتاب في افتعال ما ينسب إلى المختار من الطعون الفارغة عن أصل صحيح ولم يقصد بها إلا تشويه سمعة الرجل عند شيعة علي وولده عليه السلام كما لا أظن انتساب الفرقة الكيسانية إليه تجلب لك شكاً في ولائه الصريح للإمام زين العابدين وآبائه الطاهرين، وبعدهما يحدث ابن داود في رجاله بافتعال تلك النسبة وأنها منتسبة إلى كيسان مولى علي بن أبي طالب، ولو سلم انتسابها

إلى المختار، فلا توجب تلويث ساحته والخط من موالاته، وإلا لجرى ذلك في حق إسماعيل بن الصادق، لانتساب الفرقة الإسماعيلية إليه.

على أننا لم نجد في المصادر الموثوق بها شيئاً من ذلك، فهذا شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي ذكر في «الغيبة» الفرقة الكيسانية ولم يذكر انتسابها إلى المختار، والسيد الجزائري في «الأنوار النعمانية» ذكر جملة من الفرق ومنها الكيسانية ولم يذكر انتماءهم إلى أحد، مع ذكره لكثيرين تعزى إليهم المذاهب، وهذا السيد مرتضى الرازي في «تبصرة العوام» ذكر أن الفرقة الكيسانية تزعم أن أبا مسلم الخراساني منها وقال إنه غير صحيح ولم يذكر المختار أصلاً. وأما ما جاء في «الفصول المختارة» لعلم الهدى السيد المرتضى: أن أول من شذ عن الحق الفرقة الكيسانية وهم أصحاب المختار، فليس فيه دلالة على أنه صاحب هذا المذهب وإنما فيه دلالة على أن الذين نهضوا معه وتابعوه على أخذ الثأر هم الكيسانية الذين أحدثوا هذا الرأي بعد موت المختار. هذا بعض مما كتبناه في «تعريف المختار» وفيه كفاية لمن تدبر ووعى والعاقبة للمتقين. والحمد لله رب العالمين وسلم تسليماً كثيراً.

المحتويات

٩	«ولادته وسبب التزويج بأمه»
١٤	«اسم أمه»
١٥	أول من سماه زيداً
١٨	(لقبه)
٢٠	«كنيته»
٢١	«صفاته»
٢٢	«نقش خاتمه»
٢٣	(نشأته)
٢٩	مؤلفاته
٣٤	مدرسته وتلاميذه

٣٨	«زهد وعبادته»
٤٢	أدعيته
٤٤	(أدبه)
٤٨	«خطبه»
٥٨	(الحكم والآداب)
٦١	«آراء العلماء فيه»
٦٧	«أحاديث المدح»
٨٤	«نظرة في الأحاديث»
٨٧	«البراءة من دعوى الإمامة»
٩٣	«الأحاديث الدائمة»
١١٩	«الخلاصة»
١٢٣	أسباب النهضة
١٣٢	«موقفه مع هشام»
١٣٦	«التخاصم في الأوقاف»
١٤٩	(زيد وخالد القسري)
١٥٣	(استجارة أهل الكوفة)
١٥٥	تحذيره من أهل الكوفة
١٦١	(دخوله الكوفة)
١٦٩	ما هي البيعة
١٧١	«منازله بالكوفة»
١٧٢	(الكتب من هشام إلى الوالي)

المحتويات	٣٣٣
أهل الكوفة وزيد	١٧٦
«توطئة»	١٧٦
غدر أهل الكوفة بزید	١٧٩
وصف المحاربة	١٨٢
زيد وتقدير عمره	١٩٥
خطبة الوالي بعد قتله	١٩٧
مواراة الجسد الطاهر	١٩٩
إخراجه بعد الدفن	٢٠١
صلبه	٢٠٤
المرقد المطهر وموقع الكناسة	٢٠٦
زمان الصلب	٢٠٨
زيد والكرامة	٢١٢
تمهيد	٢١٢
ما هي الكرامات	٢١٥
الرأس المقدس	٢١٩
هشام وآل أبي طالب	٢٢٥
زوجاته	٢٣١
أولاده	٢٣٣
[١] يحيى بن زيد	٢٣٧
ولادته، أولاده، صفته، شجاعته، عتابه بني هاشم	٢٣٧
مولاته للأئمة عليهم السلام	٢٣٩

٢٣٩	أسباب الخروج إلى خراسان
٢٤٧	[٢] عيسى بن زيد
٢٤٧	ولادته، مقدار عمره، سبب تسميته عيسى، كنيته، لقبه
٢٤٨	فضله ومولاته للأئمة عليهم السلام
	موقفه مع بني العباس خروجه مع ذي النفس الزكية، وصيته عن قتل
٢٥١	باخرى، طلب العباسيين له
٢٥٥	عمله بالكوفة
٢٥٦	أولاده
٢٥٩	[٣] الحسين ذو الدمعة
٢٥٩	ولادته، كنيته، لقبه
٢٦٠	نشأته
٢٦١	مولاته للأئمة
٢٦٢	الرواية عنه
٢٦٣	روايته الحديث
٢٦٤	أولاده
٢٦٥	سنة وفاته
٢٦٧	[٤] محمد بن زيد
٢٦٩	ولاؤه للأئمة وقبول رواياته
٢٧١	أولاده
٢٧١	فضل البكاء على زيد
٢٧٥	(زيد وتأيينه)

المحتويات ٣٣٥

كتاب تنزيه المختار بن أبي عبيد ابن مسعود الثقفي ٢٨٩

تعريف المختار ٢٩٢

نشأته ٢٩٦

انقطاعه إلى بني هاشم ٢٩٧

اجتماعه بابن الزبير ٢٩٨

عوده إلى الكوفة ٢٩٨

نهضته بالكوفة ٢٩٩

حصاره بقصر الإمارة ٣٠٠

مصعب وحرَم المختار ٣٠١

موضع دفنه ٣٠٣

عقيدة المختار ٣٠٥

المختار في نظر أهل البيت ٣٠٦

المختار في نظر العلماء ٣٠٨

الأحاديث الدائمة ٣١٠

ابن حجر في الإصابة ٣١٥

ما ذكره أحمد بن حنبل ٣٢٠

حديث الكرسي ٣٢٣

حديث الطيور ٣٢٤

نسبة الكذب إليه ٣٢٦

كتاب تنزيه الأنبياء وتاريخ الطبري ٣٢٧

نسبة الفرقة الكيسانية إليه ٣٢٩

